أ

BSN: 247458

جامعة بيرزيت

BIRZEIT UNIVERSITY

وجهات نــظر المؤرخين الجدد وآراء عربية وفلسطينية حولها

New Historians' Viewpoints and Arab and Palestinians Opinion on Them

Thesis
DS
115.7
.H56
2002

إعــداد

مليحة عطا مصطفى الهندي

مكتبة جامعة بير زيت
41122
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

آب ٢٠٠٢

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

وجهات نظر المؤرخين الجدد وآراء عربية وفلسطينية حولها

New Historians' Viewpoints and Arab and Palestinians Opinion on Them

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

مليحة عطا مصطفى الهندي

إشراف

الدكتور صالح عبد الجواد

آب ٢٠٠٢

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين.

وجهات نظر المؤرخين الجدد وآراء عربية وفلسطينية حولها

New Historians' Viewpoints and Arab and Palestinians Opinion on Them

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

مليحة عطا مصطفى الهندي

إشراف

الدكتور صالح عبد الجواد

تاريخ المناقشة آب ٢٠٠٢

لجنة المناقشة

د. عبد الجواد صالح، مشرفاً ورئيساً د. شريف كناعنة، عضواً د. كمال عبد الفتاح، عضواً

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين.

جامعة بيرزيت
BIRZEIT UNIVERSITY

وجهات نظر المؤرخين الجدد وآراء عربية وفلسطينية حولها

New Historians' Viewpoints and Arab and Palestinians Opinion on Them

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

مليحة عطا مصطفى الهندي

إشراف

الدكتور صالح عبد الجواد

آب ٢٠٠٢

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
١) الدكتور عبد الجواد صالح، مشرفاً ورئيساً	
٢) الدكتور شريف كناعنة، عضواً	
٣) الدكتور كمال عبد الفتاح، عضواً	

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت – فلسطين.

نُوقِشَت وأوصي بإجازتها يوم الثلاثاء في ٢٣ من جمادى أول عام ١٤٢٣ هجري، الموافق ١٣ من آب عام ٢٠٠٢ ميلادي.

شكر وعرفـــان

خلال كتابة هذه الرسالة، كنت أقف على أرضية غير ثابتة، وكـــانت رؤيتـــي للأمـــور محدودة، أدركت فيها أن أفضل الطرق لمعرفة الآخر لا بـــدّ أن تقـــوم علـــى إدراك معرفـــي وفكري واسع لأفكاره، وعندها قررت ارتياد حقل التاريخ الإسرائيلي الجديد، ولم يكن العمل ليتم بهذه الصورة، دونما إضاءة وإشراف مباشر من د. صالح عبد الجواد، من هنا وجـــدت لزامـــاً على أن أقـــدم له جزيل الشكر والامتنان لما قدمـــه من جهود كبيرة في متابعـــة خطوات هـــذا العمل حتى النهايـــة.

كما وأتوجـــه بالشكر لكل من قـــدم لي العـــون والنصـــح والنقـــد وكل من عمل علـــى توفير المصادر والمراجع التي استقيت منها مواد هذه الرسالـــة، وبما أنه يتعذر علـــيّ ذكرهـــم جميعاً، وجدت أن أخص بالشكر لجنة المناقشـــة المؤلفـــة من د. شريف كناعنـــة، ود. كمـــال عبد الفتاح لإسدائهم النصح والإرشاد لي أثـــناء كتابة هذه الرسالة، كما أتقـــدم بالشكر للعـــاملين في مكتبـــة بلديـــة البيـــرة للمساعدة العظيمة في توفير معظم المصادر اللازمة، كما أزجـــــي الشكر إلى عائلتي لدعمهم الدافئ ونصحهم وتوفير الجو المناسب لإتمام هذه الرسالـــــة، وإلـــى السيد إبراهيم خليل طبخنا الذي قام بطباعة هذه الرسالة.

الإهـــــداء

إلى والديَّ اللذين كان الأمـــل يملـــؤ حياتهما واللذين غرســـا في نفســـي نعمـــة حـــب العـــلم وفضيلة مشاركة المعرفـــة واللذين رحـــلا قبـــل أن يرى هذا العمـــل النـــور

إليهما ..... أهـــدي جهـــدي هـــذا وكل الجهـــود

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	هـ
الإهـــداء	و
المحتويات	ز
الملخص	ط
Abstract	ك
المقدمة	١
فرضية الدراسة	٢
إشكالية الدراسة	٢
أهمية الدراسة	٣
منهجية الدراسة	٤
حدود الدراسة	٤
صعوبات الدراسة	٥
محتـــوى الدراسة	٥
خلاصـــة	٧
مراجعة بعض الأدبيات التي عالجت الموضوع	٧
الفصل الأول – الإطار النظري	
التاريخ الإسرائيلي ومهمة المؤرخ (حرب عام ١٩٤٨ نموذجاً)	١٤
عام ١٩٤٨	٢٤
خلاصـــة	٢٥
هوامش المقدمة	٢٧
نشأة المؤرخين الجدد وتعريفهم ضمنPost-Zionist	٣٠
عوامل ظهور المؤرخين الجدد	٣٣
أهم رموز الظاهرة	٣٨
هوامش الفصل الأول	٤٥

الفصل الثاني

موقف المؤرخين الجدد حول: ٤٩

قرار التقسيم ---------- ٥١

عدد القوات/ دور التنظيمات الصهيونية ---------- ٥٦

طهارة السلاح اليهودي ---------- ٦٠

طرد الفلسطينيين وعودة اللاجئين ---------- ٦٢

عملية السلام مع العالم العربي ---------- ٧٥

الانتفاضة الثانيـــة ---------- ٨٩

هوامش الفصل الثاني ---------- ٩٥

الفصل الثالث

وجهات نظر المؤرخين الجدد وآراء فلسطينية وعربية حولها ------ ١٠٢

- الرأي الأول ---------- ١٠٣

- الرأي الثاني ---------- ١١١

خلاصـــة ---------- ١٢٤

هوامش الفصل الثالث ---------- ١٢٥

الخاتمة ---------- ١٣٠

المراجع والمصادر ---------- ١٣٦

ملـــخـــص

شكلت حرب ١٩٤٨مرحلة هامة من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي، نسجت مـــن خلالها المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية أساطيرها التاريخية، ورواياتها التراثية، ونجحـــت فـــي إخراج المهزوم من فضاء الرواية تكملة لعملية اقتلاعـــه من عالمـــه وأرضه. في هذا الســياق، أشار د. صالح عبد الجواد إلى أن "المؤرخ الإسرائيلي قد نجح في صياغة تاريخ متخيل وفـــي إسكات صوت الآخر".

استمرت هذه الأساطير حتى ظهرت مجموعة من المؤرخين وعلماء الاجتماع النقديين في إسرائيل، في منتصف الثمانينيات، قـدّموا أفكاراً نقدية جديدة في الكتابة التاريخيـــة، نقلـت المجتمع الإسرائيلي إلى مرحلة ما بعد صهيونية في نظرته للآخـــر العربي، وأزالت الشفافيـــة والبراءة عن الدولـــة الإسرائيلية، محدثـــة خدشاً بالحكاية الجماعية اليهودية.

ركّزت هذه الدراسة على ظاهرة المؤرخين الجدد، وتعريفهم ضمن مفـــهوم مـــا بعـــد الصهيونية، وتناولت أبـــرز رموز هذه الظاهرة، والعوامل التي ساعدت على ظـــهورهم، كمـــا تحدثـــت عن مؤلفاتهم التي شكلت نقداً مهماً لتأريـــخ المؤسسة الصهيونية.

وأفـــردت الدراسة، فصلها الثاني لأفكار هؤلاء المؤرخين حول قضايـــا هامـــة فـــي تـــاريخ النكبـــة الفلسطينية، وأثبتـــوا من خلالها استحقاق إسرائيل للـــوم في نـــزوح مئـــات الآلاف من الفلسطينيين، كما أشارت إلى موقفهـــم المعتدل من حق العودة لهؤلاء اللاجئين رغـم رفض أشهر رموزهم لهذا الحق كونـــه يشكل تدميراً لإسرائيل.

وكشفت أعمالهم دور التنظيمات الصهيونيـــة في هذه الحرب، ودحضت أسطورة طهارة السلاح اليهودي من خلال الكشف عن المجازر التي ارتكبت بحق الفلسطينيين، وبرزت قيمـــة أعمال هؤلاء المؤرخين من خلال توثيقهم بالأدلـــة تعنت إسرائيل ورفضها لمبادرات السلام منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن، وهم بذلك أخرجوا الأساطير الصهيونية من دائـــرة التـــابو المحـــرم

وأثبتوا أن إسرائيل واستراتيجيتها الحديدية هي السبب في ديمومة النزاع، وليس الانتفاضة الفلسطينية.

كما تناولت الدراسة ردود فعل المثقفين العرب والفلسطينيين من ظاهرة المؤرخين الجدد على ضوء ما قدموه من أعمال تاريخية نقدية، وأظهرت تباين مواقف هؤلاء المثقفين وآراؤهم إزاء هذه الظاهرة، وأكدت الدراسة على النظرة السلبية التي اتسمت بها غالبية المثقفين العرب، وأوضحت تقصير البحث العربي والفلسطيني عن الاهتمام الجاد بالمراجعة التاريخية للرواية الإسرائيلية، وإهماله لتدوين الروايات الشفوية، مما أسهم في سيادة الرواية الصهيونية، وانتصارها في فرض وجودها، لا في إسرائيل فحسب، بل وفي العالم الغربي. وأخيراً اتضحت حاجة ماسة لوجود تأريخ شفوي يوثق للأحداث التي جرت، وإعادة تدوين تاريخ النكبة، اعتماداً على الذاكرة الجماعية، إلى جانب الروايات المكتوبة، دون الحاجة إلى وجود مدرسة عربية جديدة، أو مؤرخين عرب جدد، بل المطلوب، إعادة مراجعة التاريخ العربي، والفلسطيني بنظرة نقدية والاستفادة مما قدمه المؤرخون الجدد، دون الانزلاق في متاهات التطبيع ورفض الآخر.

Abstract

The 1948 war was an important stage of the Arab-Israeli conflict, whereby, the Israeli academic institution created historical myths and unfounded stories that resulted in eliminating the defeated party from the story to finalize his extraction from his land and his world. In that aspect, Saleh Abdul Jawad pointed to the fact that the Israeli historian has succeeded in creating a virtual history and in silencing the other party.

Those lies persisted until the emergence of a group of historians and sociologists in the mid 1980s in Israel, where they started to present new now thoughts and analysis of history writings that transferred the Israel society into the after-Zionism stage in the way it looks at the other party and it removed the innocence of Israel, thereby creating a shakeup in the overall Jewish.

This study focused on the new historians who were in the stage after-Zionism, what were the conditions that helped to create them, and it also focused on their writings, which created a major criticism of the history the Zionist organization.
This study chapter of this study concentrated on the general ideas of those historians about important issues in the history of the Palestinian catastrophe. Those historians proved that Israel was to blame for the forceful immigration of hundreds of thousand of Palestinians.

This study also pointed to the fair position of those historians in regards to the right of return of the mentioned refugees despite the fact that this right has been denied by the Israel leadership it would result in destroying Israel.

Their works exposed the role played by the Zionist organization in that war and it also challenged the myth about the cleanliness of the Jewish weapon when it uncovered the series of the massacres committed against the Palestinian's. The value of these historians works is materialized in their documentation of Israel's refusal off all peace proposals since 1948 and until today, by doing that, they remove the Zionist legends from the circles of the taboo and proved that Israel and its iron policy is the reason behind the continuation of the struggle and not the Palestinian uprising (Intifada).

The study also included the reaction of Arab and Palestinian intellectuals toward those new historians in light of what they presented in terms of critical historical works. The study showed different positions that those intellectuals took in regard to the phenomena of the new historians, the study stressed the negative position of the majority of the Arab intellectuals and it also clarified the lack of interest shown by Arab and Palestinian research towards studying the Israeli historical story and the study also presented the intellectuals shortcomings in researching the historical stories which helped the Zionist claims have the upper hand not only in Israel, but also in the western world.

Finally, there appeared a need to reconstruct the history of the catastrophe and all its events depending on the general memory of the population, in addition to the written versions. This could be achieved without having new Arab historians or new academic directions, rather what is remind is an analytical review of the Arab history and to take advantage of what the new historians have contributed without falling in the endless steps of naturalization of relations of refusing the other side.

المقدمة

تعتبر حرب عام ١٩٤٨ واحدة من أهم حروب ومراحل الصراع العربي _ الإسرائيلي، وقد اتسمت هذه الحرب أكثر من غيرها بنسيج من الأساطير التي حاكتها مدرسة التأريخ الصهيوني الرسمي التي سادت وهيمنت على النظرة لهذه الحرب وعلى الخطاب التاريخي ليس في إسرائيل فحسب، بل وفي معظم العالم الغربي لعقود عدة حتى منتصف الثمانينات. ونتيجة لعدة أسباب سنتعرض إليها لاحقاً، برزت ظاهرة المؤرخين كبداية لموجة تاريخية – فكرية واسعة الأصداء، وهي ظاهرة جديدة كانت جزءاً من ظاهرة أشمل عمت المجتمع الإسرائيلي، ونقصد بذلك "ظاهرة ما بعد الصهيونية" Post Zionism التي كانت استجابة إسرائيلية مع تيار ما بعد الحداثة Post Modernism العالمي.

ولقد اعتمد المؤرخون الجدد على تحليل المفاهيم التاريخية في إعادة قراءتهم وكتابتهم لأحداث حرب عام ١٩٤٨، وخصوصاً بعد نزع هالة السرية عن الملفات المتعلقة بهذه المرحلة، في عدة أرشيفات مهمة من دول عظمى كانت طرفاً في الحرب مثل إسرائيل، بريطانيا الولايات المتحدة، فرنسا... الخ. هذه الدول التي تقضي قوانينها بفتح ملفاتها السياسية بعد ثلاثين عاماً من انقضاء حدث سياسي معين، أو من خلال بحثهم في أرشيفات شخصية غنية، وخصوصاً أرشيفات الشخصيات الصهيونية في إسرائيل التي تتميز بميلها لكتابة المذكرات.

وقد شكلت أعمال المؤرخين الجدد أداة هامة لنقاش الأساطير الصهيونية الخاصة بالحرب من خلال كشف الحقائق وإعادة تدوين الأحداث في إطار محددات تاريخية خاصة. وأبرز هؤلاء المؤرخين "بني موريس" و "آفي شلايم" و "إيلان بابيه" و "سميحا فلابان" وغيرهم، وهم مؤرخون أجبروا بلادهم على مراجعة تاريخها المتعلق بالصراع العربي – الإسرائيلي.

وعلى الرغم من أهمية أفكار المؤرخين الجدد، فإنها ظلت محدودة التأثير في المجتمع الإسرائيلي، خارج إطار النخب الثقافية والسياسية نظراً لرسوخ أيديولوجية المؤسسة الصهيونية الحاكمة في الأوساط الشعبية، وتهدف هذه الدراسة إلى استجلاء ودراسة آراء المؤرخين الجدد، وردود فعل المثقفين العرب والفلسطينيين المتباينة منهم. ففي حين اعتبرهم البعض ظاهرة سلبية تخدم المشروع الصهيوني، رأى فيهم البعض الآخر خطوة إيجابية في

الطريق الصحيح نحو تسوية سلمية قائمة على تسوية للرواية التاريخية، مخالفين لمن رأى فيها مجرد محاولة لإراحة ضميرهم مما جلبه آباؤهم الأوائل على الشعب الفلسطيني، وإيجاد مخرج للمأزق الأخلاقي الذي تجد إسرائيل نفسها فيه. وعلى أية حال فقد اتفق كثير من المثقفين العرب على تفسير ولادة هذه الظاهرة بدخول إسرائيل لمرحلة تتميز بالثقة بالنفس والاطمئنان على الوجود، وهو ما سمح بقبول إخضاع المقولات المقدسة التي لم يكن يسمح بمسها أو حتى التعرض لنقاشها للمساءلة البحثية والأكاديمية. ولعل هذا يفسر إلى حد كبير ارتداد المؤرخ بني موريس بعد اندلاع انتفاضة الأقصى التي أثارت في نفوس الإسرائيليين خوفاً وجودياً، بغض النظر إذا ما كان الخوف العصابي مبرر أو غير مبرر.

فرضية البحث:

ترتكز الصهيونية على جملة من المقولات غير القابلة للتغيير، كيهودية الدولة وديمقراطيتها، وكون إسرائيل المكان الوحيد والمناسب للشعب اليهودي وحقيقة معجزة الانتصارات التي حققتها إسرائيل في حروبها، والادعاء حول الخطر الذي يتهدد الدولة اليهودية، وبالتالي، ماذا كان رأي المؤرخون الجدد في هذه المقولات؟ وهل خرجت أعمالهم في تحليلها للوقائع التاريخية وإعادتها لقراءة الأحداث من دائرة التابو الإسرائيلي إزاء قضايا حاسمة في الصراع العربي-الإسرائيلي، كقضية اللاجئين ومسألة السلام لحل النزاع؟ وماذا كان موقف المثقفين العرب والفلسطينيين من هذه الظاهرة على ضوء ما قدمته من أعمال تاريخية؟ وهل أبدى المثقفون العرب اهتماماً جاداً بالمراجعة التاريخية للرواية الإسرائيلية على يد المؤرخين الجدد؟، وكيف يمكن تفسير الدعوة والحاجة إلى وجود مؤرخين فلسطينيين جدد لمقابلة زملائهم الإسرائيليين في منتصف الطريق؟؟.

إشكالية البحث:

تبحث الدراسة آراء المثقفين العرب والفلسطينيين من ظاهرة المؤرخين الجدد، وما أنتجه هؤلاء المؤرخين من دراسات نوعية في تاريخ الصراع في الشرق الأوسط، والتي شكلت فصلاً مهماً في الهستوريوغرافيا الصهيونية والإسرائيلية الجديدة، وقد وجدت الدراسة أنه على الرغم من الترحيب العربي والفلسطيني باعتراف أبناء القتلة والمغتصبين، بعد طول إنكار وتجاهل، بالظلم الذي وقع على الضحية الفلسطينية، وبشيء من العدل في الموقف الفلسطيني من الصراع، إلا أن المثقفين العرب، وعلى رأسهم المؤرخين، قد نظروا نظرة سلبية إلى هذه

الظاهرة، ورأى معظمهم فيها استكمالاً للمشروع الصهيوني وبناء أساطير جديدة لتحل محل القديمة لتعدو أكثر مقبولة للمجتمع الدولي.

وتمثّلت آراء المثقفين العرب هذه في قلة الكتابات عن المؤرخين الجدد، وعن القضايا التي يطرحونها لاقتناعهم بأن ما يطرحه هؤلاء المؤرخون ليس إلا جدلاً داخلياً إسرائيلياً موثق بمصادر إسرائيلية تصعب على العرب الوصول إليها، كما يمكن إعادة هذا الموقف إلى الأجواء المعادية للتطبيع مع الإمبريالية التي أقامت الكيان الإسرائيلي، بسبب ديمومة الاستيلاء على الحقوق الفلسطينية، وفي كل الأحوال لا يمكن التهوين من أثر أطروحات المؤرخين الجدد في وعي الكثيرين في المجتمع الإسرائيلي، وبالتالي هناك حاجة لاهتمام الأدبيات العربية والسياسية بهذه الظاهرة في مجتمع يضم فلسطينيين وإسرائيليين.

أهمية الدراسة:

تواجه ظاهرة المؤرخين الجدد في إسرائيل جدلاً حاداً حولها، على ضوء تحرّيها التأريخي عن عواقب قيام إسرائيل عام ١٩٤٨، وخاصة استحقاقها للوم في نزوح مئات الآلاف من الفلسطينيين عن ديارهم، وقد تمايزت النظرة العربية والفلسطينية لهذه الظاهرة بين مؤيدٍ أو متحفظ أو معارض لها، لذا فقد سعت الدراسة لتوفير كمّ معلوماتي حول هذه الظاهرة، رغم أن هذا المصطلح لا يعني الشيء الكثير، بل هو الحداثة لما هو قيّم في إطار إعادة قراءة الأحداث المتعلقة بمسألة الصراع العربي-الإسرائيلي، وتأتي أهمية هذه الدراسة من عدة اعتبارات:

١) توضيح نظرة الأكاديميين والمثقفين العرب والفلسطينيين وفهم موقفهم من ظاهرة المؤرخين الجدد، وتسجيل هذه المواقف من خلال ما صدر عن هؤلاء المثقفين من مقالات في ثنايا صحف عربية مثل "الحياة" اللندنية، التي طرحت هذا الموضوع، وقد جاءت النظرة العربية للظاهرة متمايزة في رأيين، ستوضحهما الدراسة ضمن فصلها الثالث.

٢) كما تبرز أهميتها في التعريف بظاهرة المؤرخين الجدد، وتسجيل أهم رموزها، وتوضح العوامل التي ساهمت في بروز الظاهرة، إلى جانب طرح القضايا الحاسمة التي تناولها هؤلاء المؤرخون، والتي كشفت عن مدى التباين في ثقافة المجتمع الإسرائيلي إزاءها، والكشف عن تأثير هذه الأفكار في ظل الدعوة للمصالحة السياسية والفكرية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، مما أدى، في أفضل الحالات، إلى فتح قنوات اتصال أو حوار مباشر بشكل

يختلف عما سبق بين طرفي الصراع (إيلان بابيه كنموذج)، خاصة بعد الانتفاضة التي أثبتت أن هناك شعباً آخر هو "الشعب الفلسطيني" وأنه موجود على أرض الصراع.

٣) الرغبة في رصد التحولات الإيجابية في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية على يد مجموعة صغيرة من جيش المؤرخين الإسرائيليين الجرار، باعتبارها المؤشر على بدء انحياز العقل والذاكرة الإسرائيلية للسلام العادل مع الفلسطينيين.

منهجية الدراسة:

لما كانت الدراسة تتعلق بالتاريخ الجديد وتأثيره في الصراع العربي الإسرائيلي ووجهة النظر العربية والفلسطينية لها، وتتناول الأفكار التي شكلت صدمة في جدار الرضا الإسرائيلي، جاء اعتماد الدراسة للمنهج الوصفي في تحليل ووصف ظاهرة "المؤرخين الجدد".

وهذا المنهج استخدمته الرسالة لمعرفة خلفية الجدل الدائر في المجتمع الإسرائيلي حول هويته وثقافته ووضعه، في معالجة عملية التأريخ الإسرائيلي لأحداث حرب ١٩٤٨ كأرضية لفهم الصراع والجدل الدائر حولها، وقامت الدراسة بتضمين المنهج التاريخي للمنهج الوصفي في دراسات المؤرخين الجدد، والذي يستند إلى تسجيل القضايا التي طرحوها وتحليلها في سياقها الزمني، لاتساقه بموضوعات تاريخية وأحداث انتهت أحداثها وأعيدت صياغتها، بناء على مصادر مكتوبة.

حدود الدراسة:

محور هذه الدراسة الفترة الزمنية الحاسمة في تاريخ النزاع العربي الإسرائيلي، حرب ١٩٤٨ وأحداثها التي لا زال يعاني منها مئات الآلاف من اللاجئين ،واختيار هذه الفترة لم يكن اعتباطياً، خاصة وأن هذا الحدث حدّد طبيعة المنطقة العربية وجعلها تعيش في نزاع دائم مع إسرائيل، وهذه الفترة هامة في كونها شكلت محور أبحاث المؤرخين الجدد في إعادتهم قراءة تاريخ بلادهم، لإحداث خلخلة في البناء الذهني الإسرائيلي لما حدث، وتستحق بأن نمنحها فترة زمنية معقولة من الدراسة بعمق وموضوعية .

صعوبات الدراسة:

نستطيع القول أن الجدل الدائر حول ظاهرة "المؤرخين الجدد"، والذي لا زال مستمراً في أروقة المجتمع الإسرائيلي جعل من الصعوبة بمكان الإحاطة به ، ومعرفة ما يدور حوله، في ضوء المستجدات الحالية، وحداثة الموضوع، مما شكّل صعوبة على متابعته، على الرغم من كثرة الأدبيات (وخاصة العبرية) التي ناقشت هذا الموضوع بشكل دقيق ومتعمق، سواء كانت صحف أو مجلات أو كتب، مما ترك صعوبة أكبر تواجه الباحث الذي لا يجيد العبرية للاطلاع على هذا النقاش، ناهيك عن وضعية الظروف الراهنة وتطور الأحداث في المناطق والتي حالت دون إجراء قنوات اتصال مع الطرف المعني بهذا الموضوع، والذي يمثل جوهر الدراسة ، إضافة إلى ركود نشاط المختصين بهذا المجال (المؤرخين الجدد) في فترة العنف مما يعني ندرة المعلومات الحديثة حولهم، كما أن صعوبة الوصول إلى مراكز بحثية إسرائيلية وعربية في وقت الحصار، وكثرة الحواجز التي قطعت أوصال الوطن بصورة تامة، كان القيد الأكبر الذي حدد نطاق المصادر المعلوماتية للدراسة، إضافة إلى ذلك ما يتطلبه الأمر من مهارات بحثية وجلدٍ طويل في متابعة تنسيق المقابلات مع عناصر البحث، خاصة وان أغلبية المؤرخين الإسرائيليين الجدد تقيم في الخارج، إضافة إلى صعوبة الاتصال وفتح قنوات الحوار مع مثقفين عرب وفلسطينيين تعرضوا لظاهرة المؤرخين الجدد لكون الغالبية منهم مقيم في الخارج، ولم يتعاونوا مع الباحث عبر الإنترنت لإجراء أي اتصال معهم، مما حال دون تحقيق الأمل بالشكل الذي أملته الدراسة وخططت له.

محتوى الدراسة:

إن دراسة الموقف العربي والفلسطيني من ظاهرة المؤرخين الجدد تستلزم سبر أغوار هذه الظاهرة من خلال مقدمة عن التأريخ الإسرائيلي بشكل عام، في حقبة تاريخية هامة تتعلق بحرب ١٩٤٨ والروايات حولها، ومعرفة العوامل التي أدت إلى بروز ظاهرة المؤرخين الجدد، وموقف المثقفين العرب والفلسطينيين المتباين منها، وبالتالي جاءت الدراسة متضمنة ما يلي:

الفصل الأول:

وسيتم فيه التعرض لبواكير نقاش الفهم المعرفي لظاهرة "ما بعد الصهيونية" Post Zionism ومحاولة تعريف ظاهرة المؤرخين الجدد ضمنها، وتحديد العوامل التي ساهمت بشكل

أساسي في نشأة هذه الظاهرة كأرضية نبت عليها جيل من الأكاديميين في وقت شعرت إسرائيل فيه بالثقة بالنفس والجرأة في مواجهة حقبة هامة من تاريخها ، وسيتم الحديث في هذا الفصل عن أبرز رموز ظاهرة المؤرخين الجدد ومؤلفاتهم التي شكلت نقداً مهماً لتأريخ المؤسسة الصهيونية.

الفصل الثاني:

وفيه نتناول أفكار المؤرخين الجدد تجاه أهم القضايا الخاصة بحرب ١٩٤٨ والتي كانت بمثابة المقدسات لإسرائيل، لا يمكن التعرض إليها أو نقدها، تلك القضايا التي تتناول قرار التقسيم، وكون قبول إسرائيل له ما كان إلا خطوة تكتيكية، وحقيقية التفوق اليهودي عدة وعتاداً في تلك الحرب، إلى جانب نقد المؤرخين الجدد للروايات التاريخية الإسرائيلية المتعلقة بطهارة السلاح اليهودي ودور التنظيمات الصهيونية من خلال الكشف عن العمليات الإرهابية التي نفذتها العصابات الصهيونية والتي كانت السبب الرئيس في هجرة مئات الآلاف عن ديارهم، كما ويحاول هذا الفصل تحديد النظرة التأريخية الجديدة من قضية اللاجئين من خلال الكشف عن مسؤولية الطرف المتسبب في هجرة اللاجئين، وحقيقة التعنت الإسرائيلي ورفضه لمقترحات السلام مع العرب قبل ١٩٤٨ وحتى الآن، وينتهي الفصل بالحديث عن تأثير الانتفاضة الفلسطينية في أفكار هؤلاء المؤرخين.

الفصل الثالث:

هذا الفصل يستعرض آراء المثقفين العرب المختلفة من ظاهرة المؤرخين الجدد والتي ظهرت ضمن رأيين:

الرأي الأول الذي اتسم بالترحيب والتحفظ من هذه الظاهرة، والرأي الثاني الذي يعتبر الظاهرة ما هي إلا تنقية للضمير، وهذا الرأي يتصف بالرفض المطلق للظاهرة لاعتبارها استكمالاً للمشروع الصهيوني.

خلاصـــة

في ضوء المستجدات الفكرية التي أتى بها المؤرخون الجدد في المؤسســـة الأكاديميـــة الإسرائيلية، والخدش الذي لحق بالرواية الرسمية الصهيونية، نلاحظ تبني معظـــم المثـــقفين العرب لموقف سلبي من ظاهرة المؤرخين الجدد، وعدم اهتمامهم بهذه الظاهرة المهمة، التي قـد تشكل محاولة لتقريب وجهات نظر الطرفين من الكثير من المسائل العالقة.

حيث يمكن اعتبار أعمال المؤرخين الجدد كبدايـــة لتأسيس حوار بين الطرفين، يقبـــل بعـــدالة حقوق الطرف الآخـــر، وليس عدالـــة الحـــراب.

مراجعة لبعض الأدبيات التي عالجت الموضوع:

شكلت حرب ١٩٤٨ الحقبة التاريخية الأهم التي أشتغل ويشتغل عليها مؤرخو مـــا بعـــد الصهيونية باعتبارها حقبة تأسيس دولة إسرائيل ولكونها تشكل مستودع الرومانسية الصهيونيـــة المدجج بأساطير عدة.

من هنا تأتي أهمية أعمال المؤرخين الجدد من زاوية نزع هالة القداسة عن معجزة قيـــام الدولة، والكشف عن الآثام و الجرائم التي وقعت بحق الفلسطينيين، لينقضوا جوهـــر الروايـــة الإسرائيلية حول صيرورة قيام الدولة وآثارها على الآخرين. ففي بحثه حـــول "ولادة مشـــكلة اللاجئين الفلسطينيين" إبان حرب ١٩٤٨ والذي صدر عام ١٩٨٧ نجـــد بني موريس، أشـــهر المؤرخين الجدد يقـــدم عبر تحليل الوثائق السرية المكشوف عنها في منتصف الثمانينيـــات، أن القوات العسكرية الصهيونية قد مارست بالفعل أساليب طرد وتـــهجير لمئـــات الألـــوف مـــن الفلسطينيين خلال الحرب وبعدها لغاية الخمسينات، وأن الهجرة لم تكن طواعية بتاتا. وقد بحثت الدراسة في سير أحداث الحرب، ونجحت إلى حد كبير في توثيق الأعمال الإرهابية والمجـــازر التي مارستها التنظيمات الصهيونية العسكرية (الهاغاناة، ايتسل، ليحي) وتأثيرها على السكان، لتبرز الدراسة أن هذه الأعمال في معظم الحالات كانت السبب الحاكم والمباشر للهجرة العربية، مما تسبب في بروز مشكلة اللاجئين.

وتكمن أهمية الدراسة في كونها نقضت الرواية الإسرائيلية الرسمية التي ظلت تـــردد أن الفلسطينيين هاجروا بمحض إرادتهم، وبناء على نداءات الحكام العرب كي يخلو ساحة القتـــال

لتدمير الدولة اليهودية، وتقترب هذه الدراسة مما كان ينادي به الفلسطينيون دوما وروايتهم للأحداث .

ولم تكتف الدراسة عند تناول هذه الأمور بل كشفت بطلان الادعاء الصهيوني لتسير إلى انه لم تكن هناك أية حملة إعلامية عربية بالإذاعة أو بالصحافة تطلب من سكان فلسطين الرحيل، بل أكدت الدراسة أن اللجنة العربية العليا لم تكن معنية بهذه الهجرة وأنها كانت تقاومها وتعارضها، لدرجة توعدها بالعقاب لكل من يغادر بلده، وأشارت الدراسة بمنهجية وعلمية بحتة إلى أن فكرة ترحيل العرب ونقلهم إلى الدول العربية المجاورة كانت تشكل الوسيلة الرئيسة لضمان الاستقرار والحفاظ على الطابع اليهودي للدولة .

وعلى الرغم من أن الدراسة قد أوضحت انه لم تكن هناك سياسة رسمية محددة لطرد الفلسطينيين، إلا أنها كشفت أن سياسة الطرد قد حظيت بدعم من بن غوريون منذ أواسط الثلاثينيات بقيام دولة يهودية خالية من العرب، وقد أعطيت الأوامر للقيادات الميدانية بضرورة طرد الفلسطينيين وتنظيف البلاد من العرب، لذلك أيد بن غوريون حل الترانسفير "لمشكلة" العرب الفلسطينيين، وإن لم يكن بشكل علني، كما تم تفريغ وتدمير المدن والقرى والاستيلاء على ممتلكات الفلسطينيين بمنهجية مدروسة.

وجاءت ميزة الدراسة العلمية في اعتمادها في كتابة الأحداث على اقتباسات جديدة لبن غوريون تظهر رغبته في " الترانسفير " وأشارت إلى انه من اجل تحقيق هذا الهدف، فقد تبلور خلال الحرب وما بعدها قرارا بإجماع الزعامات الصهيونية يقضي بمنع عودة اللاجئين إلى ديارهم، وهذا القرار حظي برضى جميع مستويات الحكم في إسرائيل وعمدت إسرائيل في سبيل إنجاح هذا القرار إلى قتل جميع المتسللين بإطلاق النار عليهم، وهكذا بقي اللاجئون الفلسطينيون في مخيماتهم حتى يومنا هذا.

وهناك كتابات بأقلام عربية ناقشت ما ذهب إليه المؤرخون في موقفهم من طرد الفلسطينيين ومنع عودتهم، فكانت دراسة شريف كناعنه " الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير" عام ١٩٩٢ لتؤكد بقناعة تامة انه كانت هناك خطة مدروسة ومبيتة لطرد جميع الفلسطينيين من الدولة اليهودية رغم انه لم يجري البحث والكشف عن هذه الخطة حتى الآن. وهو بذلك يرد

على ما أورده موريس في كشفه الهام . وتأتي دراسة كناعنة لإثبات أن نزوح السكان العرب جاء بشكل رئيس نتيجة لعدوان يهودي صهيوني على القرى والمدن وتجمعات السكان العرب ، ويتفق كناعنة مع ما أورده المؤرخون ووثقه من أعمال إرهابية ومجازر تبث الرعب في نفوس السكان وتحملهم على الرحيل.

وتعتقد الدراسة أن الحقيقة تكمن في أن ترحيل الفلسطينيين وتدمير قراهم ومدنهم لم تكن عفوية بل أتت حسب مخطط مدروس، وخلصت الدراسة إلى القول إلى أن العامل الموحد بين طرد وتدمير جميع القرى والمدن الفلسطينية وما نتج عنه ، لشيء قريب من خطة ترحيل مسبقة ومتعمدة ولو أنها لم تكن مكتوبة ولا مقننة ، مما أسفر عن نمط إدراكي صهيوني خلق لدى الإسرائيليين اتفاقا ضمنيا ساد أثناء الحرب وما زال حتى اليوم حول صحة وعدالة وضرورة طرد الفلسطينيين .

وعلى صعيد تفنيد الرواية الصهيونية التقليدية القائلة بأن العرب ظلوا يرفضون عروض إسرائيل للسلام كانت دراسة آفي شلايم عام ٢٠٠٠، التي حملت عنوانا مقتبسا من نظرية جابوتنسكي " الحائط الحديدي، المفاجأة الأكبر والأهم في الكشف عن استراتيجية الحائط الحديدي التي حكمت سياسات إسرائيل تجاه العرب ، وبموجبها ظلت إسرائيل تقيم حائطا حديديا بينها وبين العرب وترفض السلام .

وتأتي هذه الدراسة لتؤكد استراتيجية إسرائيل المتمثلة في رفض زعماء إسرائيل التوصل إلى السلام مرارا وتكرارا ، حتى عندما توفرت الأيدي الممدودة على الجانب الآخر. وتبين الدراسة فرص السلام التي ضيعتها إسرائيل على طول سنوات النزاع. وتسهب الدراسة في التأكيد على توفر خيار السلام لبن غوريون لو أراد اختياره، لكن أولويات بن غوريون تمثلت في بناء الدولة وزيادة عدد المهاجرين اليهود ، وتدعيم استقلال إسرائيل حديثا ، وتوضح الدراسة إلى أن بن غوريون كان يدرك في قرارة نفسه إلى أن التوصل إلى اتفاقيات سلام رسمية معناه اضطرار إسرائيل إلى التخلي عن جزء من الأراضي التي قضمتها من جيرانها ، والقبول بعودة عدد معقول من اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم.

ومن وجهة نظره كان التوصل إلى السلام لا يستحق مثل هذا الثمن، وتبعته غولدا مائير في تضييع فرصة للسلام مع العالم العربي مما سبب حرب أكتوبر " ١٩٧٣ " وخسارة إسرائيل فيها، وتعالج الدراسة سبب عدم التوصل إلى سلام حتى الآن ناقضة الرواية الرسمية من أن السبب هو "التصلب العربي"، لتثبت أن إسرائيل ما بعد حرب ١٩٤٨ كانت اكثر تصلبا من الدول العربية، لذا فهي تتحمل مسؤولية الانسداد السياسي، وتؤكد الدراسة على أن وزارة الخارجية الإسرائيلية تطفح بالأدلة على مقترحات السلام العربية واستعداد العرب للتفاوض مع إسرائيل منذ ١٩٤٨ حتى الآن، وأرادت دراسة شلايم أن توضح نقطة هامة أن إسرائيل بعدما نجحت في مشروعها الصهيوني لم تكن على عجل لتنشئ اتفاقات سلام مع جاراتها، على عكس ذلك، فقد فهم قادة إسرائيل أنهم أقوى من العرب عسكريا ودبلوماسيا، لذا تم تجاهل مبادرات السلام التي بادر بها السوريون والأردنيون وحتى المصريون في ظل حكم جمال عبد الناصر، ولجأت إسرائيل إلى الخداع، لذا قرر العرب أن إسرائيل لا تستحق الثقة وما من أمل في سلام قريب معها. وتضيف الدراسة أن هناك عاملا آخر انتصب في وجه التوصل إلى السلام ألا وهو الرأي العام العربي.

وتفرق الدراسة بين موقف الحكام العرب والجماهير العربية، لتبين أن الجماهير العربية كانت حاقدة على الدولة اليهودية في أعقاب خسارة فلسطين، في حين كان الحكام العرب على استعداد للاعتراف بإسرائيل والتفاوض معها مباشرة، وحتى التوصل إلى سلام معها، وكان لا بد أن يدفع كل واحد منهم على حدة ثمنا من أراضي دولته مقابل السلام مع إسرائيل، وتؤكد الدراسة القول أن عدم مرونة بن غوريون كانت السبب في عدم الوصول إلى سلام دائم مع العرب لاعتقاد بن غوريون أن الوقت يلعب لصالح إسرائيل، وتخلص الدراسة إلى القول أن أول محاولة لعبور الحائط الحديدي قام بها إسحاق رابين بقبضه على الجمر وقراره التفاوض مع منظمة التحرير مما أثمر اتفاق أوسلو عام (١٩٩٣)، الذي أقر الاعتراف المتبادل بين الطرفين، وبحق كل منهما في دولة على أرض فلسطين التاريخية، هذا الاتفاق كلف رابين حياته على يد متطرف يميني.

منذ ذلك الوقت تعرضت مسيرة السلام للعديد من الهزات القوية نتيجة لعودة الفكر المتعنت لحكام إسرائيل سواء في عهد نتنياهو أو ايهود باراك، وأخيرا شارون الذي ينوي إعادة الحائط الحديدي مرة أخرى سياسيا وعمليا من خلال تنفيذ سياسة الفصل للمناطق الفلسطينية

وعزلها عن أراضي إسرائيل. وهذه الدراسة مفيدة لمن أراد أن يأخذ صورة واضحة ومتسلسلة وبشرح مفصل لخلفيات القرارات والمواقف السياسية الإسرائيلية، وفي تبيان حقيقة ما كان يجري من أحداث إبان الحرب وبعدها.

وفي كتاب من تحرير المؤرخ آفي شلايم عنوان " حرب فلسطين: إعادة كتابة تاريخ حرب ١٩٤٨ " ٢٠٠١ ، عاد شلايم إلى حرب ١٩٤٨ وهو الحدث المفصلي الأكبر في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، ليعيد كتابة تاريخ تلك الحرب مستخدما ما كشف من وثائق رسمية كانت في قيد الأسرار ليتحدى به جملة المقولات التقليدية حول تلك الحرب ومسارها، والتحضير لها ونتائجها، حيث طرحت دراسته تفاصيل ما قبل الحرب خاصة على صعيد العلاقات السرية التآمرية بين الوكالة اليهودية وزعماء المنظمات الصهيونية من جهة وبعض الأطراف العربية من جهة أخرى، فأشارت الدراسة إلى الاجتماع السري بين الملك عبد الله (ملك الأردن)، وغولدا مائير (ممثلة الوكالة اليهودية) في ١٧/تشرين الثاني " ١٩٤٧ " قبيل الحرب، حول موافقة الملك عبد الله على قرار التقسيم، واتفق الطرفان على أن يحتل الجيش الأردني الجزء المخصص للعرب وفق قرار التقسيم، وتعهد الملك عبد الله ألا يصل الجيش الأردني إلى المناطق المخصصة لإسرائيل والتزم بذلك.

وأشارت الدراسة إلى أن إسرائيل لم تحترم هذا الاتفاق واحتلت أجزاء من الأراضي العربية متجاوزة قرار التقسيم، كما وتكشف هذه الدراسة عن اتصالات قبيل الحرب بين زعماء منظمة الهاغاناة، وفوزي القاوقجي قائد جيش الإنقاذ. في المقابل شنت قوات الهاغاناة معركة كبيرة لفتح طريق القدس – تل أبيب ، فيما تنكر الرواية الرسمية الإسرائيلية وجود مثل هذه الاتفاقات .

وكانت دراسة " ايلان بابيه " والتي حملت عنوان صناعة الصراع العربي الإسرائيلي عام ١٩٩٢ قد اعتبرت أن الحركة الصهيونية كانت قد نشأت كحركة قومية متأثرة بتصاعد القومية الأوروبية، لكنها ما لبثت ان تحولت إلى حركة كولونيالية استعمارية ترفض كل محاولات السلام وتسعى من اجل ديمومة النزاع، وتحمل هذه الدراسة الجانب الإسرائيلي وحكوماته جزءا أساسيا من مسؤولية المأساة الإنسانية التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، وباقي المسؤولية تقع على عاتق زعماء فلسطين والحكومة البريطانية آنذاك، وتفند الدراسة ادعاءات

زعماء إسرائيل القائلة إن الانتصار في حرب ١٩٨٤ كان معجزة، لتوضح ان الفلسطينيين هم الذين كانوا عرضة لخطر الإبادة وليس اليهود كما اعتاد الرواة الترويج له من أن اليهود كانوا معرضين لعملية هولوكوست جديدة، وأشار بابيه إلى أن الفلسطينيين كانوا ضحية تطهير عرقي نفذت من خلاله مجازر عدة واسعة النطاق، وكشفت الدراسة عن التفوق العسكري اليهودي في معظم مراحل الحرب وهذا ما أجمعت عليه دراسات المؤرخين الجدد وأبحاثهم .

ويمكن اعتبار دراسة المؤرخ والكاتب توم سيغف الصادرة عام ١٩٨٤ وتحمل عنوان: الإسرائيليون الأوائل، أول ضربة قاصمة للمقدسات الإسرائيلية السائدة، حيث نزعت هذه الدراسة هالة القداسة عن الآباء الأوائل من "المهاجرين اليهود" والذين سادت الأسطورة انهم كانوا تجمعات تعاونية متحابة مع العرب، ليكشف سيغف أن تجمعات اليشوف لم تكن كما قيل من قبل واحة من العدل والمساواة، بل أنها كانت تجمعات عدائية للآخر العربي، وهذه التجمعات لم تكن محط اضطهاد العرب كما هو السائد في المخيلة الإسرائيلية المحلية، وبينت الدراسة اعتمادا على الوثائق الرسمية الإسرائيلية وملفات وزارة الخارجية، الكثير من المعلومات والأسرار المتعلقة بالنهج الصهيوني في اغتصاب الأرض.

وقدمت الدراسة وثائق تدين قادة الحركة الصهيونية وتبين سرقة ونهب الأموال من قبل قادة الحركة الصهيونية والجنود، وتشاجرهم حول الغنائم، إضافة إلى وثائق وملفات تحتوي معلومات عن سياسة إسرائيل تجاه العرب والمتعلقة بطرد السكان ومنعهم من العودة، وأشارت الدراسة إلى أعمال الإرهاب والمجازر التي ارتكبها رجال ايتسل وليحي، خاصة مذبحة دير ياسين، لتؤكد أنها كانت منعطفا في تاريخ النزاع العربي- الإسرائيلي ، وأنها من الرموز الشنيعة في كل الحروب .

وثمة أدبيات مسحناها تناولت النظرة العربية والفلسطينية للأفكار الما بعد صهيونية تتضمنها ثنايا صحف مختلفة، من أهمها صحيفة "الحياة اللندنية ". وبالنسبة للدوريات العربية فقد أفردت مجلة الكرمل أكثر من غيرها صفحاتها للمواضيع التي تعالج نقد الصهيونية، و "ما بعد الصهيونية" ودراسة علم الاجتماع النقدي، كما اهتمت مجلة الدراسات الفلسطينية الصادرة باللغة الإنجليزية Journal of Palestinian Studies بالموضوع بشكل كبير وأفردت كالكرمل صفحاتها لأقلام المؤرخين الجدد، إضافة لترجمات لصحف عبرية منها هآرتس ويديعوت

أحرونوت، عالجت موضوع ما بعـد الصهيونية، وفي الدراسة قائمة بأدبيات عديدة استخدمناها في دراستنا، سيجدها القارئ في القائمة المختصة بالمصادر والمراجع.

"التاريخ الإسرائيلي ومهمة المؤرخ

(حرب عام ١٩٤٨ نموذجا)

مقدمة:

لا يكتب التاريخ إلا المنتصرون، هذه المقولة ليست حكما صادرا من أروقة محكمة "لاهاي" الدولية، خاصة إذا كانت الانتصارات العسكرية لدولة ما كإسرائيل، نتيجتها احتلال أرض الآخرين، ومصادرة حرية شعب، فالتاريخ الذي كتبه المؤرخون الإسرائيليون كان مشوها، ترجم روح القهر والتمييز وفرض سياسة الأمر الواقع، وجعل من الصعب "الافتراض أن كتابة التاريخ الإسرائيلي قد تمت في فراغ اجتماعي، أيديولوجي"[١]. كانت الجامعات ولا تزال جزءا من المصنع الصهيوني الذي تجند فيه النخبة الأكاديمية لخدمة المشروع الصهيوني وإنجاحه، وقد لجأت هذه النخبة إلى استخدام إستراتيجيات لتوظيف التاريخ كأداة قوية في رسم صورة إيجابية لإسرائيل وامتنعت عن ذكر أية تفصيلات، من شأنها أن تضفي صبغة سلبية على إسرائيل.

لقد عملت الصهيونية خدمة لأهدافها، على التوفيق بين الالتزام بالصهيونية من جهة، وبين الجهد المبذول لتلبية المعايير الأخلاقية المهنية من جهة أخرى في إطار تاريخ سوسيولوجي خدمة للدين اليهودي، وكان دور المؤرخ بحسب (إيلان بابيه)، "محصورا في إعادة بناء معجزة حرب " الاستقلال " كما تسميها كتب المؤسسة الصهيونية، ولم يأت على ذكر العرب إلا على أنهم مشقة أخرى كان على اليهود التعامل معها"[٢].

وقد كان غياب المأساة الفلسطينية من التاريخ الإسرائيلي دالا على نظرة استشراقية أكثر عموما، تجنب فيها المستشرقون الإسرائيليون ذكر الفلسطينيين، وأبرز هؤلاء المستشرقين يهوشوا بورات* والذي حاول صياغة رواية متوازنة بشأن الفلسطينيين، ولكنه لم يتناول حرب ١٩٤٨"[٣]. وقد تم تجاهل الفلسطينيين على أنهم موضوع غير نظري، فهم أشخاص وقعوا ضمن مؤامرة يشترك فيها كل العرب لإبادة الدولة اليهودية التي تحارب من أجل وجودها.

وبعد. كتاب "كيث وايتلام" المؤرخ الأسكتلندي المتخصص في تاريخ الشرق الأوسط، والذي حمل عنوان **اختلاق إسرائيل، إسكات التاريخ الفلسطيني ١٩٩٩** ، خير دليل على ذلك،

---

* بروفيسور في التاريخ في الجامعة العبرية.

حيث شكك فيه المؤلف في مملكة إسرائيل القديمة، وأكد أن دولة إسرائيل بالمحصلة هي تلفيق صمم ليترافق مع محاولة الصهيونية، في القرن العشرين، للسيطرة على الأرض بنزعة توراتية [٤].

وقد تضمن الكتاب فرضيات حول تاريخ إسرائيل التوراتي، ليشعر المرء من خلاله، بفداحة نكبة فلسطين، وخطورة الصهيونية وبشاعتها، وأولى هذا الكتاب اهتمامه بخطاب الدراسات التوراتية، كجزء من الاستشراق الصهيوني، الذي كان على رأس أهدافه تغييب الفلسطينيين وتجاهلهم، وكان الاعتداء على فلسطين وعلى الذاكرة الجماعية الشعبية، متقنا ومصادقا عليه، ليتم بذلك بناء تاريخ لليهود يتلاءم مع غايات الصهيونية بوصفها حركة سياسية، على يد الرعيل الأول، من المؤرخين اليهود، الذين تحركهم دوافع سياسية، ومصالح تتعلق بالأوضاع الحاضرة، لإعادة كتابة التاريخ اليهودي، واختلاقه ضمن تصور صهيوني، مما أدى إلى اختلاق هوية قومية جماعية جديدة للشعب اليهودي[٥].

وقد بذلت إسرائيل اعتمادا على خطابها التوراتي جهدا كبيرا لفهم ماضيها معتقدة بروايتها الرسمية كمظهر من مظاهر الهوية القومية،منكرة صوتا مسموعا لروايات بديلة، وما لبث أن أضحى التراث التوراتي، المصدر الأساس للمؤرخ الإسرائيلي، الذي ينتج تاريخا يتخذ شكل الكيان الموحد الذي يبحث عن مساحة من الأرض، ويكافح من أجل الإبقاء على هويته القومية وعلى الأرض من خلال الأزمات التاريخية[٦].

كما لجأ الكيان الإسرائيلي عبر مؤسسته الأكاديمية، إلى احتكار كتب التاريخ، عبر القنوات الدراسية المختلفة، مرتكزا على أيديولوجية مستمدة من أساطير لتغييب الشعب الفلسطيني. والمتابع للبليوغرافيا التاريخية لإسرائيل، من خلال الخرائط وأعمال المسح الميدانية، (surveys) يلحظ التهميش المتعمد، والطمس المتواصل، لمعالم فلسطين من خلال إطلاق أسماء عبرية، على الأرض الفلسطينية، لإعطاء شرعية للوجود الإسرائيلي، مثل استبدال اسم "المأمون" بـ "آفي مأمين"، واستبدال اسم شارع "أحمد شوقي" بـ "غوش عتصيون"، وهي سياسة إسرائيلية متعمدة هدفها محو وإلغاء المعالم العربية للمدن، والشوارع، والقرى الفلسطينية، التي هجر أهلها عنوة إبان حرب "١٩٤٨"[٧].

وانطلاقا من شعار "العودة إلى أرض خالية وصحراء قاحلة "، كانت إسرائيل في رأي الصهيونية هي الدولة الديموقراطية الوحيدة، في الشرق الأوسط القادرة على إصلاح هذه الأرض، وكان التاريخ الإسرائيلي، هو التاريخ الوحيد الجدير بالدراسة، إضافة إلى أن المؤرخين الإسرائيليين، كثيرا ما نظروا إلى المجتمع الفلسطيني في الثلاثينيات من هذا القرن، على أنه مجتمع مفكك داخليا، وقبلي، وغير قادر على تنظيم نفسه (الفترة التي شهدت بداية الهجرة الصهيونية المنظمة إلى فلسطين) فعمدوا إلى إنكار الحقوق الفلسطينية، وتم استبعاد تاريخهم وصوتهم في خضم البحث المستميت عن إسرائيل القديمة(٨).

من هنا التزم المؤرخون الإسرائيليون الأوائل، أيديولوجية صهيونية، في كتابة أعمالهم، دون التحرر من عملية "التكوما" (الانبعاث) التي هي تعويض بائس، عن فظائع الهولوكوست، فنجد غرشوم شوليم Gershom Sholem (مؤسس مجلة صهيونية)، قد استصعب التحرر من تأويلات يهودية للتاريخ اليهودي، ولم يستطع أن يقترح تسوية خاصة به(٩). وهذا التاريخ ما زال مضطرا، لمواجهة مفاهيم، تتعلق بالشرعية والهوية للشعب اليهودي، وطبيعة الهوية الجماعية، وما تقوم به الأبحاث من عملية تأريخ يهودي جديد لإسرائيل، ما هي إلا محاولة، لإضفاء شرعية ومصداقية للصهيونية، حيث حاولت مؤسسات تعليمية عدة، من بينها "مدرسة أورشليم" (إحدى مدارس المؤرخين)، أن تعيد صياغة تاريخ إسرائيل، بحيث تكون أرض إسرائيل في المركز، بصورة لا تقبل الجدل والنقض على الأقل في الوعي، مما يعني لجوء الصهاينة إلى تزوير التاريخ اليهودي، وإعادة تأويله تأويلا نمائيا يجعله في خدمة الصهيونية، وأصبحت كتابة التاريخ سلاحا وأداة أيديولوجية"(١٠).

وكان الأجدى، أن يكتب التاريخ الفلسطيني بشكل علمي وموضوعي ودقيق، لأن الفلسطينيين هم أصحاب هذه الأرض، ولهم فيها تاريخ وثقافة وحضارة، لا الصهيونية، التي هي حركة استعمارية، فرضت رغما عنا، ونجحت بدعم وتأييد غربي منذ البداية (بريطانيا والولايات المتحدة) والذي ما زال يقدم لـ "مجرم صبرا وشاتيلا " شارون الدعم في قصفه للمدنيين بطائرات الأباتشي و " F16 " أمريكية الصنع.

ومن المفيد هنا، أن يباشر العرب بتوليد فكر عربي، متفاعل ومتناغم مع الحاضر، يعمل على تعبئة الرأي العام العالمي، في وجه هذا التزييف الصهيوني المتعمد للتاريخ،

وضرورة معرفة وتدبر الكتب الصهيونية، برؤية واضحة، لخدمة مصالحنا القومية، وبخاصة اكتشاف خبايا ومؤامرات الكيان الصهيوني، ضمن تاريخه الملفق، الذي يكتنفه الغموض، ولسنا في صدد البحث في المسائل الغامضة في التاريخ اليهودي.

ما أريد قوله، أن معرفة التاريخ اليهودي، أمر ضروري بغية كشف زيف الصهيونية، وخدعها السياسية،التي استطاعت السيطرة على فلسطين، إلى أن تيسر لها أن تطرد شعب فلسطين من أرضه، وتطبيقها لفكرتي عبرنة الأرض وعبرنة العمل، ومعرفتها خطتها التي تقضي "بإبادة الشعب الفلسطيني، وتغييب اسمه من التاريخ"(١١).

ومن هنا نجد، أن الاتجاه السائد في كتابة التاريخ الإسرائيلي، قد واصل استنادا إلى أساطير مؤسسية للصهيونية، في ادعاءاتها أنها سليمة خلقيا، من كل الشوائب التاريخية(١٢). وقد غرست الصهيونية، في رؤوس وقلوب أطفالها، وشبانها، المبادئ الجديدة التي قامت عليها، واستطاعت أن تقنعهم أن اليهود هم شعب الله المختار، وان الأساطير اليهودية القديمة، هي حقائق تاريخية لا تقبل الدحض أو التشكيك، باسطة أمام عيونهم، بطولات اليهود في المعسكرات النازية، والأخلاق السامية، التي تحلى بها الجنود الإسرائيليون، خلال الحروب التي خاضوها ضد العرب، دافنين المجازر البشعة التي اقترفوها في القرى والمدن الفلسطينية، وهذا يقودنا للحديث عن ماهية التأريخ، وأدوات عمل المؤرخ، "فالجرأة النقدية في التعاطي مع مسلمات التاريخ وحقائقه، سواء كانت من نافذة علماء الآثار أو التاريخ أو علماء الاجتماع الانتقاديين،من شأنها إذا ما وجدت آذانا صاغية، ولاقت قبولا -ولو محدودا- إن تحرر المجتمع الإسرائيلي من الطوق الأيديولوجي القاسي، الذي لفه منذ عقود"(١٣).

تبرز الإشكالية في المجتمع الإسرائيلي، أنه من أجل إنجاح مشروعه السياسي، ونشره في الفضاء الغربي، لا بد من توجيهه إلى الماضي الشائك بأساطيره القديمة، ورواياته الواهية، مما يدين واضعي هذا المشروع من ناحية أيدلوجية وسياسية ، لأن عملية كتابة التاريخ، ليست معرفة مستقلة عن الوسطين الأيديولوجي والسياسي، وأنها في مجال التاريخ الإسرائيلي، عملية تشكيل سيطرة يهودية صهيونية يتوقف على المؤرخ إنجاحها وتحقيقها(١٤). وللمؤرخ دور فاعل في نقل المعلومات بما يتمتع به من سمات تتمثل بقدرته وسعة إدراكه، خاصة إذا توافرت لديه المعلومات والمادة العلمية اللازمة، و تبرز مسؤولية المؤرخ في كلا الطرفين (المنتصر

والمهزوم)، في النظر بعقلانية، وموضوعية، إزاء قضايا تاريخية، حيث كان المؤرخ الإسرائيلي ولسنوات عدة،يصمت عند العديد من القضايا الحساسة وإزاء حالة من الإنكار للعديد من الأحداث، مثل طرد العرب والمذابح التي جرت خلال حرب ١٩٤٨[١٥]. ففي كتابة التاريخ كشف للصراعات الداخلية لمجموعات النخب المختلفة سواء الثقافية أو العسكرية أو الاقتصادية، وبالتالي يتوجب على المؤرخ التعامل مع هذه الصراعات بوعي واهتمام كبيرين، "وأن يتحمل المسؤولية تجاه هوية شعبه الذي يكتب تاريخه، ويسجل الحقيقة أو إقرارا بالحقيقة حول الأحداث محط النزاع، وأن يبقي نظرة أوسع على طبيعة مهنته وانضباطه"[١٦].

والتاريخ العربي للأسف قصر في تدوين أحداث النكبة وإعادة كتابة التاريخ تبعا" للنقد الذاتي الموضوعي، والوقوف على دقة وتفاصيل ما حدث، إلا ما ندر من الأدبيات والدراسات النقدية الذاتية، نذكر منها كتاب "**معنى النكبة ١٩٤٨** " للمؤرخ اللبناني قسطنطين زريق، ومقالات لمجموعة من المفكرين العرب جمعت في كتاب "**المأزق العربي ١٩٨٦**"، وكتاب "**رهانات النهضة في الفكر العربي ٢٠٠٠**"، لماهر الشريف، وكتاب **الحوار والصدام في الثقافة العربية المعاصرة** ٢٠٠١، لحامد خليل، وكتب محمد حسنين هيكل دراسات بعنوان سياحة صيف في الوثائق الإسرائيلية، عمل فيها على إعادة تقويم الحرب الفلسطينية الإسرائيلية. لكن يبقى افتقار المفكرين العرب للمواد الهامة حول الحرب، وعدم وجود قانون يسمح بفتح الملفات المؤرشفة بعد ثلاثين عاما في الدول العربية، حائلا دون أن يجدوا أي دعم لأي تعديلات انتقادية للتاريخ، ولا ننسى الحد من حرية التعبير في الأبحاث النقدية التي تمارسها الدول العربية.

أما على المستوى الفلسطيني، فلم نشهد للفكر السياسي الفلسطيني غير تنظير فصائلي ذي طابع سجالي مرتبط بحركة الفعل السياسي الحاضر وتموجاته، وفي هذه العجالة لا يمكننا رصد ذلك، لكن لنا أن نتساءل: هل يمكن أن يبدأ نقد ذاتي فلسطيني عبر حوار وطني حقيقي، يؤسس لمراجعة نقدية شاملة للذات، قائمة على القراءة التاريخية النقدية للفكر والتاريخ والواقع؟؟. نأمل أن تنشر دراسات تثبت وجود نقد ذاتي، وإعادة كتابة تاريخية لنكبتنا وأحداثنا، في وقت قريب. في مقابل ذلك فقد توفر لدى المثقفين الأكاديميين الإسرائيليين، مواد أرشيفية ليصبح في مقدورهم البحث في تاريخ إسرائيل من خلال الإحاطة بالتاريخ الانتدابي لفلسطين منذ بدايته وحتى نهايته، وبالتالي كانت أعمالهم ثمرة القطاف لأحداث حرب ١٩٤٨، وقد بينت أعمالهم أن الأمر في نجاح الصهيونية لم ينطو على معجزه أو حدث خارق للمألوف، وكشف الصفقات المزدوجة والاتفاقات

المشبوهة التي أبرمت من أجل ترانسفير العرب خارج فلسطين، ومسؤولية إسرائيل عن خلق مشكلة اللاجئين وعن الطريق المسدود في عملية السلام مع الفلسطينيين.

وعملية التاريخ الجديد، قد أعادت تقويم المصادر الموجودة التي استخدمها المؤرخون القدامى، وبحثوا عن مصادر جديدة، وقدموا نقدا تاريخيا في إطار جدل تأريخي ممتزج بجدل شعبي حول مستقبل الإسرائيليين وماضيهم، مما أسهم في ظهور توجهات تاريخية "ما بعد صهيونية " أو "ما بعد حداثية " في المجتمع الإسرائيلي، "فقد كانت مسافة الخمسين عاما الماضية ضرورية لفحص علاقة اليشيوف (تجمعات المستوطنين) بالهولوكوست، بحرب الاستقلال بنشوء مشكلة اللاجئين العرب أو بالموضوعات الأخرى، وكلها لم تعد من المحرمات، بل أصبحت تشكل جزءا من الخطاب الثقافي الإسرائيلي بين المؤرخين الجدد أو علماء الاجتماع النقديين، والمؤرخين القدامى"(١٧).

وكان أول من شخص الانعطاف الحاصل في الكتابة التاريخية في إسرائيل في منتصف الثمانينيات " بني موريس " الذي أشار إلى أعمال بحثية رائدة، بأقلام جيل جديد من المؤرخين الإسرائيليين، قد نضجت مداركهم، في الفترة التي تلت حرب الأيام الستة، لينتجوا أبحاثا أكاديمية، تقوض الآراء السائدة في إطار نقاش جدلي، حيث بحث موريس في كتابه **ولادة مشكلة اللاجئين ١٩٨٧**، عن اللاجئين الذين غدوا في نظره محور وأصل النزاع العربي الإسرائيلي منذ **١٩٧٧**، وغدا الفلسطينيون، الطرف الذي ينبغي تعويضه من أجل حل هذا النزاع عن المظالم التي سببتها له الصهيونية الاشتراكية منذ عدة عقود ، وأكد فيه أن خروج الفلسطينيين من ديارهم لم يكن بأمر من الحكومات العربية ولكنه كان نتيجة الحرب وليس نتيجة تخطيط عربي أو يهودي مسبق(١٨).

تجلت الغاية الأساسية لهذا "التاريخ الجديد" في الكشف عن الحقائق المغيبة التي دفنت في الأرشيفات، وظهرت بذلك كتب في هذا المجال نذكر منها **كتاب عالم التبدلات** صدر عام ١٩٩٩ من إعداد داني يعقوبي، الذي لاقى هجوما عنيفا، ففي أول تصريح نطقت به " ليمور ليفنات " من حكومة شارون،فور تبليغها بأنها ستتسلم حقيبة التربية والتعليم، قالت إنها ستكون متراسا أمام ما سمته " إدخال مضامين ما بعد الصهيونية في المنهج التعليمي الإسرائيلي، وفور تسلمها الحقيبة،قامت بإلغاء كتاب التاريخ "عالم من التبدلات" بدعوى أنه يشمل نواقص خطيرة خاصة

فيما يتعلق بتأريخ شعب إسرائيل {...} ولا توجد فيه صورة كافية للزعماء اليهود والصهاينة {...} وليس فيه حتى صورة واحدة لإعلان قيام الدولة "[١٩].

أما سائر المواضيع الحساسة المتعلقة بالنزاع العربي الإسرائيلي، ومنها جرائم التطهير العرقي وممارسات الاستيطان الاستعماري الكولونيالي ومسألة اللاجئين، فقد تكرس المنهج الذي يندرج في إطار " المفهوم ضمنا " أو المسكوت عنه، وظهر أيضا كتاب لتدريس التاريخ للصف التاسع للمؤرخ "آيال نفيه" حمل عنوان "**القرن العشرون على عتبة الغد** " (عن منشورات " سفري تل أبيب"). وقد تعرض لضجة كبيرة، حيث أعتبر " أول محاولة من نوعها لتدريس تاريخ جديد حول حرب ١٩٤٨" في المدارس العبرية، وكشف هذا الكتاب أن المقاتلين اليهود في حرب "١٩٤٨" كانوا أكثر تسليحا وتقانة من المقاتلين الفلسطينيين والعرب، وبالتالي فهي لم تكن طبعة أخرى من معركة داود ضد حوليات ويعد هذا الكتاب استدراكا للأسطورة التقليدية، وهذا دليل على القيود المفروضة على كتب التاريخ في المدارس الإسرائيلية وما تتعرض إليه من فحص ومراجعة دون غيرها من الكتب[٢٠].

ولم تسلم حتى المحاكم، ولا الجامعات الإسرائيلية من مراقبة ومراجعة لما كتب ويكتب حول الحرب، بحيث ظهرت النكبة في المحكمة الإسرائيلية ممثلة لمجزرة الطنطورة * كنموذج على ما حدث إبان الحرب، وبرزت الإشكالية في إمكانية أن تقرر المحكمة أنه وقعت مجزرة في الطنطورة عام "١٩٤٨" بالفعل، وهل يمكن أن تقرر المحكمة إذا كان البحث الذي كشف المجزرة صالحا كعمل بحثي أكاديمي أم لا ؟.

وقد كان بطل هذا الكشف باحثا إسرائيليا من كيبوتس "نمان شموئيل ". ويدرس في جامعة حيفا، يدعى تيدي كاتس الذي أنهى في آذار ١٩٩٨ أطروحة ماجستير في قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة حيفا، تحت عنوان " **خروج العرب من قرى الكرمل الجنوبي العام ١٩٤٨** "، كتب بدقة بحثية وعلمية، عن طرد وتشريد أهالي الطنطورة الواقعة على شاطئ البحر على بعد ٢٤ كم إلى الجنوب من حيفا، فقد احتلتها قوات الكسندروني وذبحت (أكثر من ٢٠٠ فلسطيني) من أهلها وطردت من بقي حيا من سكانها بداية إلى قرية الفريديس، ثم الى خارج الرقعة التي كانت إسرائيل تحتلها في صيف ١٩٤٨ [٢١].

---

*قرية في قضاء حيفا، هاجمتها قوات الهاغاناة ليل ٢٢/-٢٣/مايو/١٩٤٨.

وليس من قبيل الصدفة، أن تأتي الرواية الرسمية الإسرائيلية حتى والرواية العربية عن الحرب خلواً من أي إشارة إلى ارتكاب هذه المجزرة، فقد حرص المؤرخون المنافحون عن الصهيونية على إخفاء أي ذكر للمجازر ومن بينها الطنطورة، لكن هذه الرواية لا تصمد أمام النقد المنطقي، وبما أنه لم تصدر حتى الآن رواية عربية موثقة للأحداث، تشكل الرد القاطع على التزييف الإسرائيلي، كما في دراسة وليد الخالدي عن دير ياسين، فإن بعض المؤرخين الإسرائيليين (الجدد) قد تعرضوا بالنقد الخجول للرواية التقليدية دون استخلاص النتائج الناجمة عن الجهد في هذا المجال، حيث أن أحداً من هؤلاء المؤرخين لم يأتِ إلى ذكر المجزرة (الطنطورة) حتى كشف النقاب عنها (كاتس) بعد نحو ٥٢ عاماً على وقوعها، فلم يتطرقِ توم سيغف في كتابه "**الإسرائيليون الأوائل ١٩٤٩، ١٩٨٤**، إلى الطنطورة قط، ومثله آفي شلايم في كتابه " **سياسة التقسيم** " (جامعة كولومبيا،١٩٩٠) بينما أكد بني موريس وجود قرار مركزي باحتلال الطنطورة وطرد أهلها، ولكنه يغفل وقوع المجزرة [٢٢].

وقد امتدح إيلان بابيه بحث كاتس، لجمعه بين الوثائق المكتوبة والشهادات الشفوية كما انتقد موقف المحكمة والجامعة في معارضتها لهذا البحث وكتب ليقول:" أخجل من موقف الجامعة، لم تدرك أن الحديث هنا يجري عن النضال من أجل الحريات الأكاديمية، ولا يجوز مقاضاة باحث أكاديمي، البحث التاريخي ليس علماً دقيقاً، وإن تنصّل الجامعة أمر مهين، لا تستطيع المحكمة أن تقرر بإدارتها الخاصة إذا وقعت مذبحة أو لم تقع في الطنطورة* " [٢٣].

وبسبب موقفه هذا، يخضع الآن إيلان بابيه لإجراء طرد من جامعة حيفا بعد أن تلقى استدعاءاً للمحاكمة، وفي هذا الإطار وجهت لجنة اليقظة من أجل سلام حقيقي في الشرق الأوسط، والتي تضم جامعيين معروفين ودبلوماسيين نداء إلى السلطات الأكاديمية الفرنسية والأوروبية بتاريخ ٢٠٠٢/٥/١٦ ، للتدخل على الفور لوقف الملاحقات بحق بابيه، كما دعت اللجنة إلى تدخل اليونسكو والبرلمان والمفوضية الأوروبية، معتبرة" أن التهديدات التي تواجه بابيه تحمل مخاطر كبيرة للمستقبل ، ودانت المحاكمة معتبرة أنها تندرج في إطار مناخ مكارثي بات يثقل على المجتمع الإسرائيلي" وستدفع الجامعات والمثقفون والصحفيون ثمن هذا المناخ لأنهم لا يقبلون الانسياق وراء هذه الذهنية[٢٤] .

---

* انظر سعيد عياش: "التفاصيل الكاملة لمجزرة الطنطورة" (القدس – قدس برس). المركز الفلسطيني للإعلام. ٢٠٠١/٤/٢٢.

وقد وجه بابيه رسالة عبر الإنترنت كتب فيها "جاء الوقت في إسرائيل لإسكات كل الأصوات الداعية إلى الحرية في الجامعات"*، وعبّر فيها عن أسفه في الوقت ذاته "لغياب الحرية في الوسط الأكاديمي الإسرائيلي"، وأعرب باورخ كيمرلنغ عن استغرابه لموقف المحكمة، وتتّصل الجامعة من أحد طلابها وعدم وقوفها إلى جانبه، وتساءل " هل من الآن فصاعداً سيضطر كل باحث الى المجازفة والتعرض الى دعاوى قضائية والخضوع لاعتبارات غير علمية " (٢٥).

لقد نسف كاتس، في بحثه السابق، وتمحيصه الحازم ، ونقده المثابر، الرواية الإسرائيلية التقليدية جملة وتفصيلا، وتكمن أهمية بحثه هذا، في إثبات وقوع هذه المجزرة بشكل لا يرقى إليه الشك من قبل المنافحين عن الصهيونية، حتى لو نُبشت المقبرة الجماعية، وظهرت عظام الضحايا كدليل صدق وشهادات حقة على ما كشفه كاتس (٢٦).

هكذا نجد؛ أن أحد الضمانات الفعالة في التاريخ وعدم تزييفه، هو السجل الشخصي لأفراد عاشوا الأحداث المرافقة لها، سواء كان ذلك بالتأريخ الشفوي لها، أو التعبير الذاتي عنها. ولا يفهم اعتماد التاريخ وكتاباته، بشكل أساسي على الرواية الشفهية كمصدر من مصادر المعرفة التاريخية، دون الاعتماد على الوثائق المكتوبة، علماً بأن الذاكرة تتعرض للقصور والخطأ،وهذا ما حذر منه المؤرخ العربي المشهور، "عبد الرحمن ابن خلدون " (١٣٣٢-١٤٠٦م) في مقدمته، (ص٩-٣٣) حيث أوضح أن "الرواية الشفهية لا تفي، بالغرض، وتحيد عن الصواب"(٢٧).

تلك إذن أزمة حقيقية، يعيشها كل من أراد أن يكتب حقيقة ما حدث، وبهذا يمكن أن نفرق – كما أشار موريس – بين "مؤرخين قدامى" و "آخرين جدد"، فالقدامى ملتزمون بالأيدلوجية فزوروا من أجل إخفاء الجرائم التي ارتكبت بحق الفلسطينيين، أما الجدد فقد التزموا بالموضوعية والواجب المهني في إفشاء الحقيقة، فكتبوا تأريخاً جديداً بنظرة نقدية، وقدموا أبحاثاً موثقة بصورة جيدة (٢٨). بهذا فندّ المؤرخون الجدد أساطير لاهوتية فبركها الإسرائيليون الأوائل خدمة "لمشروعهم الصهيوني"، وقد عملت الأدبيات الصهيونية على إنكار وجود الشعب

---

* انظر: جريدة الأيام (رام الله)، ١٧،٥،٢٠٠٢: ص٦.

الفلسطيني وطمس واقعه الاجتماعي والسياسي والمادي، لدرجة "أن هناك روايات حول عدم معرفة القادة الصهاينة الأوائل بوجود السكان الفلسطينيين، فقد تخيلوا الأرض خالية من السكان، لكنهم أصيبوا بالصدمة فور اكتشافهم وجود العرب، غير أن من يراجع كتابات بعض المثقفين الصهاينة في نهاية القرن العشرين سيكتشف أن وجود السكان الأصليين، كان معروفاً لديهم و مطروحاً كمسألة أخلاقية"(٢٩). حيث كتب آحاد هاعام* ، بعد زيارة قام بها إلى فلسطين في عام ١٨٩١ بأنه "كان مألوفاً في الخارج التفكير بالعرب كمتوحشين يقطنون الصحراء، لكن هذا كان خاطئاً، فالعرب: أمة سامية تمتاز باتقاد الذهن والإرادة، تجيد التجارة" (٣٠).

هكذا، كان على الصهيونية التعامل مع الوجود الفلسطيني بتجاهله، وتدميره، وجلبها الكارثة للشعب الفلسطيني، بتأسيسها دولة إسرائيل على أنقاضه، فالاسم الصهيوني الرسمي لفلسطين هو"أرض إسرائيل"، ومن أجل ذلك، يجب تغييب تاريخ هذا الشعب من خلال طرده، وطمس معالمه التاريخية، بواسطة عملية التأريخ الرسمية، وهذا أعطى دليلاً قاسياً حول مدى صلاحية الأطروحة الكولونيالية للتطبيق العملي، وجاء التأريخ الجديد بمثابة انتحار ثقافي قومي، وتدمير الأساطير، بتقويضه الآراء السائدة في كتابات المؤرخين التقليديين للحركة الصهيونية، لكونه يحمل في طياته، استعداداً لقبول حقيقة أن تأسيس إسرائيل، كان على أنقاض شعب آخر، من هنا أجمع المؤرخون الجدد على أن الصهيونية سببت معاناة كبيرة للفلسطينيين، وأن ولادة إسرائيل، قد تمت بخطيئة (٣١).

لم يكن الصراع في هذه المنطقة، على الواقع بشكل نهائي، إنما كان صراعاً على الحكاية "The narrate live"، أي تشكيل حكاية موحدة للصراع العربي اليهودي، بتزييف حقائق من شأنها ان تشكل ذاكرة يهودية جماعية، وفي كل الكتب الإسرائيلية، لا توجد أية إشارة لقضية سلب الأرض من أصحابها، ونهب ممتلكاتها، وتحويلها إلى أملاك دولة، بل ذكرت العرب كمجموعة من الرعاة متخلفين، بينما اليهود أبطال مناضلون جديرون بهذه الأرض، ظهر ذلك في كتب التاريخ والجغرافيا والمدنيات الإسرائيلية، حتى اليوم، مما يساعد على تثبيت الفكر الصهيوني، بأن أرض فلسطين هي أرض صهيون ولهم وحدهم الحق التاريخي فيها(٣٢).

---

* أحد العامة، الاسم الأدبي لآشرغسنبرغ، أحد أهم الكتّاب اليهود في زمنه

من هنا، فقد برزت تساؤلات تاريخية في هذه المنطقة، حول الحرب، وفيها تجاوز للإشكالية المطروحة بإصرار على الفلسطينيين، لبرهنة شرعية وجودهم من خلال الثقافة، والأمر متعلق بالعام، الذي شكل تاريخا" مفصليا" ظهرت فيه أساليب جديدة في كتابة التاريخ، كيف نروي الماضي من الآن فصاعداً؟، كيف نعاود الدخول في الزمان بينما المكان محرم ؟.

عـام ١٩٤٨:

لقد شهد هذا العام دماراً أصاب الأرض الفلسطينية، لتحل محلها بيئة صهيونية بأطروحاتها الزائفة، حول "أرض بلا شعب"، بيئة انتظرت قدوم من يجعلها أرضا بشعب، وشعباً بلا أرض، في هذا العام فقدت فلسطين اسمها ليؤسس مكانها كيان آخر، عُرف باسم " أرض إسرائيل " (الكيان الإسرائيلي)، الذي استهدف طمس التاريخ والثقافة الفلسطينية، التي عرفت أشخاصا مثقفين بأعمالهم الخالدة، مثل روحي الخالدي، وعارف العارف، وخليل السكاكيني، وآخرين، وفيه حوّلت المعالم السياسية للأرض في الشرق الأوسط، لتشكل نقطة تعريف للمنطقة ككل، فقد دُمرت فلسطين العربية وأسست إسرائيل، وهزمت مصر وسوريا ولبنان، والأردن واغتيل زعماء عرب (اغتيل رؤساء وزراء مصر ولبنان وملك الأردن)، واسقط رئيس سوريا وملك مصر من قبل قوات عسكرية[٣٣].

أضحت هذه الحرب، جرحاً غائراً في صدور العرب عامة، والفلسطينيين خاصة، وظلت برغم ما كتب ويكتب حولها، مادة خصبة لإعمال الذهن العربي، في التفكير في أسباب التراجع الدائم أمام التحدي الصهيوني المستمر حتى الآن، وشكلت نقطة ساخنة في مسار التأريخ العربي، لما أحدثته من تشريد أهالي "٥٣٠" قرية ومدينة، إلى شتى أنحاء المعمورة، حاملين معهم أدبيات الثورة وذكريات مدعمة بالسير الذاتية، والقصص الشعبية، وأضحت بمثابة مخزون للذاكرة الفلسطينية، دلت على صحة الرواية الفلسطينية، مقابل الرواية الصهيونية[٣٤].

وقد شكلت تلك الحرب، محوراً أساسياً للأبحاث حول الصراع العربي-الإسرائيلي، رغم قلتها في الجانب العربي، حيث لا تتجاوز أصابع اليد، لضيق أفق العرب في إدراك أن "من لا سجل له لا تاريخ له" ولعدم التفاتهم في تسجيل التاريخ العسكري، والسياسي، والشفهي لمئات الآلاف من الشهود (اللاجئين)، الذين يشكلون المصدر الصادق لأحداث النكبة، مقارنة مع الطرف الآخر، الذي أعاد كتابة تاريخه، بعد أن فتحت الملفات الخاصة بتلك الفترة، فأصبح

التاريخ الإسرائيلي، لا يتحدث عن صوت إسرائيل (صوت الصهيونية) فقط، بل عن أصوات مختلفة[٣٥]. هذا يثبت لنا مدى القصور والتراخي العربيين، وغياب اليقظة في إعادة كتابة تاريخ النكبة المأساوي، مع أنه ظهر مؤلف من سبعة أجزاء لعارف العارف يروي النكبة في أدنى تفاصيلها، أي مأساة اختفاء فلسطين، كذلك نشر مصطفى مراد الدباغ، اللاجئ في لبنان، " **بلادنا فلسطين** " في ١١جزءاً وأكثر من ٦ آلاف صفحة، يمزج فيه دون تمييز بين العالم البنائي، المواقعية (دراسة أسماء المواقع الجغرافية)، علم طبقات الأرض، السكان، والأحداث، من فجر التاريخ وحتى وقوع المأساة، وكانت هناك أعمال موسى العلمي، وساطع الحصري، وقسطنطين زريق الأكثر تأثيراً لكنها لم تكن قادرة، على التخلص من الأساطير التي تحدثت عما حصل فعلاً في الحرب بالرغم من انتشارها الواسع" لكن لم تكن لتنتقد ما حدث [٣٦].

الخلاصة

هكذا نجح المؤرخ الإسرائيلي الجديد، في إعادة تأريخ مرحلة هامة، من مراحل الصراع العربي الإسرائيلي، واستطاع بمنهجية وعلمية، الكشف عن حقائق مغيبة، في التاريخ الإسرائيلي ودحض أساطير قومية ودينية، أسس عليها هذا التاريخ، رغم أنه لا يمكنه أن يسلك طريقاً نزيهاً وغير منحاز، لكنه يبدي رأيه بشكل حازم، بشأن قضايا حساسة لما حدث في الماضي، وبذلك يكون قد تفوق على المؤرخ العربي، في تقديم نظرة متوازنة لتاريخ البلاد، من باب تقريب وجهات النظر بين طرفي الصراع، على أمل تحقيق مصالحة بينهما، في وقت افتقر فيه المؤرخ العربي إلى المنطق التاريخي، في إعادة قراءته للأحداث، وهذا يتطلب جرأة فكرية، وممارسة عقلانية، عند صياغته للاستنتاجات التاريخية، دون التهرب من دفع الثمن، بشرط تقبّله للتحولات الجذرية في الفكر التاريخي، مما يجعله حاضراً للإجابة عن حقيقة ما حدث!! ومَنْ السبب!! تماماً كما فعل المؤرخون الجدد في تحديد هوية المسؤول، عن الحدث وهوية الجلاد، من خلال تحليل الأحداث والحقائق، بتعابير محايدة، لا تحمل شحنات معادية لأي طرف من أطراف البحث، والنزاع. وبهذا يكون المؤرخ العربي، قادراً على تشكيل صياغة جديدة للتاريخ العربي بما يخدم القضية العربية، وقادراً على إقناع الجميع بأن قصور الساسة العرب وتخاذلهم وغياب اليقظة الواجبة، قد سهّلت وأنجحت المشروع الصهيوني.

عندئذٍ، نستطيع الاعتراف بأن الجدل التاريخي والسوسيولوجي الدائر في إسرائيل كان له عميق الأثر في إبطال مقـولة من قال "أن التاريخ لا يكتبـه إلا المنتصرون".

يمكن اعتبار، أن ما قدمه هؤلاء المؤرخون في أبحاثهم الجديدة، لهو دراسـات لامعـة أشبه بالعلامات المضيئة، على طريق تدوين التاريخ الحقيقي، لهذا الصراع المعقد، بالرغم مـن أنهم لم يصلوا إلى نهاية الطريق في أبحاثهم، بسبب الأيديولوجيـة التـي تكبـل انطلاقاتـهم، وتوجهاتهم على هذا النحو أو ذاك، إلا أنهم، قد فسروا بعـض تعقيـدات الصـراع العربـي-الإسرائيلي، وعلى الرغم أن ما جاءوا به على قلته قد كان متأخراً جداً، لكنه إلى حدٍ ما جديـد، فلأول مرة تتواجه إسرائيل مع فصول ماضيها المظلمة، وهذا الجدل وهذه المواجهة، مازالت في باكورتها ، مع أنها متأخرة ، لأنه كان من الممكن ان تأتي قبل هذه الفترة، والحقيقـة ان يـأتي شيء خير من ان لا يأتي، رغم قول بعضهم، أن ما جاء به المؤرخون الجدد لم يكن أكثر مـن تغييرات تجميلية(Cosmetic).

لقد أدى نقاش المؤرخين الجدد إلى الانتقال من وعي تاريخي متجانس، إلى آخر غـير متجانس ومتباين، مما يعني الانتقال من رواية واحدة إلى تعددية الروايات ،وكتابة تواريخ عـدة بدل التاريخ الواحد.

هوامش المقدمة

١) إيلان، بابيه. "١٩٤٨- والتاريخ الإسرائيلي" كرمل. ع ٥٥-٥٦ (صيف ١٩٩٨)، ص٩٧

٢) Pappe, Ilan. "Post – Zionist Critique on Israel and the Palestinians. The Academic Debate. Journal of Palestine Studies. Issue 102. No. 2(Winter, 1996). Pp 28-31.

٣) إيلان، بابيه. "ما بعد الصهيونية: توجهات جديدة في الخطاب الأكاديمي الإسرائيلي حول الفلسطينيين والعرب". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣١، (صيف ١٩٩١)، ص٨١.

٤) كيث. وايتلام . اختلاف إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني. ترجمة: سحر الهنيدي. (لندن، ١٩٩٩). ص١٤- ١٥.

٥) إدوارد، سعيد. "التلفيق، الذاكرة والمكان". الكرمل. ع٧٠-٧١، (شتاء /ربيع/٢٠٠٢)، ص١٠٣-١٠٤.

٦) المصدر السابق، ص١٠٨.

٧) جوني، منصور. "السياسة الإسرائيلية وتغيير معالم المدينة الفلسطينية – حيفا نموذجاً". مجلة قضايا إسرائيلية. ع٥ (شتاء ٢٠٠٠). ص٢٠-٢١.

٨) www.fateh.net/puplic/news/letter.1998/12/9.htm.

٩) إيلان، بابيه. "١٩٤٨- والتاريخ الإسرائيلي" مصدر سبق ذكره، ص٨٥.

١٠) المصدر السابق، ص٩٠.

١١) السعدي، غازي. عمود النار، الأسطورة التي قامت عليها إسرائيل. عمان: دار الجليل للنشر، ط٢، ١٩٩٨، ص١٥٠.

١٢) إيلان، بابيه. "ما بعد الصهيونية: توجهات جديدة في الخطاب الأكاديمي الإسرائيلي"، مصدر سبق ذكره، ص٨١.

١٣) هشام، نفاع. "رؤية أولية لمشاكسة علمية جدية". مجلة قضايا إسرائيلية. ع٣ (صيف ٢٠٠١). ص٨١.

١٤) المصدر السابق، ص٨١.

١٥) إيلان، بابيه . "١٩٤٨ – والتاريخ الإسرائيلي". مصدر سبق ذكره، ص٨٥.

١٦) المصدر السابق، ص٩٨-٩٩.

١٧) زئيف، ستيرنهل. الأساطير المؤسسة لإسرائيل. ترجمة عزت الغزاوي. رام الله: مدار (٢٠٠١)، ص١٠.

١٨) إيلان، بابيه. "١٩٤٨- والتاريخ الإسرائيلي"، مصدر سابق، ص٩٦، ٩٧.

١٩) انطوان، شلحت. " منهاج التعليم الإسرائيلي: ما زال السلام خارج حدود المدرسة". قضايا إسرائيلية. ع٣، (صيف ٢٠٠١)، ص٨٣ .

٢٠) _____. "أوراق إسرائيلية سوداء من عام مضى[١]". جريدة فصل المقال. (الناصرة). ٢٠٠٢/٣/٢٠.

٢١) إيلان، بابيه. "النكبة بعيون إسرائيلية" www.alkhalieej.co.ae.2002/6/13.htm

٢٢) ناطور، سلمان. "النكبة في المحكمة الإسرائيلية". قضايا إسرائيلية. ع١١ (شتاء ٢٠٠١)، ص٤٣، نقلاً عن صحيفة كول بو ٢٠٠٠/١٢/٢٩.

٢٣) المصدر السابق، ص٤٤.

٢٤) صالح، فخري. "حكاية إيلان بابيه: مكارثية جديدة في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية" htt://213.253.55.80/alhayet/general/2002/5/5.htm

٢٥) باروخ، كميرلنغ. "أين كانت الجامعة في محكمة طنطورة". جريدة هآرتس" (القدس)، ٢٠٠٠/١٢/٢٦، نقلاً عن مركز المصدر بتاريخ ٢٠٠٢/١/٦.

٢٦) انظر للمزيد حول الطنطورة: "الطنطورة: تحقيق حول مذبحة منسية" (ترجمة الفصل الرابع من بحث كاتس)، مجلة الكرمل. ع٦٣ (ربيع ٢٠٠٠)، ص٧-٤٩.

٢٧) ابن خلدون، المقدمة. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ١٩٨٤ ص٩-٣٣.

٢٨) أوري، رام. "الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين في إسرائيل". الكرمل. ع٥١، (ربيع ١٩٩٧)، ص٢٢١.

٢٩) بنيامين، بيت هالحمي. "التاريخ يطارد الصهيونية ويلحق بها". الكرمل. ع ٥٥-٥٦، (صيف ١٩٩٨)، ص٦٨-٧١.

٣٠) المصدر السابق، ص٦٩.

٣١) أحمد، خليفة. (ترجمة وتحرير. "ندوة حول الصهيونية وما بعد الصهيونية ومعاداة الصهيونية). مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣، (شتاء ١٩٩٨)، ص١١٦.

٣٢) هالة، اسبانيولي. "الأيديولوجية الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية". قضايا إسرائيلية. ع٣ (صيف ٢٠٠١)، ص٨٨-٩٣.

٣٣) سلمان، أبو ستة. "اعترافات المؤرخين الجدد". مجلة وجهات نظر الكتب. ع٢٢، (نوفمبر ٢٠٠٠)، ص٢٢.

٣٤) المصدر السابق، ص٢٢.

٣٥) أوري، رام. "الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين في إسرائيل". مصدر سبق ذكره، ص٢٢٧-٢٢٩.

٣٦) إلياس، صنبر. "عن الهوية الثقافية للفلسطينيين: العودة إلى الزمن". مجلة الكرمل. ع٥٦-٥٦، (صيف ١٩٩٨)، ص٣٢٧

الفصل الأول

نشأة المؤرخين الجدد وتعريفهم ضمن

"ما بعد الصهيونية" (Post Zionism)

ثمة سجال يدور في أروقة المجتمع الإسرائيلي، منذ منتصف الثمانينات، بشكل معقد ومتشعب، بين المؤرخين القدامى والمؤرخين الجدد (بني موريس، آفي شلايم، ايلان بابيه، وآخرون)، حول فهم وتفسير الأحداث التاريخية، الخاصة بقيام الدولة، هذا الجدل قد أثار فضولنا، واسترعى انتباهنا، كونه تعلق بأحداث عام "١٩٤٨"، وتناول سياسة إسرائيل تجاه الفلسطينيين في المناطق المحتلة، ونمط المجتمع الإسرائيلي المرغوب فيه، وتعريف من هو اليهودي، ونظرة الحركة الصهيونية، إلى اليهود خارج إسرائيل، وما إلى ذلك من المسائل، التي لا يتسع المجال للحديث عنها وتفصيلها[١].

تشكل ظاهرة "Post Zionism" تركيبا معقدا للغاية، يعكس آراء نخب ذات نفوذ ضئيل في المجتمع الإسرائيلي، في خضم جدل واسع في المؤسسة الأكاديمية، والصحافة والثقافة وفي حلبة السياسة، على يد مجموعة انتقادية من اليهود في إسرائيل، الذين ولدوا في السنوات الأولى لقيام الدولة، وانخرطوا إزاء مختلف الأحداث التي عصفت بإسرائيل حرب أكتوبر ١٩٧٣، سلطة الليكود ١٩٧٧، حرب لبنان ١٩٨٢، الانتفاضة ١٩٨٧، في نشاط احتجاجي مع الفلسطينيين داخل إسرائيل، ليدركوا بعد ذلك الصلة بين الصهيونية كحركة استعمارية ، وسلوكها في عام ١٩٤٨ من استيلاء على البلاد وطرد السكان الأصليين ، ونشوء مشكلة اللاجئين ، واحتكار اسرائيل لذاكرة الكارثة وتحويلها إلى أسطورة صهيونية ..[٢].

وقد جاءت هذه الظاهرة، تحديا للمواقف الأساسية للصهيونية في بحوث أكاديمية، دفعت بأصحابها، إلى قبول بعض الروايات الفلسطينية، فيما يتعلق بتاريخ البلاد ، ونذكر بأنهم مؤرخون بارزون في المؤسسة الأكاديمية، يساريون، يمثلون جيل "ما بعد الصهيونية " في أفكارهم، تلقوا تعليمهم في المدارس الإسرائيلية التي تتبنى الروايات التقليدية، خدموا في الجيش، واعتنق بعضهم الصهيونية على طريقته الخاصة، (موريس مثلا)، وظهورهم كان دليلا على انحسار الأيديولوجية الصهيونية، وتحديها إزاء أحداث عام ١٩٤٨ وما بعدها[٣].

لقد نجح هؤلاء المؤرخون من خلال أبحاثهم الأكاديمية، في تقديم نظرة نقدية لمواضيع، كانت بمنزلة محرمات في المجتمع الإسرائيلي، وجعلها مواضيع بحث مشروعة، فأضحوا في موقع الحليف للمسألة الفلسطينية في إسرائيل، لاقترابهم من الرواية الفلسطينية، واصبحوا يسمون بـ "المؤرخين الجدد" أو (Revionist) أي المراجعين، الذين يعيدون قراءة التاريخ، الذي غيب الفلسطينيين ، طبقا لتساؤل غولدا مائير – رئيسة وزراء إسرائيل سابقا: من هم الفلسطينيون ؟! ومرة أخرى قالت (أين هم الفلسطينيون)، تطبيقا لشعار صهيوني" أرض بلا شعب (فلسطين) لشعب بلا أرض (الشعب اليهودي)"، وبما أن الأرض لم تكن خالية في الواقع من السكان فقد اصبح هدف الصهيونية ولا يزال طبيق هذا الشعار[٤].

جاءت النظرة النقدية الجديدة التي أطلت علينا من عمق المجتمع الإسرائيلي، مخترقة جدار جابوتنسكي الحديدي، وورثته، بيغن، نيتنياهو، وشارون المتطرفين، الذين يتنادون بالديموقراطية على غرار أوروبا وأمريكا، وفي الواقع يمارسون أعمالا لا ديمقراطية فيها البتة، وبرهنت بشجاعة فائقة على وجود مستنقعات عميقة في السهل الإسرائيلي الديمقراطي، وبأن اليهود اقترفوا جرائم ضد الشعب الفلسطيني، وحطمت بذلك أساطير زائفة حول البطولات اليهودية التي شيدت بها الصهيونية قصورها المهشمة، لتقول أن الصهيونية فشلت وحان وقت التخلي عنها، ولم تكن عادلة في تحقيق أهدافها[٥] .

كانت الانتقادات التي وجهت للصهيونية من قبل هؤلاء المؤرخين، قد حظيت بتأييد كبير في الأكاديمية الإسرائيلية، ونالت شرعية في العالم الغربي، وأثرت على أقسام في المجتمع الإسرائيلي ، من خلال كتب ومؤلفات نقضت ثلاثا من الأساطير القديمة المرتبطة بحرب ١٩٤٨، حيث فندت أبحاث بابيه، أسطورة الخطر الذي كان يتهدد الوجود اليهودي في تلك الفترة، وأثبتت التفوق العسكري لليهود، مقابل الضعف العربي، وكشفت أعمال موريس، أن الفلسطينيين أجبروا على الرحيل، وطردوا من قراهم، ومدنهم، اثر العمليات العسكرية الإرهابية، التي نفذتها ضدهم التنظيمات الصهيونية، (ايتسل، شيترن، الهاغاناه)، وقوضت أبحاث شلايم، أسطورة مد إسرائيل يدها للسلام، مبرهنة بالأدلة القاطعة من الأرشيفات الإسرائيلية، على توفر فرص السلام، ورفضها من جانب إسرائيل[٦]. ولا تزال إسرائيل ترفض السلام، حيث قوبلت مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز الداعية إسرائيل إلى الانسحاب من حدود ٦٧، مقابل تطبيع

الدول العربية لعلاقاتها مع إسرائيل بالرفض، وما عملته إسرائيل بشأن ذلك اقتحام مخيمي بلاطة ٢٠٠٢/٢/٢٨ وجنين، لدليل على التعنت الإسرائيلي الغاشم*. ويكمن جوهر النظرة النقدية لدى هؤلاء المؤرخين، في الشك بعدالة الصهيونية في مشروعها وتحقيق أهدافها، والشعور بالذنب حيال الفلسطينيين الذين ظلموا، رغم أن جانباً من هذه النظرة لا ينكر شرعية الصهيونية (نعني كتابات موريس)(٧).

وتبرز جدوى أعمال هؤلاء المؤرخين، في أنها قد بحثت وركزت، على حقبة تأسيس إسرائيل، سنوات الأربعينات والخمسينات، ولتضعنا على مستودع الرومانسية المليئة بالأساطير، لتمثل إرهاصات لدخول المجتمع الإسرائيلي، مرحلة ما بعد الصهيونية في تطوره، ويصبح أكثر قبولاً للأفكار النقدية الجديدة، لإعادته النظر في مرآة تاريخه، ليعيد تقييم روايته الصهيونية حول وجوده وقيام دولته، وبناء المجتمع فيه(٨).

تلك الرواية، التي لمسناها في خطاب رئيس الوزراء الراحل إسحاق رابين، للكنيست في يوم ٢١/أيلول/١٩٩٣، الذي تبع توقيع إعلان المبادئ في واشنطن، الواقع في ١٣/أيلول/١٩٩٣: "...نحن من عاد إلى ارض الوطن بعد نفي استمر ٢٠٠٠عام، بعد المحرقة التي أرسلت أفضل اليهود إلى الفرن، نحن الذين بحثنا عن الهدوء بعد العاصفة، ونبحث عن مكان لنريح فيه رؤوسنا، نحن الذين مددنا أيدينا إلى جيراننا وكانت ترفض الوقت بعد الآخر، ولكن أرواحنا لم تتعب من البحث عن السلام " (٩).

الحقيقة، أنه ما كان لنا أن ننتظر خمسين عاماً من الألم والمرارة، ليأتِ من يردد بصوتٍ عالٍ، ما قلناه ونقوله دوماً، المعاناة التي خلفتها الصهيونية لنا، ويبدأ بمراجعة التاريخ وكشف الحقائق الواحدة تلو الأخرى، في وقت عجزنا فيه عن كتابة تاريخ نكبتنا، لأن الهزيمة مؤلمة، ولا أحد منا يريد أن ينسب الفشل لنفسه، أو يثير المواجع والآلام، ولكن يجب أن نؤمن بأن التاريخ والتأريخ ينبغي ألا يكتبهما المنتصرون حصراً، وأنه ما كانت أعمال المؤرخين الإسرائيليين الجدد، ذراً للرماد في العيون، وتخلصاً من الشعور بالذنب على أحسن تقدير، فقد ظهروا وكأنهم الذين يكتبون التاريخ الحقيقي للدولة، لكونهم ركزوا في أبحاثهم، حول الأحداث المتصلة بنكبة الشعب الفلسطيني (١٠).

---

*ولا تزال إسرائيل تقوم بعمليات اجتياح واقتحام لمدن وقرى الوطن بحجة القضاء على الإرهاب.

لقد احتل هؤلاء المؤرخون مركز الجدل العام في فهم تاريخ إسرائيل، ولم يتحدثوا فقط عن الفلسطينيين، بل تعدوا ذلك إلى قضايا كانت مقدسة ومحرمة، في التاريخ اليهودي ، وما كانت مسألة الغوص في هذه الأبحاث، والمجلات والملفات المؤرشفة، في إسرائيل لتأتي صدفة، بل تضافرت عدة عوامل، لتدفع هؤلاء الأكاديميين، إلى كتابة أبحاثهم النقدية، متحدين التيار الغالب، في المؤسسة الإسرائيلية الأكاديمية متخصصين بالتاريخ والمجتمع الإسرائيليين، وكانوا بذلك ممهدين لمرحلة جديدة، وكانت أبحاثهم أعمالا بحثية، وفق مناهج معرفية خالفت قواعد المؤسسة الأكاديمية[١١].

عوامل ظهور المؤرخين الجدد:

ما كان لأعمال المؤرخين الجدد أن تتم بهذا الإنجاز العلمي الأكاديمي، لو لم تتسم السنوات العشر، بسمة الخوف من نشوة الانتصار في حرب عام ١٩٦٧، وكون الإجماع حول الصهيونية، قد بدأ بالتصدع بعدها، بسبب احتلالها لمناطق فلسطينية كبيرة، وترسيخ الاستيطان فيها مما أرسى لقواعد صراع دائم، حذر منه أكاديميون ومثقفون في اليسار الإسرائيلي، من خطر الاحتفاظ بأرض عربية، ذات كثافة سكانية عربية كبيرة، مما يحول إسرائيل لدولة متعددة القوميات، وليست حصرا على اليهود[١٢]. وما إن قامت حرب ١٩٧٣، وما تبعها من إخفاقات عسكرية إسرائيلية، صدمت الكثيرين في المجتمع الإسرائيلي، حتى كان رد المثقفين قويا وسريعا خاصة بعد أن ثبتت صحة تحذيراتهم السابقة من أن حرب ١٩٦٧ لن تكون آخر الحروب العربية الإسرائيلية، خاصة إذا استمر الصلف الإسرائيلي، والتنكر لحقوق الفلسطينيين، وفهموا أن الصهيونية تتطلب ثمنا شخصيا عاليا من أجل تحقيقها، وبالتالي كانت الحرب بمثابة صحوة ضمير لمثقفين، مهمتهم إيضاح الأفكار السلبية، التي أقتنع بها الإسرائيليون، حول حقيقة الجيش الذي لا يقهر، وحقيقة الشقوق الأولية، التي اعترت حائط الأساطير الإسرائيلية[١٣].

كما أسهمت هذه الحرب، في إنهاء السلطة العمالية، منذ ثمانية وعشرين عاما بتحول اليمين إلى السلطة، بزعامة وريث جابوتسنكي، مناحيم بيغن ١٩٧٧، ليظهر التحالف اليميني المتطرف، الذي تخبط في مستنقع حرب لبنان ١٩٨٢ التي أظهرت طابع إسرائيل العدائي، فانقسم المجتمع الإسرائيلي، حول هذه الحرب، وتحول الاتجاه في عام ١٩٨٥ نحو اليسار، لتقلم حركة قومية، ليكود-معراخ، لتخليص إسرائيل من ورطتها.

ووصولا إلى عام ١٩٨٧ ، بانطلاقة الانتفاضة التي هشمت كيان الغطرسة الصهيونية، وأعادته إلى نقطة الصفر في تاريخها، بدا وكأن الصهيونية تضلل المجتمع الإسرائيلي، من خلال أعمال العنف في الأراضي المحتلة، فثارت خلافات داخل المجتمع الإسرائيلي حول المسألة الفلسطينية، شجعت روائيين إسرائيليين، ومنتجي أفلام سينيمائية، وغيرهم للعمل معا، لوضع تفسير وتحليل لا صهيوني للواقع والماضي.

بدأت السينما الإسرائيلية إعادة كتابة التاريخ الصهيوني في عام ١٩٧٨ عندما جرى عرض قصة "خربة خزعة"، الدراما التلفزيونية لـ" رام ليفي " للمرة الأولى على شاشة القناة الأولى المملوكة للدولة، وتواصلت عملية التفكيك لفترة تزيد عن العقد ، لتسهم بتقديم مكونات إضافية تصنع تأريخا جديدا للصهيونية [١٤]. انخرط المثقفون في هذه الأحداث فاتحين باب الحوار الفلسطيني-الإسرائيلي، ايلان بابيه مثلا، واطلعوا من خلال هذا الحوار، على الرواية التاريخية لأقرانهم الفلسطينيين للمرة الأولى، فأصبحوا على علم بالتناقض الأساسي القائم بين طموحات الصهاينة وإنجازاتهم على حساب السكان المحليين، وكان هدفهم الكشف من خلال أبحاثهم عن الدور الذي لعبته المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية، في بناء الوطن على حساب حرية التفكير والانتقاد الذاتي[١٥].

وما نكاد نصل إلى عام ١٩٩١ فترة اندلاع حرب الخليج، وما رافق ذلك من تعرض الأمن الإسرائيلي لصواريخ سكاد العراقية، وما ان تم توقيع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣م مع منظمة التحرير الفلسطينية، حتى شعر الإسرائيليون بالأمان والانفتاح على العالم، مع تفوقهم الإعلامي والتكنولوجي، فأصبحوا اكثر تقبلا للأفكار النقدية الجديدة، حتى وان كانت انتقادا ذاتيا[١٦]. وهكذا كانت البدايات في تحليل لا صهيوني للتاريخ الماضي والحاضر ، وكان علماء الاجتماع أول من بدأ بهذا العمل، ضمن دراسة وإعادة بناء التاريخ، حيث كان غرشون شافير* أول أكاديمي يتبنى فصولا كاملة من الرواية الفلسطينية، التي تحذر من القضاء على الإنسان الفلسطيني في فلسطين، ثم توالت بعد ذلك دراسات ما بعد صهيونية، مثل كتاب لإيلان بابيه بعنوان "بريطانيا والصراع العربي - الإسرائيلي" ١٩٨٨ ، الذي بين فيه دور بريطانيا، وانحيازها لليهود وإنجاحها للمشروع الصهيوني في فلسطين، ثم صدر كتاب للمؤرخ آفي شلايم، عام ١٩٨٨

* غرشون شافير: عالم اجتماع إسرائيلي، كشف منذ عام ١٩٨٥ عن هيمنة الأيدلوجية الصهيونية على المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية.

بعنوان " **تواطؤ عبر الأردن**، كشف فيه العلاقات التي كانت قائمة، بين شخصيات من الحركة الصهيونية، وأطراف عربيه قبل العام ١٩٤٨ وما بعدها(١٧).

وقد تواصل بعد ذلك، صدور الأعمال الأكاديمية، الناقدة للخطاب الصهيوني، التي أكدت فشل الصهيونية في تقديم الحلول للمشاكل العالقة، حيث أنها استطاعت أن تقيم دولة قومية لليهود، ولكن هذه الدولة ليست وطنا لهم فقط، فهناك الفلسطينيون، وأنها لم تستطع جلب اليهود من الشتات جميعا، لذا فقد فقدت جاذبيتها بالنسبة لهم. لقد أعلن وبصورة فعالة أن كل ما يقوله هؤلاء الأكاديميون هو بداية لانتشار مفهوم " المؤرخين الجدد " على أرض الواقع(١٨).

وبدأ هذا المفهوم يتردد بين الأوساط النخبوية، في المجتمع الإسرائيلي ليصل إلى الجمهور الإسرائيلي، فجاء إيلان بابيه* عام ١٩٩٣، ليكون بذلك أول أكاديمي، لمرحلة ما بعد الصهيونية، حيث طالب بتعدد وجهات النظر، في أي موضوع، والابتعاد عن الأفكار أحادية الجانب، بتحليل الماضي والحاضر من خلال النظرة "الما بعدية" للعالم في قضايا مشتركة بين أطراف النزاع، بنقاش أكاديمي(١٩).

وبسبب الغموض، الذي يكتنف مفهوم "الما بعد صهيونية " فقد ظهرت وجهات نظر متباينة حوله فقد رأى أمنون راز كركوتسكين من جامعة بئر السبع في النقب، "إن هذا المفهوم هو تعبير عن موقف، وأن العيش في مرحلة ما بعد الصهيونية، مسألة من شأن اليهود فقط ، وان هذه المرحلة معناها من الناحية التاريخية – السيسيولوجية، انه لم تعد الصهيونية كأيديولوجيا ملائمة للمجتمع الإسرائيلي، وهو دعوة للوصول إلى مجتمع ليس فيه هوية قومية "(٢٠).

ويرى راز، أنه ليس هناك في إسرائيل، ما بعد صهيونية حقيقية، وان المحسوبين عليها يريدون أيضا تكريس الهوية اليهودية للمجتمع الإسرائيلي، ويحلم راز ببلورة وعي تاريخي جديد للمأساة الفلسطينية، من خلال مطالبته بإعادة تعريف، وتحديد الوجود اليهودي بصورة تغير مكانة عرب إسرائيل، ليحصلوا على المساواة والحكم الذاتي والثقافي(٢١). ويستدل راز على تأكيد مطالبه، وطرحه بالأحداث الأخيرة، التي وقعت في أكتوبر ٢٠٠٠، والتي أثبتت أن فكرة دولة

---

* إيلان بابيه: محاضر في العلوم السياسية في جامعة حيفا، ورئيس معهد دراسات السلام في غفعات حفيفا.

لكل مواطنيها فكرة غير جدية، وأكدت أن عرب إسرائيل، لم يريقوا دماءهم، من أجل دولة غير محددة القومية، بل من أجل تضامنهم القومي، لأشقائهم الفلسطينيين[٢٢].

كما يوضح راز هذا المفهوم، أنه يضم كل من "يرى الأضرار الكبيرة التي أنزلتها الصهيونية بالفلسطينيين، والشرقيين ويدينها"[٢٣]، ويؤكد على أن المؤرخين الجدد، يعملون على أساس الاعتراف بالظلم التاريخي، الذي اقترفته الصهيونية، وان كان حوارهم قد شمل المسائل المتعلقة بالهوية اليهودية، وقضية أطفال اليمن، ويشير إلى أن من بين هؤلاء المؤرخين، من ينادي بإقامة دولة ثنائية القومية، عندما تتطور إيجابيات لدى اليهود لتعطي الحقوق الفلسطينية قيمة عليا[٢٤].

أما بني موريس، فإنه يعتبر نفسه "مواطنا صهيونيا يعترف بحق كل شعب أن يكون له دولة، بما في ذلك الشعب اليهودي، على الرغم مما ألحقه بالفلسطينيين من ظلم"[٢٥]. ويأمل أن تكون مؤلفاته التي كشف فيها عن الوجه المخبوء المظلم للصهيونية، قد "ساهمت في إغناء البحث في هذه الحركة، والدولة التي أنشأتها، فذلك كان واجبه كمؤرخ، وينكر على من وصفوه، بأنه معاد للصهيونية، "مؤكدا أن ما كشفه من أعمال الطرد والمجازر التي ارتكبت، لم تكن لتعني معاداة الصهيونية، بل تعني دخول إسرائيل حقبة ما بعد الصهيونية تزامنا مع طغيان المصالح والقيم الخاصة، على الجماعة بكاملها"[٢٦]. ويرى موريس، أن "مفهوم ما بعد الصهيونية": هو ضرورة "أن يعيد الثوريون تشكيل حياتهم بعد أن انتهت الثورة، هدفهم أن تكف الصهيونية عن أن تكون الأب والأم الفكريين لنظرتهم إلي العالم"[٢٧]. لقد شكلت أعمال موريس، إضاءة مهمة لمسارات تاريخية، عتمت عليها المؤسسة الصهيونية، ردحا من الزمن خدمة للحكومة، والأيديولوجية السائدة فيها، ويتوقع أن تزداد عملية الانتقال إلى " ما بعد الصهيونية " زخما، عندما يزداد التعاطف الإنساني، والوجداني بين الفلسطينيين واليهود"[٢٨].

أما إيلان بابيه، فقد وصف "ما بعد الصهيونية" فقال إنها: "خليط من أفكار عامة ومعادية للصهيونية، وأنها إدراك ما بعد حداثي للواقع "Postmodernist" ، وتعبير ملائم يجمع بين اليهود الما بعد صهيونيين والمعاديين للصهيونية، في الوسط الأكاديمي، بشكل نقدي، وجدل ما بعد حداثي، ثار بشأن حرب ١٩٤٨ ، مقتربا ببداية تأريخ جديد" [٢٩]. وفي اعتقاده فإن "مثقفي ما بعد الصهيونية، سواء علماء الاجتماع النقديين، أو المؤرخين الجدد، يريدون أن يحولوا إسرائيل،

إلى دولة لجميع مواطنيها، لأن "الصهيونية لم تنجح بمعيار الأهداف التي وضعتها لنفسها، حيث أن أغلبية الشعب لم تأت إلى هنا، ولم تنجح في المحافظة على سلامة هذا الشعب[٣٠]. أما توم سيغف، مؤرخ صحافي، صاحب كتاب "**الصهيونيون الجدد** "، فقد أشار إلى أن هذا المفهوم، يعني "تعبيرا عن تطورات عميقة جدا، في المجتمع الإسرائيلي، وأنه أكبر من نزوة، تتملك بضعة أشخاص يؤلفون كتبا، وهي حالة ظرفية لا أيديولوجيا، يعاف فيها الأشخاص الأيديولوجيا والجماعة، بمعنى أنها اتجاه يشدد على حقوق الفرد مقابل الولاء الجماعي". وفي رأيه ما دام السلام لم يتحقق فستستمر إسرائيل في أيديولوجيتها الصهيونية، ولا مجال لرؤية ما بعد الصهيونية في هذه الفترة بالذات[٣١].

هذا التفاوت في تعريف مفهوم الما بعد صهيونية بين الأكاديميين، يبرز الخلل الكامن في المجتمع الإسرائيلي، وهو يقف على نقطة حرجة من السلام، ويعاني الانقسام والتشرذم، مع أنه قد أسس على الوحدة والتمسك ضد أي خطر يتهدده في المستقبل ، وقد ساهم علماء الاجتماع النقديين في نقاش هذا المفهوم، وتوفقوا بتطبيقهم النظرة الكولونيالية، على دراسة التاريخ الصهيوني، حيث اعتبر أوري رام إن هذا المفهوم، "يحوي حلا للمشكلة الصهيونية، في كونها جزءا أساسيا للمشاكل الموجودة في الشرق الأوسط، لأنها حاجز أمام أي رؤية شمولية لثقافة ترفع الظلم التاريخي عن الفلسطيني، وتكون ثقافة لكل سكان هذه المنطقة"[٣٢].

وتشير نظرة أوري رام، إلى "اجتياز المجتمع الإسرائيلي، مرحلة انتقالية بين احتمال انتهاء القومية الصهيونية، وبين بروز مجتمع مدني متعدد الثقافات"، وهذا التغيير نشأ عن "روايات ثقافية جديدة تؤكده بلورة هويات أخرى كانت مستبعدة، لتظهر مواقف انتقادية جديدة داخل المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية"[٣٣]. ومفهوم ما بعد الصهيونية بشكل عام، قد فتح الباب على مصراعيه، أمام النقد البناء للتاريخ، لتشكل ثقافة مشتركة، بديلة للتاريخ الصهيوني المغبرك، والمتواصل داخل المؤسسة الرسمية، الذي ساهم في إعداد نخبة وشريحة أكاديمية هامة، من مثقفي المجتمع الإسرائيلي، تقبل الأمور الجديدة، وتشرع بإجراء حوارات مع الفلسطينيين، معترفة لهم بالظلم التاريخي الذي ألحق بهم.

ويمكن القول أن مفكري ما بعد الصهيونية، استطاعوا أن يفتحوا المجال أمام أصوات مهمشة في المجتمع الإسرائيلي، رغم محدوديتها، لتبقى أفكارهم هي الأحدث في المجتمع الإسرائيلي حتى اليوم ، وهي إن كتب لها التطور والاستمرار، فمن الممكن ان تحدث تأثيرا قويا

من جهة تغيير العقلية الصهيونية المجتمعية في إسرائيل، فأصحاب هذا الاتجاه درسوا التاريخ اليهودي وقدموا، نشاطا فكريا إيذانا بإرهاصات تأريخ جديد بأعمال فتحت آلاما ماضية وحاضرة، نقرأها وكأننا إمام مؤرخين فلسطينيين عاصروا النكبة، فالقارئ لكتاب "التاريخ المطمور للأرض المقدسة من ١٩٤٨: ميرون بنفينستي، ٢٠٠٠" يجد نفسه أمام فلسطيني من القرى المهجرة، بكل ما حدث فيها من مآس والآم، يشرح فيه كيف تم تدمير المكان المقدس " الفلسطيني" ليقام على أشلائه مكان إسرائيلي يستجدون له ثوبا من القداسة، كثير الثقوب لا يخفي معالم الحقيقة (الخطيئة الأولى) التي ولدت فيها إسرائيل ، والتي أوضحها المؤرخون الجدد في مؤلفاتهم(٣٤).

ولا شك أن الإلمام المعرفي بظاهرة المؤرخين الجدد ونتاجها يضعنا على الطريق السوي في التعامل مع الأحداث وتدوينها، ويمكن اعتبار هذه ظاهرة وأفكارها، أنها قدمت أعمالا بحثية ثقافية، مناقضة للخطاب الصهيوني، دون أن نتوقع منهم تغييرا جذريا كاملا في الأيديولوجية الإسرائيلية، إزاء الفلسطينيين والعرب. وسيركز البحث على ثلاثة منهم (بني موريس، آفي شلايم، ايلان بابيه) والتذكير بآخرين في سياق الكلام، علما بأن إنجازهم الأهم يكمن في فهمهم، ان الفلسطينيين ليسوا مجرد عينة ديمغرافية، وأشتاتا من البشر مشتت الهوية، بل هم أناس لهم جذور في التاريخ وحضارة وثقافة*.

أهم رموز الظاهرة

بني موريس:

لم يكن بني موريس ينوي تشويه تأسيس الأمة الإسرائيلية وتاريخها، فقد درس التاريخ والفلسفة في الجامعة العبرية، وعمل في جريدة الجيروزاليم بوست حتى عام ١٩٩١، وشارك في حرب ١٩٨٢ ،حيث كان مجندا في وحدة مدفعية المورتر.

أراد أن يؤلف كتابا عن التاريخ العسكري، "للبالماخ" وهي صفوة المحاربين مع "الهاغاناه"، فاطلع على الوثائق الخاصة بها ، ووجد كما هائلا من الوثائق، تتعلق بالطريقة التي نشأت فيها قضية اللاجئين الفلسطينيين، فقال انه "جاء إلى مادته بطريق الخطأ، ليتوقف عند فلسطينيي اللد والرملة"، اطلع على أرشيفات تخص هذه المسألة كانت موجودة في إنجلترا، أو الولايات المتحدة، في أثناء الحصار على بيروت المرة الثانية. ثم زار مخيمات اللاجئين في

---

* في شأن أفكار المؤرخين الجدد (بالعربية) انظر: (مجلة الكرمل) "رام الله" ع٥٨ (شتاء ١٩٩٩)، ص٧٨، ١٤٨ أو خالد الحروب "المؤرخون الإسرائيليون الجدد" الاعتراف المتأخر. شؤون الأوسط، ج١٧ (بيروت: أيار ٢٠٠٠)، ص٦١-٧٥.

لبنان (مخيم الرشيدية)، ثم عمل صحفيا في الجنوب، وعندما عاد من الحرب، بدأ صلته في البحث والتنقيب، في الوثائق، ليخوض قضية اللاجئين (أساس الصراع العربي- الإسرائيلي). [٣٥].

وهو من الذين مثلوا حركة، هدفت إلى إعادة فهم وصياغة تاريخ إسرائيل، وتاريخ صراعها مع العرب، من خلال نظرة موضوعية للحقائق، بعيدا عن المغالطات التي استخدمتها الصهيونية، لخدمة أغراض وأطماع الدولة العبرية، وفي مقاله المنهجي الذي صدر لأول مرة بالإنجليزية عام ١٩٨٨ بعنوان "حركة تأريخ جديدة: إسرائيل تواجه ماضيها " والذي نقحه، صاغ لأول مرة أهداف التيار الجديد، بين علماء التاريخ الإسرائيليين، وهو التشكيك بالصورة المسيسة للتاريخ اعتبارا من تأسيس الدولة، ومنذ أطروحة الدكتوراة التي تقدم بها علم (١٩٨٧) بعنوان " ميلاد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من عام١٩٤٧-١٩٤٩ ، " أخذ موريس يدعو إلى أن تكون "مسألة العرب " في مركز اهتمام علماء التاريخ الإسرائيليين، وانضم إليه مؤرخون آخرون[٣٦].

يعرف بني موريس بين زملائه بأنه الأقل اهتماما بالسياسة ، والأكثر اهتماما بالأيديولوجية الصهيونية، والأعلى صوتا في تبرير مشروعها[٣٧]. ويعرف موريس نفسه على أنه "صهيوني"، وكان اهتمامه الأكبر، منصبا على اكتشافاته التاريخية المجردة. وكانت مقالاته تفصح عن أيديولوجيته، يقول مثلا: "نحن الإسرائيليون كنا طيبين، لكننا قمنا بأعمال مشينه وبشعة كثيرة ، كنا أبرياء لكننا نشرنا الكثير من الأكاذيب وأنصاف الحقائق[٣٨].

كشف موريس، ما لم يكن معلنا عن جوانب الصراع العربي الإسرائيلي، وإذا أراد المرء أن يفهم الانتفاضة الفلسطينية فعليه أن يقرأ كتابي موريس (ميلاد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧-١٩٤٨) و (حرب الحدود الإسرائيلية ١٩٤٩-١٩٥٦)، ففيهما يجد المرء الجذور والتراكمات التي أدت إلى الوضع الراهن، وقد استعان فيهما بوثائق الدولة، ووثائق بريطانية وأمريكية واستطاع بذلك أن يقارن بين المصادر ليستخلص منها النتائج، ولم يرجع في أبحاثه كلها إلا إلى عدد قليل من المصادر العربية لعدم ثقته بها[٣٩].

ومن المنصف أن نقول، أن النتائج التي توصل إليها موريس، قد اختلفت عن الرواية الرسمية للأحداث، كما اختلفت عن الرواية الفلسطينية التي ادعت دوما -كما يقول موريس- أن

الصهيونية، أعدت نفسها سلفا لطرد العرب، ورسمت خطة مبيتة، وأن لدولة إسرائيل مخطط شامل للطرد ، كما أكد وليد الخالدي، لكنه يؤكد أنه لم تكن هناك" خطة عامة " Master Plan" لتهجير الفلسطينيين ، بل كانت هناك إرادة قوية لإكراههم على النزوح تجلت خلال مراحل الحرب كلها[٤٠]. كشف موريس للإسرائيليين معلومات تنشر لأول مرة، عن تاريخ نشأة إسرائيل، وهي معلومات تم إخفاؤها على جميع المستويات خدمة لأهداف الحركة الصهيونية المتمثلة في طرد السكان العرب من فلسطين، وإقامة دولة خالصة لليهود، واستخدام العنف من قتل و طرد وتدمير في إطار الترانسفير مضافا إلى ذلك هدف تجميل صورة إسرائيل الدولة الوليدة وكأنها حمل وديع بين قطعان ذئاب عربية تريد إلقاؤها في بحر[٤١] .

والمهم بالنسبة لكتاب موريس، كشفه لحقيقة، أن "عمليات الطرد لم تتوقف بعد انتهاء القتال، بل استمرت حتى عام ١٩٥٠، عندما جرى ترحيل من تبقى من سكان مدينة المجدل بالقوة إلى قطاع غزة". وقد نشر موريس في عام ١٩٩٩ كتابا ضخما بعنوان "**ضحايا صالحون Righteous Victims**"، حاول بواسطته التأريخ للصراع الفلسطيني- الإسرائيلي في فلسطين، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وحتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في عام ١٩٨٧[٤٢]. وموريس عمليا، هو من أوائل من دحض المقولات الإسرائيلية التقليدية، وخاصة تلك التي تدعي، أن الفلسطينيين إبان الحرب، قد تركوا أرضهم بمحض إرادتهم، وانصياعا لنداءات الحكام العرب، لهم آنذاك، بمغادرة فلسطين ريثما يتم تحريرها .

ورغم ذلك فإننا عند دراسة كتابه (الضحايا الأنصع حقا: تأريخ الصراع الصهيوني العربي (١٨٨١-١٩٩٩)، فإننا نقابل وجها آخر لموريس، غير الذي عرفناه في "ولادة مشكلة اللاجئين "، فهو يبرر "مشروعية الحق الصهيوني في فلسطين، منطلقا من الرواية أن" الاضطهاد التاريخي الذي تعرض له اليهود في تاريخ الإسلام، هو أحد أسباب الهولوكوست في القرن العشرين"، وأن "المسلمين، يتحملون ولو جزئيا مسؤولية الظلم التاريخي، الذي وقع على اليهود عبر القرون، وأن عدم حساسية العرب لهذا الظلم، جعلت اليهود يردون بعدم حساسية تجاه الظلم الذي وقع وما زال على الفلسطينيين" [٤٣]. لكنه عاد ليصحح هذا الأمر واعترف بخطأه لاحقا، على أننا لا نثق بهذا التقلب في المزاج، حيث عاد أدراجه إلى اليمين بعد الانتفاضة الحالية.

وعلى الرغم من أن دراسات موريس كانت ولا زالت، عملا صهيونيا كونه يؤيد قيام دولة يهودية، على الرغم من الظلم الشديد الذي لحق بالشعب الفلسطيني، من جراء ذلك، إلا أنه

كشف الآثام التي ارتكبتها إسرائيل، وقد دفع ثمن أعماله التأريخية هذه غالياً، حيث فصل عن عمله ١٩٩١ من جريدة "الجيروساليم بوست "، وبقي عاطلا عن العمل حتى عام ١٩٩٧ ثم عُين بعد ذلك أستاذا في جامعة بن غوريون في بئر السبع، وصدر له عدة كتب متخصصة في المراجعات التاريخية الإسرائيلية، رأينا أن ندونها للمهتمين بهذا المجال :

*Benny Morris. "1948 and after, Israel and the Palestinians. Oxford: Calredndom Press. 1990.

*Benny Morris : Israel s Border wars . Arabinfltration , Oxford ,1993.

آفي شلايم:

ترجع أهمية البروفيسور آفي شلايم، جامعة اكسفورد البريطانية، التي بدأت منها ما أصبح يعرف بمدرسة المؤرخين الجدد، إلى أنه أحد أبرز المؤرخين الجدد في إسرائيل، وهو الأقصى حكماً بين زملائه، ضمن تيار أخذ على عاتقه، دحض المقولات المؤسسة للصهيونية، من خلال رواية جديدة، في ثوب ما بعد الصهيونية[٤٤].

فقد كشف شلايم، زيف التاريخ الصهيوني، وتواطؤ زعامة عربية، عُقدت عليها الآمال في فترة من الفترات، ووقف في طليعة الأكاديميين المحترمين علما، الذين أعتد بهم في تاريخ الأحداث وتوثيقها وذلك بنشره مؤلفه الأهم والذي أقتبس اسمه من نظرية الأب والزعيم الروحي للصهيونية "جابوتنسكي"، من مقولة له عام ١٩٢٣، بعنوان "الجدار الحديدي، نحن والعرب" وقد أسماه شلايم **الحائط الحديدي: إسرائيل والعالم العربي**[٤٥]. أحدث هذا الكتاب ضجة واسعة النطاق، مردها إلى الحقائق العلمية الهامة التي كشفها، والتي أكد فيها، أن مسؤولية استمرار النزاع في الشرق الأوسط، تقع على كاهل سلسلة من الزعماء الإسرائيليين، من بن غوريون إلى باراك، الذين رفضوا التوصل إلى السلام مرارا وتكرارا، لتكون إسرائيل بذلك، الطرف المتعنت حتى عندما تمتد إليها الأيدي من الجانب الآخر، وأسف شلايم لتضييع إسرائيل فرص ونوايا السلام التي توفرت من جانب الدول العربية، طيلة سنوات النزاع العربي الإسرائيلي[٤٦] . وما يثبت تأكيده هذا هو الكم الهائل من الوثائق الإسرائيلية التي نزعت عنها هالة السرية، ووثائق وزارة الخارجية والجيش المفرج عنها بعد ٥٠ عاما على قيام إسرائيل.

وما نحن بصدده الآن، من قمع وتقييد، لهو تأكيد على استمرار إسرائيل في استراتيجيتها الحديدية، غير أن مخاطرها تلحق الضرر بالزعامة الإسرائيلية، التي ما تنفك ترفض فرص

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية

السلام، وتقصف حفاظاً على أمن مواطنيها، وأن تكن عاجزة عن توفير هذا الأمن، ولو كانت تملك كل وسائل القوة. شلايم أيضا، صاحب أهم كتابين في حقل التأريخ الجديد، الأول صدر عام ١٩٨٨، بعنوان "تواطؤ شرق الأردن: الملك عبد الله والحركة الصهيونية وتقسيم فلسطين"، والثاني عام ١٩٩٠، "سياسات التقسيم: الملك عبد الله والصهاينة وفلسطين"[٤٧]. ويثبت شلايم في هذين الكتابين، حدوث اتفاق مهم بين جولدا مئير، مسؤولة الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية قبيل حرب ١٩٤٨، وبين الملك عبد الله ملك شرق الأردن، حول مستقبل الأراضي الفلسطينية، عقب اجتماع الطرفين في ١٧ تشرين الثاني/نوفمبر/١٩٤٧[٤٨]. بيّن شلايم أن مشاركة الأردن في حرب فلسطين كانت رمزية وصورية لتفادي الغضب العربي فحسب، وأن القوات الأردنية قد احترمت "حدود التقسيم"، فلم تحاول تخطّيها نحو الأراضي التي أعطاها القرار الدولي لإسرائيل، وفي المقابل فإن إسرائيل، لم تحترم هذا الاتفاق مع الملك عبد الله ، وتجاوزت الحدود إلى أراضي إضافية. والمعروف أن الرواية الإسرائيلية تنكر هذا الاتفاق[٤٩].

إيلان بابيه*:

يندرج بابيه ضمن مجموعة المؤرخين الجدد، أسهم بأفكاره المتحررة من النزعات العاطفية والذاتية تجاه دولة إسرائيل، برغم تمسكه بوجود دوله يهودية، لكنه يعترف ويقر بمسؤولية الزعامة الصهيونية، عما حدث للشعب الفلسطيني من مآسي وصراع وتشريد .

أكد بابيه أن غياب المأساة الفلسطينية من التاريخ الإسرائيلي، يدل على نظرة إسرائيلية استشراقية أكثر عموما، حيث تم ذكر السكان المحليين في العهد العثماني كعامل هامشي، في البانوراما الجغرافية، لأرض فارغة تنتظر من يصلحها، ومنذ عام ١٩٤٨-١٩٦٧ تم تجاهل الفلسطينيين على أنهم بدو لاجئون هنا، وهناك لاجئون[٥٠]. لكن هذا التغيب لم يستمر طويلا، بل حدث تغيير ملحوظ، عندما أصبح بعض الأكاديميين الإسرائيليين، مستعدين للتعامل مع ١٩٤٨ وذلك بتحليل ومراقبة، سلوك كلا الطرفين، مما أسفر عن إطار تاريخي، مختلف تماما، عما عهدته الأنظمة التعليمية والثقافية في إسرائيل، والذي أنجزه المؤرخون الجدد ١٩٨٨[٥١]. ويعتبر كتاب بابيه "حرب فلسطين أصل الصراع العربي الإسرائيلي"، أول عمل فكري إسرائيلي، يعترف بأن لكل طرف من طرفي الصراع رؤيته المختلفة للتاريخ، ويؤكد ضرورة تجنب كلا الطرفين، أسلوب تبادل الاتهامات، وفي نفس الوقت يحمل الجانب الإسرائيلي، جزءا

---

* محاضر في العلوم السياسية في جامعة حيفا، والمدير الأكاديمي لمعهد جفعات حفيفا لأبحاث السلام.

أساسياً من مسؤولية المأساة المروعة، التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، وباقي المسؤولية تقع على عاتق زعماء فلسطين والحكومة البريطانية في ذلك الوقت(٥٢).

وفيما يتعلق بالحقائق التي كشفها إيلان بابيه، تأكيده أن الفلسطينيين، هم الذين كانوا معرضين لهذا الخطر، وأنهم كانوا ضحية لعملية تطهير عرقي واسعة النطاق، على عكس ما روجت له آلة الإعلام اليهودي، من أن اليهود كانوا معرضين للخطر والإبادة، في حرب ١٩٤٨، على يد الجيوش العربية(٥٣).

وعليه يعتبر بابيه، الحركة الصهيونية، كانت قد نشأت، كحركة قومية، متأثرة بتصاعد القومية الأوروبية، لكنها ما لبثت أن تحولت إلى حركة كولونيالية استعمارية، وأيد بابيه في أفكاره وطروحاته، نظريات موريس عن التهجير، وشلايم عن الاتفاق مع الأردن. والواقع أن بابيه يعد من أكثر المؤرخين الجدد، جرأة وانتقادا لإسرائيل، وأعلاهم صوتاً في الحديث عن حقوق الفلسطينيين، وخصوصا حق تقرير المصير وإقامة الدولة. وكغيره من المؤرخين الجدد تعرض إيلان بابيه للضغوط في العمل ،حيث هناك من يحاول طرده من الجامعة وعرقلة تقدمه(٥٤).

وكان الافتراض أن أحدا لن يقيل إيلان بابيه من منصبه في جامعة حيفا، بصفته أستاذا مثبتا، يتمتع بشعبيه خاصة، نجح كزملائه في إثارة غضب المنتقدين في الوسط الأكاديمي وخارجه، وتسببوا بإثارة العداء لأنفسهم حتى من زملائهم، فمثلا نجد البروفيسور "يو آف غيلبر"، زميل بابيه، غير مستعد لأن يذكر اسمه في الصحيفة التي يذكر فيها اسم بابيه ،لدرجة ان غيلبر نفسه وزع حديثا، رسالة إلكترونية، في شبكة الاتصالات الداخلية للجامعة، شبه فيها بابيه باللورد هاوهاو* (٥٥).

وقد تعرض إيلان بابيه لانتقادات كارش الذي ادعى أن أعماله لا تتحدث عن التاريخ، بل "تتخيله " ووصفه بأنه "أكثر تطرفا من المؤرخ الفلسطيني البارز – وليد الخالدي – في اعتباره الصهيونية وجهاً من أوجه الاستعمار"(٥٦)، وليس من شك في أن هذه الأمور تعكس حال المجتمع الإسرائيلي، ووقع الصدمة عليه، نتيجة الاكتشافات الجديدة، التي قامت بها

---

*لقب أطلق على وليام جويس، الفاشي البريطاني من أصل إيرلندي، والذي كان مذيعاً في خدمة النازيين خلال الحرب العالمية الثانية.

مجموعه من الباحثين الجدد، حيث كانت أبحاثهم نوعا من تغيير الدم للتاريخ المعاصر، لصراع قاس ودموي، أثبتت أن إسرائيل ولدت في خطيئة، تمثلت بقيامها على أنقاض شعب شردته منذ بدايتها فصاعدا، وقد تواصل تلفيق وفبركة التاريخ، حتى جاء من ينفض الغبار عنه مُمثلاً بمؤرخين من عمق المجتمع الإسرائيلي، ولعل أبرز ما يثبت أهمية أبحاث هؤلاء المؤرخين، هو طرحهم الهام لإعادة صياغة تاريخ المجتمع الإسرائيلي، وغسل الذاكرة القومية اليهودية من براثن الدعايات الصهيونية الملفقة وأساطيرها المفبركة، ومن خلال عرضنا السابق لرموز المؤرخين الجدد، وجدنا أنهم جيل جديد من المثقفين، قد نجحوا في طرح حقائق تاريخية جديدة للتاريخ الإسرائيلي الجديد، وقد لاقت أفكارهم رواجا ممتدا إلى علوم عدة، كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، والعلوم السياسية والفلسفية ،والتاريخ[٥٧]. وبهذا تكون أعمالهم قد جاءت مقدمة لتأسيس بنية ثقافية ما بعد صهيونية، تكشف عن عمق التناقض والتمزق الذي يعيشه المجتمع الإسرائيلي، وما علينا سوى التحرك من هذا الطريق.

هوامش الفصل الأول

١) خالد، الحروب. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد والاعتراف المتأخر"، مجلة شؤون الأوسط، ع١٧، مجلد ٩٥/٩٢ (أيار ٢٠٠٠)، ص٦١.

٢) محمد حمزة، غنايم. "صهيونية جديدة نفاثة" أوراق إسرائيلية. رام الله: مدار. ع٦ (حزيران ٢٠٠١)، ص٢٥-٤٣.

3) Pape, Ilan. "Post-Zionist Critique on Israel and the Academic – Debarment. مصدر سبق ذكره.

٤) انظر للمزيد:

Benni, Morris. "The Birth of Palestinian Refugees Problem, 1987".

Ilan Pappe. "The Britain and the Arab-Israeli Conflict (1947-1951), 1988.

Shlaim, Avi. "The Iron Wall: Israeli and the Arab World. New York-Norton and Company, 2000.

٥) رجاء، جارودي. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. القاهرة: دار الغد العربي. ط١، (١٩٩٦)، ص١٥٩.

٦) ايلان، بابيه. "المجتمع الإسرائيلي بين "ما بعد الصهيونية" و "الصهيونية الجديدة". قضايا إسرائيلية. ع٢ (ربيع ٢٠٠١)، ص٣٣.

٧) فيدال، دومينيك. "عشر سنوات من الأبحاث حول ١٩٤٨-١٩٤٩". www.maabev.new-Israeli/Historians.com، كانون أول ١٩٩٧.

٨) محمد، حمزة غنايم. "نقد الصهيونية من الداخل" htt://fasl-almaqal.kvalito.not/display.2002/5/16.htm.

٩) محمد عيسى، صالحية. "المؤرخون الجدد وبناء الواقع". العربي. ع٥١٢، (يوليو ٢٠٠١)، ص١٧.

١٠) محمد حمزة، غنايم. المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية". مجلة الكرمل. ع٥٨، (شتاء ١٩٩٩)، ص٨٠.

١١) _____. "المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية". مصدر سبق ذكره، ص٨٦.

١٢) أروي، رام. "الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين في إسرائيل"، مصدر سبق ذكره، ص٢٢٦.

١٣) شفايد، اليعيزر. "أهداف الصهيونية اليوم". ترجمة أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣، (شتاء ١٩٩٨)، ص٩٣.

١٤) باروخ، كميرلنغ. "لعله التابو الأخير". مجلة الكرمل. ع٥٩، (صيف ١٩٩٩)، ص١٢٩.

١٥) ايلان، بابيه. "ما بعد الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية. مصدر سبق ذكره، ص٨٩-٩٢.

١٦) المصدر السابق، ص٩٣.

١٧) Pape – Ilan. Britain and the Arab – Israeli Conflict: (1948-1951). London: Macmillan. (1988). P.11.

١٨) حسن، خضر. "حوار مع مناحيم برينكر: ما بعد الصهيونية حاضر يدعونا للقطع مع الماضي". مجلة الكرمل. ع٥٢، (صيف ١٩٩٧)، ص٢٦.

١٩) ايلان، بابيه. "الأكاديمي هو أيضاً سياسي". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣، (شتاء ١٩٩٨)، ص١٠٩.

٢٠) محمد حمزة، غنايم. "المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصيهونية". مصدر سبق ذكره، ص٨٥.

٢١) المصدر السابق، ص٩٣.

٢٢) شيلغ، يئير. "ليست الثقافة كل شيء، هناك عدالة اجتماعية". جريدة "هآرتس" (القدس). ٢٠٠٠/١٠/٢٢.

٢٣) نير، ليفنة. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣١، (صيف ١٩٩٧)، ص٧٧-٩٥.

٢٤) محمد حمزة، غنايم. وجهاً لوجه – سجالات مع مثقفين يهود. رام الله: مدار (تشرين ثاني، ٢٠٠١)، ص٦٣، ٦٧.

٢٥) بني، موريس. "قمت بعمل صهيوني" (ترجمة وتحرير: أحمد خليفة). مجلة ا لدراسات الفلسطينية. ع٣٣ (شتاء ١٩٩٨)، ص١١١.

٢٦) أمنون، روبنشتاين. "الثورة فشلت، الصهيونية نجحت"، ترجمة أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣١، (شتاء ١٩٩٧)، ص١٠٢.

٢٧) أحمد، خليفة. (إعداد وتحرير). "ندوة حول الصهيونية وما بعد الصهيونية" مصدر سبق ذكره، ص١١٥.

٢٨) نفس المصدر السابق، ص١١٦ .

٢٩) إيلان، بابيه. "ما بعد الصهيونية". مصدر سابق، ص٧٨.

٣٠) _____. "ما بعد الصهيونية". مصدر سابق، ص٧٧-٩٥.

٣١) محمد حمزة، غنايم. "حوار مع توم سيغف: فسيفساء من هويات وثقافات". قضايا إسرائيلية. ع٤، (شتاء ٢٠٠١)، ص١٦-٣١.

٣٢) _____المؤالمؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية". مصدر سابق، ص٨٠.

٣٣) _____. "اسحق لاؤور: خيبة أمل المثقف الطليعي". مجلة الكرمل. ع٦٣، (ربيع ٢٠٠٠)، ص٧٨.

٣٤) انظر للمزيد: أبو ستة، سلمان. "اعترافات المؤرخين الجدد". وجهات نظر الكتب. ع٢٢، (شتاء ٢٠٠٠)، ص٢٢-٢٥.

٣٥) محمد حمزة، غنايم. "المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية"، مصدر سابق، ص٩٩.

٣٦) "التاريخ الإسرائيلي الجديد" .htt://www.books.com./2000/11/11/htm

٣٧) بني، موريس. "فصل من كتاب تصحيح خطأ اليهود والعرب في أرض إسرائيل ١٩٣٦-١٩٥٦" (ترجمة انطوان شلحت)، (منشورات عام عوفيد، تل أبيب، ٢٠٠١).

٣٨) _____. قمت بعمل صهيوني". ترجمة أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣، (شتاء ١٩٩٨)، ص١١، نقلاً عن هآرتس ١٩٩٧/٧/١٦.

٣٩) عبد الله، عبد الدائم. صراع اليهودية مع القومية الصهيونية. بيروت: دار الطليعة، ط١، (كانون ثاني ٢٠٠٠)، ص٤١-٤٤.

٤٠) محمد حمزة، غنايم. "المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية". مصدر سبق ذكره، ص١٠٣.

٤١) بني، موريس. "فصل من كتاب تصحيح خطأ" مصدر سبق ذكره.

٤٢) لم يترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية، لكن قدمت هآرتس (باللغة الإنجليزية) ٢٠٠٠/١١/٣، عرضاً موسعاً لهذا الكتاب وهو بعنوان:

Bennis, Morris. Righteous Victims: A history of the Zionist – Arab Conflict 1981-1999 (New York: Alferda, 1999).

٤٣) بني، موريس. الضحايا الأنصع حقاً. Htt:1163.99.208/books/2001/6/6.htm

٤٤) محمد، الخولي. عرض كتاب الجدار الحديدي. آفي شلايم. www.albayan.co.ae/albayan/2000/11/14/sya/htm

٤٥) خالد، الحروب. عرض كتاب، الجدار الحديدي. آفي شلايم .
www.aljazeera.net/books/2000/12/12.htm.

٤٦) محمد عيسى، صالحية. "المؤرخون الجدد وبناء الواقع". مصدر سابق، ص١٨.

٤٧) نفس المصدر السابق، ص٢٠.

٤٨) خالد، الحروب. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد والاعتراف المتأخر". مصدر سبق ذكره، ص٦٦.

٤٩) انظر: حرب فلسطين – إعادة كتابة تاريخ حرب ١٩٤٨.
www.aljazeera.net/books/2001/5/5/htm.

٥٠) إيلان، بابيه. "ما بعد صهيونية". مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

51) Pappe. Ilan. "Post-Zionist Critique on Israel and the Academic-debate.
J.P.S. Issue 102.No. 2 (Winter 1995) pp.28-39

٥٢) طه، المجذوب. "إسرائيل والمشروع الصهيوني". جريدة الأهرام (القاهرة). ع ٤١٧٣٣ (السنة ١٢٥). ٢٠٠١/٣/١١.

٥٣) ايلان، بابيه. "ما بعد الصهيونية". مصدر سابق، ص٩٤.

٥٤) صالح، فخري. "حكاية إيلان بابيه: مكارثية جديدة في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية". مصدر سبق ذكره.

٥٥) نير، ليفنه. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٤٩، (شتاء ٢٠٠٢)، ص٥٣، نقلاً عن "هآرتس"، الملحق الأسبوعي، ٢٠٠١/٩/٢١.

٥٦) خالد، الحروب. المؤرخون الإسرائيليون الجدد والاعتراف المتأخر". مصدر سبق ذكره، ص٦٧.

٥٧) _____. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد والاعتراف المتأخر". ص٦٣.

الفصل الثاني
أفكار المؤرخين الجدد

برز التأثير النسبي لأفكار المؤرخين الجدد عبر فنون الأدب والمسرح والسينما الإسرائيلية، فأعطت الفلسطيني صورة الإنسان المظلوم. وعلى الرغم من هذا التطور في الخطاب الثقافي الإسرائيلي، والنظرة الجديدة للآخر، العربي، وعلى الرغم من عمق الخلخلة التي أحدثتها أفكار المؤرخين الجدد، على المؤسسة الصهيونية، إلا أن تأثير هذه الأفكار لم يكن قوياً لدرجة أن يحدث تغييراً في الأيديولوجية السياسية في المجتمع الإسرائيلي، وذلك بحكم التأثير القوي للنظام الصهيوني وخطابه المتشدد الذي ما يزال يعتلي سدّة الحكم حتى الآن[١].

أما على صعيد إخلاص المجتمع الإسرائيلي للأفكار والأسس التي أنتجها الصهاينة الأوائل وعلى رأسهم مؤسس الصهيونية ثيودور هرتسل، فلم يعد هذا الافتراض موجوداً، لأن ذلك يجعل الشخصية اليهودية في أيقونة لا تقبل سوى التناسخ، فما جاء به هؤلاء المؤرخون الجدد ما هو إلا نظرة فكرية استشراقية للفلسطينيين، كشعب له حقوق وثقافة وقيم، فقد نجحوا في تحديد العلاقة بين اليهود والفلسطينيين من خلال فهم الطريقة التي يفكر فيها كلا الطرفين وأنتجوا منظومة أفكار تبحث العلاقة بين الشرق والغرب عموماً[٢].

في هذا الصدد قدّم أمنون راز كركوتسكين دراسة أوجد فيها أساساً لنقد الجدلية الصهيونية، وركز على ما حلّ بالفلسطينيين من طرد وتهجير، وربط بين نفي الفلسطينيين ونفي المنفى، بالنسبة لإسرائيل التي قامت من خلالها بجعل اليهود يتناسون كل ما يربطهم بالدول التي عاشوا فيها في المنفى، ونرى اليهود اليوم يتجاهلون وجود شعب آخر على هذه الأرض. ولقد استمرت المؤسسة الرسمية في إسرائيل في استراتيجية تهميش الفلسطينيين من خلال فرض الروايات الدعائية حول قضايا حساسة وضعت المصير الفلسطيني في قوالب معتمة يصعب الخروج منها ضمن نظرة استشراقية انعكست جلياً على أنماط التعامل مع العرب، وخلقت بيئة

أساسية سمحت باستعداء الفلسطينيين ونفي ثقافتهم بالإجمال[٣]. وقد حمّل راز اليسار الإسرائيلي المسؤولية عن تشكل مثل هذا الوعي، واعتبر الشخصية اليهودية "مستعمِرة"، ما لم تدخل للفلسطينيين في إسرائيل ثقافة وقيماً، واتضح لراز بذلك أن الوعي الاستشراقي قد "انعكس على طريقة التعامل مع العرب داخل إسرائيل سامحاً في ذلك بتهميشهم اجتماعياً وثقافياً"[٤].

وعلى الرغم من أن هذه الأقلية العربية في إسرائيل تعتبر جزءاً من حدد المواطنة الإسرائيلية الذي يضم اليهود معهم، إلا أنهم ليسوا متساوين في الحقوق والمواطنة، وهناك توجه بمنع هذه الأقلية من النظم التعليمية المتطورة، ومنعهم من الحصول على مدارس خاصة بهم، مما يحيد عن الديمقراطية، حيث أشار كميرلنج إلى أن هذه المعاملة تدل على "التمييز السافر بحق العرب وتنتقص من ديمقراطية إسرائيل ومواطنتها"[٥].

وبالنسبة لمسألة الديمقراطية الإسرائيلية وممارستها على هذه الأقلية، فإن تاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٧ يعطينا دليلاً واضحاً على زيف الديمقراطية التي تتشدق بها إسرائيل، انه يوم محاكمة د. عزمي بشارة (رئيس التجمع الوطني)، بحجة دعم الإرهاب على خلفية تصريحات أدلى بها في سوريا، في ذكرى تأبين الرئيس حافظ الأسد في حزيران/٢٠٠١، وكان د. بشارة في تصريحاته هذه قد أيّد نضال الشعب اللبناني في مقاومته وبارك في جهاده، مما أثار غضب الساسة الصهاينة، وكانت محاكمته بمثابة صخرة توضع أمام نهر التطلعات العربية في التخلص من كابوس الأحزاب الصهيونية وقيودها، فكانت المحاكمة صفعة لحرية التعبير والتعددية الحزبية[٦].

وعلى الرغم من هذا التمييز، إلا أن الأقلية الفلسطينية أصبحت اليوم تحمل ثقافة معينة تتعامل من خلالها بثنائية اللغة (العربية والعبرية)، وتتضامن مع مصير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة، ومع فلسطيني الشتات، وأصبحت تشارك في احتلال مراكز في المجتمع الإسرائيلي لتفرض بذلك هويات جديدة وثقافة جديدة خاصة بها، يمكن من خلالها أن تقف أمام

الروح المتطرفة عند اليهود، وأن تساند اليسار الصهيوني (المؤرخين الجدد مثلاً)، ضد الصهيونية الجديدة بالنسبة للقضايا الحساسة الكبرى في الصراع العربي الإسرائيلي[٧].

قرار التقسيم:

لقد بدأت تظهر أفكار من داخل المؤسسة الأكاديمية تقرأ الروايات الصهيونية من جديد من خلال الكشف عن الوجه الاستعماري للصهيونية، وللدفاع عن حقوق الفلسطينيين عموماً، ومن هذه الأفكار ما يتعلق بقرار (١٨١) الذي أعلنته الأمم المتحدة في ٢٩/نوفمبر/١٩٤٧، والذي أدى حتماً إلى طرد الفلسطينيين وانتهاك حرماتهم، فأوقع نكبة، تزامنت مع بنية سياسية عربية مبعثرة ومتناقضة، ورافقها غياب خطة عسكرية، وعجزت بذلك القدرة العربية عن تحقيق الهدف المطلوب، انه قرار التقسيم، الذي شكل ضربة قاصمة أذهلت العرب وألزمتهم بتدبّر أمورهم دون تخطيط.

لم يكن التقسيم يعني بحال من الأحوال، طرد الفلسطينيين من أراضيهم، بل نصّ على أن تقوم دولتان، دولة يهودية في المنطقة المخصصة لها، وأخرى عربية، وتبقى القدس لتكون دولية، يربط بينها اتحاد اقتصادي[٨]. هذا القرار مدّ الصهاينة بالقاعدة القضائية والمادية لتأسيس وطن قومي لليهود، الأمر الذي قابله العرب والفلسطينيون بتظاهرات صاخبة، جابت كل أنحاء الوطن العربي لتنتهي بتغيير دفة السياسة في بلدان عربية، واغتيال ملوك بعض البلدان العربية، ليبقى كابوس المؤامرة جاثماً فوق صدر الشعب الفلسطيني بمرارة، وما يزال كل عربي يدفع ثمن التخاذل العربي فيها منذ ذلك الوقت حتى الآن، ولن يزول هذا الكابوس حتى تتغير الأنظمة القائمة، وتدرك عندها الحقوق العربية، وترعى المصالح الوطنية للشعوب حق رعايتها.

لقد كانت الرواية الإسرائيلية التقليدية حول قرار التقسيم، مفبركة، مدعية أن العرب رفضوا هذا القرار وقاوموه بشدة، مما أدى إلى اندلاع الحرب، فاضطرت الدولة اليهودية أن تخوض حرب دفاع عن نفسها ضد العربي المعتدي، واستمرت هذه الدعائية في كتب التاريخ الرسمية حتى برز شكل نقدي جديد في إطار أكاديمي، أكد أن العرب لم يكونوا سبباً في ديمومة الصراع، برفضهم قرار التقسيم، وكما قال توم سيغف: "انه لا طائلة لقول من قال: لو أن العرب وافقوا على حدود التقسيم، ببساطة ان العرب رفضوا هذا القرار لأنهم لم يستطيعوا قبول حدود

لم يتمكنوا من الموافقة عليها في ذلك العام لأنها أسوأ من حدود "١٩٣٧" التي لم يحصلوا عليها"[٩].

ومسألة قرار التقسيم عند باروخ كيمرلنغ، "أنه شكل كارثة للفلسطينيين أدت إلى ترحيلهم عن وطنهم، بينما كان محسِّناً للغاية اليهودية وأدى إلى إنشاء وطن قومي لهم، وجاء هذا الأمر نتيجة التوسع الشائك والغريب في الأيديولوجية الصهيونية التي اخترقت القانون الدولي بتوسيع حدودها إلى أبعد من حقل صلاحيتها الشرعية، كنموذج للديمقراطية الاثينية"[١٠]. تلك النزعة التوسعية التي كشف النقاب عنها المؤرخ الفلسطيني نور الدين مصالحة في مؤلفه الهام "إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع"* وقد عرض فيه تاريخ سياسات إسرائيل التوسعية، مركزاً على الفترة الممتدة من حرب يونيو ١٩٦٧ حتى الوقت الحاضر، وكشف أن هذه النزعة تشمل كل القوى السياسية من اليسار إلى اليمين.

أما عن دليل النزعات التوسعية لدى الصهاينة، فهو موجود، كما أكد مصالحة، في اقتراح بن غوريون سنة ١٩٤٩ على حكومته بالاستيلاء على الضفة الغربية، مفترضاً أن الفلسطينيين سيطردون[١١].

أكدت نظرة المؤرخين الجدد، أن موافقة بن غوريون والزعامات الصهيونية على قرار التقسيم، لم تكن إلا خطوة تكتيكية في استراتيجية عامة، غايتها؛ الحؤول دون قيام دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب الدولة اليهودية التي أقرّها هذا القرار وليس لتحول في الهدف الصهيوني، هذا ما كشفه المؤرخ آفي شلايم في كتابه "الحائط الحديدي" فقد ذكر "أن زعماء الصهاينة سعوا جلياً نحو التفاهم مع أحد حكام العرب ليقبل التقسيم ويوافق على دولة يهودية، ويكون راغباً في التعايش بسلام معها"[١٢]. وقد وثّق شلايم، لاجتماع جولدا مائير، مع الملك عبد الله ملك الأردن في ١٧/نوفمبر/ ١٩٤٧، أي قبل ١٢ يوماً من قرار الأمم المتحدة لتقرير مصير الفلسطينيين، من هنا أدركنا أن الملك عبد الله هو من كانت تبحث عنه لتحقيق ما خططت له[١٣].

بالطبع أدى هذا الاجتماع إلى التقاء الأفكار، ووضع أسساً لتقسيم فلسطين في خطوط مختلفة مما صورته الأمم المتحدة، وبين شلايم ذلك الود بين الملك عبد الله وجولدا مائير منذ

---

* انظر للمزيد نور الدين مصالحة. إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع ١٩٧٦-٢٠٠٠. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية)، ٢٠٠١.

إقامة إمارة الأردن ١٩٢١، لما وجدوا في بعضهم البعض وسيلة لتحقيق غاية ما، فقد مثّل الصهاينة لعبد الله دعماً لتحقيق حلمه في سوريا الكبرى، بأن يحل محل المفتي، ويضع يده على الجزء العربي من فلسطين ويضمه إلى مملكته، كما أن الصهاينة نظروا للملك عبد الله في إمكانية أن يقدم لهم وسيلة لتحطيم الحصار العربي المعادي لهم، وتعاطفت جولدا مائير مع هذا الطلب شريطة أن يتجنب الملك المواجهة العسكرية مع الدولة اليهودية(١٤).

المهم في رواية شلايم هو إشارته لاحترام الملك لهذا الاتفاق واحترام القوات الأردنية لحدود التقسيم، وبدا ذلك من خلال مشاركتها الصورية في الحرب، في وقت لم تحترم فيه إسرائيل هذا الاتفاق، وتعدته إلى أبعد من ذلك، وكان شلايم "قد أوضح بأن العرب رفضوا قرار التقسيم قلباً وقالباً لأنه مناف للعقل وغير عادل، بصفته قدّم شرعية لإقامة الدولة اليهودية، وما كانت موافقة إسرائيل عليه إلا صورية، لأنها لم تقبل الحدود التي منحت لليهود على أنها نهائية للدولة" (١٥).

ومن خلال حديثه عن قرار التقسيم، رأى بابيه فيه "فكرة جيدة من خلال الحديث عن إنهاء الاحتلال الإسرائيلي، ولا يكون ذلك إلا عبر إقامة دولة فلسطينية"(١٦)، وأشار إلى أن "ثمة جانب آخر في الموضوع يتعلق بربط مصير الفلسطينيين في المناطق المحتلة مع مصير الفلسطينيين في إسرائيل، بمفهوم خضوعهم لنفس السياسة التي تنتهجها إسرائيل في ضوء المستجدات الأخيرة"، واعتبر بابيه "أن قرار التقسيم هذا بمثابة نجاح الصهيونية في إعلان الدولة، ونجاحاً للوكالة اليهودية بإقناع الأمم المتحدة في ضرورة قيام دولة يهودية على ضوء المحرقة(١٧). وأخذ بابيه على الأمم المتحدة قبولها هذا الأمر، وحمّلها المسؤولية في عدم وفائها بما تعهدت به من ضمان لحقوق وحياة السكان العرب، والمسؤولية في قيام إسرائيل على حساب السكان الأصليين، وكما اعتبرها مسؤولة عن خلق مشكلة اللاجئين(١٨).

وخلُص بابيه، إلى أن على المثقفين والأكاديميين في المجتمع الإسرائيلي مواصلة الكفاح الأخلاقي والسياسي والاجتماعي ضد الفهم الصهيوني الأساسي الذي لم يتغير حول المسلمات التي آمن بها، والقائم على تجاهل الفلسطينيين وحقوقهم في مختلف أماكن وجودهم ضمن مشروعية التوجه الإسرائيلي إزاء القضية الفلسطينية بمجملها(١٩). من هنا رأى بابيه أن هذه "المهمة تقع على عاتق المؤرخين الجدد ليكونوا جزءاً من قوة سياسية وفكرية تعدّ برنامجاً

ضمن هذا الموضوع بما يفضي إلى حل النزاع في إطار فكرة الدولة الواحدة، والسعي لتحصيل الاعتراف الكامل بالحقوق الفلسطينية ومنها حق تقرير المصير"[٢٠].

إن ما ذهب إليه إيلان بابيه من دولة ثنائية القومية، قد رأى فيه أمنون راز كركوتسكين كبداية لحل النزاع وليس نهاية له، ومن خلال فهمه لقرار التقسيم، بيّن أن ذلك لا يكون ضمن الفصل أو "الابرتهايد" ، واعتقد أنه في تطبيق التقسيم من خلال إقامة دولة فلسطينية في المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧، إنما يكون في إطار مبدأ أساسي يكون موجهاً لإيجاد حل أي حل ويكون على أساس الاعتراف الكامل بحقوق الفلسطينيين بما في ذلك حق العودة[٢١].

إن هذه النظرة الإيجابية للحق الفلسطيني والاعتراف بالظلم الذي ألحق بالفلسطينيين، وإن كان اعترافاً متواضعاً بحق الإنسان الفلسطيني، والاعتراف بحقوق اللاجئين، ليس حلاً كامل الملامح، ولكنه على الأقل يشير إلى طريق تجري فيه مقاومة الوضع الحالي[٢٢].

وقد ايّده في هذا الطرح كل من صالح عبد الجواد (جامعة بيرزيت)، وعادل مناع (أستاذ جامعي في الناصرة)، حيث أشار عبد الجواد إلى أن مفهوم تقسيم فلسطين كان قد ولد تاريخياً في سنة ١٩٣٧، من خلال لجنة بيل، التي استنتجت استحالة التعايش بين الشعبين (العربي واليهودي) في فلسطين، وانضم عبد الجواد إلى طرح الدولة ثنائية القومية على الرغم من الصعوبات التي تعترضها، وفي رأيه "أن التقسيم المرحلي ممكن أن يسير في اتجاه الدولة الواحدة"، أما عادل مناع فقد استصعب من جانبه "إمكانية تحقيق دولة واحدة يعيش فيها كلا الشعبين بمن فيهم اللاجئين أصحاب الحق في العودة إلى فلسطين التاريخية من الناحية العملية في ضوء العقبات التي باتت تعترض حتى طريق أوسلو الذي تحدث عن إقامة كيان فلسطيني إلى جانب دولة إسرائيل"[٢٣].

وعلى صعيد تفنيد الرواية الرسمية بشأن التقسيم، فقد توقعت "حنا أرندت*" "أن الترحيل والكارثة التي ألمت بالفلسطينيين هي نتيجة حتمية لقرار الأمم المتحدة، وليس نتيجة لرفض العرب"، وبالتالي فإن "التطبيق القسري للتقسيم هو الذي سبب الكارثة، فقد كان الطرد سياسة مبيتة من جانب المؤسسات الصهيونية، وحقيقة ضمنية في خطة التقسيم، ولا صحة في

---

* مؤرخة إسرائيلية تقليدية.

موقف من لام الفلسطينيين في رفضهم لهذا القرار"، وهذه "التهمة تشكل حجر الأساس في المنظور التاريخي الصهيوني، وطالبت بالكف عن لوم الضحايا، وإسرائيل كعادتها ترتكب جرائم لا حصر لها وتعود لتلوم الضحية في كل ما يحدث"[٢٤]. أيدت أرندت زملاءها المؤرخين الجدد، وسبقتهم في أن الحل يكمن في الدولة ثنائية القومية، فقد تعاونت مع أول رئيس للجامعة العبرية، وأشد المتحمسين لهذه الفكرة "يهودا ماغنس"، للحيلولة دون قبول خطة التقسيم، وفي هذا رأت أرندت أن "مفهوم ثنائية القومية أمر حاسم من أجل عملية المصالحة والاعتراف بالأخر، ووعي بالمسألة اليهودية، ويعتبر كخطوة أولى على طريق حل النزاع"[٢٥].

هكذا كانت النظرة الإيجابية للجدل النقدي حول قرار التقسيم، عند هؤلاء المؤرخين، حيث أجمعوا على أن موافقة بن غوريون كانت لافتراضه بأنه بعد أن يصبح اليهود قوة كبيرة ستلغي القرار وتتوسع إسرائيل[٢٦]. وعلى الرغم من هذا الاعتراف بالحق الفلسطيني في تقرير مصيره والنظرة الإيجابية، إلا أن هذا النقاش النقدي قد تراجع على الأقل إلى الوراء وحدث انقلاب فكري عند أحد هؤلاء المؤرخين وهو موريس الذي قضى عشرات السنين يبحث في الملفات الإسرائيلية، وكشف الظلم الذي لحق بالفلسطينيين، لكنه خرج يبرر هذا الظلم[٢٧]. وعلى الرغم من أنه قد واجه صعوبات في عمله الأكاديمي بسبب آرائه التي تكفر بالتاريخ الصهيوني الرسمي، إلا أنه يصرّ على أن الفلسطينيين رفضوا قرار التقسيم، وهم بذلك يتحملون مسؤولية ما حدث ويحدث، لأنهم بحسب رأيه رفضوا أيضاً خطة لجنة "بيل ١٩٣٧" والتي نصت على ٢١% دولة يهودية في الشارون والجليل، في وقت رحب اليهود بهذا القرار وأعلنوا فوراً عن قبوله، عندها باشر العرب بالأعمال الانتقامية ضد اليهود وعلى محاور الطرق[٢٨].

العرب في رأي بني موريس وبخاصة الفلسطينيين يكذبون على كل حال، ويريدون إلقاء اليهود في البحر، وكل من اعتقد غير ذلك (حسب رأيه) فهو مخطىء، وموريس لا يقبل التنازل عن جبل الهيكل (الحرم) للفلسطينيين في إطار تقسيم القدس، وكل ما يقبله هو تقاسم بين اليهود والعرب ويبقى الذنب ذنب الفلسطينيين عن كل ما حدث[٢٩].

إن تراجع موريس إلى النظرة اليمينية المتطرفة، لا يفترض أن يعطي صورة انطباعية عن موقف المؤرخين الجدد الآخرين، فما وجدناه عند غيره يعزز افتراضنا بالنظرة الإيجابية لأبحاثهم إزاء قضايا حساسة في التعامل مع الفلسطينيين، وما سقناه من أمثلة يؤكد هذه النظرة للآخر الفلسطيني، تلك النظرة التي ألقت ظلالاً عميقة من الشك على مصداقية المؤسسة

الصهيونية في روايتها للأحداث زمناً طويلاً، فما أثبته هؤلاء المؤرخين دليل على أن قبول إسرائيل للقرار ما كان إلا تغطية للقيام بأعمال بربرية وذريعة لشن حرب مخططة ضد الفلسطينيين، فحتى تنفذ إسرائيل مخططها في القتل والتدمير والنهب فإنها تتذرع بأقل الأسباب وأبسطها، والوضع الراهن يشهد على ذلك.

عدد القوات ودور التنظيمات الصهيونية

أما فيما يتعلق بدور التنظيمات الصهيونية وعدد القوات في كلا الطرفين إبان الحرب، فقد عمل المؤرخون الجدد على تفنيد الرواية الرسمية حول "داود الضعيف" ضد "جوليات القوي"؛ وبهذا الصدد أثبت إيلان بابيه أن "حرب الاستقلال (كما تسميها إسرائيل)، لم تكن كما عرفها الإسرائيليون من أنها "معجزة تغلبت فيها الفئة القليلة على الفئة الكثيرة"، وأكد أن الفلسطينيين هم الذين كانوا عرضة لخطر البيشوف اليهودي، على عكس ما تدعيه الرواية الإسرائيلية وتتناقله الأجيال[٣٠]. وأشار بابيه إلى أن "الجانب اليهودي لم يعان يوماً من ضعف عسكري في مواجهة القوة العربية الشاملة، التي تنقصها الأسلحة والعتاد والخطط العسكرية، بل تمتع اليهود بتفوق عسكري في معظم مراحل الحرب، وبالتالي كان الفلسطينيين ضحية تطهير عرقي واسع النطاق"[٣١].

كما أشارت النظرة النقدية الجديدة للتاريخ الإسرائيلي، إلى امتلاك اليهود إبان الحرب، آلاف الأسلحة البريطانية، إضافة إلى ما تمتعوا به من تدريب بريطاني منظم، إلى جانب إنتاج الاستيطان اليهودي نفسه كميات هائلة من الأسلحة والعتاد العسكري، وفي هذا أشار موريس إلى أن الجانب اليهودي قد "تفوق على الجانب العربي على الصعيدين العسكري والإداري"، (موريس، ولادة، ص٣٧)، وأجمل صورة الوضع في فلسطين بأنها "اتسمت بضعف العرب وعدم استعدادهم لخوض غمار هذه المعركة"، وبيّن أن "زعماء الصهاينة والمنظمات قد استغلوا هذا الضعف والإرباك الشديد في صفوف العرب، فقاموا بشن هجمات على الأحياء العربية في القدس، وحيفا، مستخدمة القنابل على المقاهي، والطرق العامة وتجمعات العمال، وعملت على تفجير سيارات مفخخة في يافا، وعلى فندق سمير اميس في القدس"، وأكد "أن العرب سكان حي القطمون في القدس لم يهجروا بيوتهم إلا بعد أن نسفت عصابة الهاغاناة هذا الفندق في كانون ثاني ١٩٤٨"، وأضاف إلى أن "هذه الأعمال الإرهابية قد أعملت في السكان إرهاباً شديداً وكانت جزءاً من السبب الذي أدى إلى تهجير المواطنين من المدن والقرى الفلسطينية"[٣٢].

وقد أورد موريس أنه في أيار ١٩٤٨ وصل عدد القوات الصهيونية (الهاغاناة وشتيرن، والأرغون) ما يقارب من (٣٥٧٨٠) مجنداً، وهذا العدد كان يزيد بـــ (٥٥٠٠) جنـدي عـن مجموع الجنود في جيوش الدول العربية النظامية، وأنه في حزيران ١٩٤٨ قد تحولت الـهاغاناة إلى الجيش الإسرائيلي ليبلغ تعداده (٦٣,٠٠٠) حندي، بينما كانت جموع الجيوش العربية تضـم حوالي (٢٥ ألف)، بنقص في الخبرة العسكرية، وضعف السيطرة على القوات المسـلحة، ممـا ساهم في إلحاق الهزيمة بهم. وهذه الحقيقـة التي ظهرت في مؤلفـات المؤرخيـن كشـفت أن الصراع بين داوود اليهودي وجوليات العربي هو صراع غير متكافىء، وقد أوضح شلايم بـهذا الخصوص أنه "في كل مرحلة من مراحل الحرب كان الجيش الإسرائيلي بتعداده الهائل يفـوق القوات العربية المحتشدة ضده عدداً، وبالتالي فإن المحصلة النهائية للحرب لم تكـن معجـزة، ولكنها كانت انعكاساً للتوازن العسكري العربي الإسرائيلي"[٣٣].

حمّـل شلايم الملك عبد الله، ملك الأردن، الذي وضعت في يده سلطة قيادة كل الجيوش العربية، مسؤولية هزيمة العرب بسبب إدخاله تعديلات على الخطة التي وضعت في ذلك الوقت للتحالف العسكري العربي، وذلك في آخر لحظة، ولم يكن إرسال جيشه إلـى فلسـطين، إلا أن يصبح حاكماً على الجزء العربي الفلسطيني، فاستاء العرب من أطماعه التوسعية وتعاونه مـع العدو[٣٤]، ولخـّص شلايم نظرته في الموقف العربي، واصفاً إياه بالعجز عن التنسيق العكسري والدبلوماسي، الأمر الذي استغله قادة الصهاينـة، مما تسبب في الكارثة التي لا يزال يدفع ثمنها الفلسطينيون، وأضاف إلى أن هؤلاء "القادة قد عملوا على تصعيد الصراع العسكري، ولجـأوا إلى سياسة "الدفاع الهجومي" مصحوباً بالتدمير الاقتصادي والحرب النفسية، وبيّن أن الخطة "D" المعدة أصلاً بواسطة زعماء الصهاينة في أوائل آذار/١٩٤٨، كانت علامة بارزة على طريـق تطوير الاستراتيجية الهجومية"، وجرأة هذه الخطة وحدتها، "تكمن في الأوامر الصادرة بـلحتلال المدن والقرى العربية، وهي في طبيعتها خطة عسكرية، ذات أهداف إقليمية، ساهمت في نحـو مباشر في تفسّـخ المجتمع الفلسطيني، وتشريد آلاف المواطنين منه، بما مارسته من ضغوطات وأعمال إرهابية، ساعدت على الخروج القسري لهؤلاء المواطنين"[٣٥].

أما ما هو جديد بالتوثيق والكشف أن سياسة العنف والعمليات الإرهابية والتـي نفذتـها المنظمات العسكرية الصهيونية وعلى رأسها (الـهاغاناة، شـتيرين، ايتسـل)، قـد أرغمـت الفلسطينيين على ترك ديارهم عنوة، مما يعني أن الترحيل كان هدفاً مقصـوداً سـاهمت تلـك

المنظمات في تنفيذه، مما أدى إلى تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين عن ديارهم، وكانت سياسة إسرائيل أن ترى فلسطين نظيفة كلياً من العرب، لأجل ذلك خلقت إرهاباً حقيقياً بقيامها بمجازر فظيعة بحق الفلسطينيين بهدف اقتلاعهم من أرضهم التي يتشبثون بها، وثمة إجماع على أن "مذبحة دير ياسين" كانت أحد أبرز الأسباب في هجرة جزء كبير من السكان، والتي قال عنها إلياس صنبر "إنها مثلت الشريك الثابت في جميع المعارك، ومنحت العمليات المتعددة عنصر التواصل، لتقيم رباطاً لا ينقطع بين الفصول المتوالية للطرد: الرحيل أو الموت!"(٣٦).

وقعت هذه المذبحة في ٩-١٠/٤/١٩٤٨؛ على يد عساكر منظمة الأرغون، برئاسة مناحيم بيغن، بحق أهل قرية دير ياسين العربية الواقعة على الأطراف الغربية لمدينة القدس وكانت تمثل نقطة انطلاق للاتجاه الذي كان الصهاينة يريدون إعطاءه للأحداث، للتدليل على أنه لا مكان للفلسطينيين في فلسطين، بممارسة الذبح لإجبار الناس على الخروج، فقد قُتل في هذه المذبحة (٢٥٠ شخصاً) من رجال ونساء وأطفال، أما الناجون فقد كدّسوا في شاحنات وعُرضوا على سكان الأحياء اليهودية في القدس، حيث كانت الحشود تستقبلهم بالشتائم، لقد تفاخر زعماء الصهاينة بهذه المجزرة وغيرها من سلسلة المجازر الصهيونية، وذكرها بيغن في كتابه "التمرد: قصة الأرغون، ص٨" بقوله: "انه بدون انتصارنا في دير ياسين لما قامت دولة إسرائيل"(٣٧). وكان بيغن قد نادى كبقية زعماء إسرائيل بالنقاء القومي، وبالتمييز التام للهوية اليهودية على الآخرين، وكشف موريس أثر هذه المذبحة، في تسريع عملية هجرة الفلسطينيين، بما بثته من رعب، وما رافقها من تقطيع لأوصال السكان وإخلاء من تبقى من أهلها (موريس ولادة، ص١١٣).

لم تكن مجزرة دير ياسين الأولى أو الأخيرة في قاموس جرائم بيغن وزمرته، فهناك عشرات الجرائم المماثلة التي هي أشد هولاً ونكالاً والتي تحتاج إلى مجلدات ضخمة ودراسات خاصة، على أن ما يهمنا في هذا الموضوع حقيقة تناول المؤرخين الجدد لهذه المجازر التي ارتكبتها عصابات الهاغاناة وزعرنتها منذ نشأة إسرائيل ليثبتوا "ولادة إسرائيل في الخطيئة"(٣٨).

كشف موريس، من خلال وثائقه حول "عملية حيرام"، التي نفذها الجيش الإسرائيلي في شهر تشرين الأول/١٩٤٨ في الجليل الأعلى، ضد بقايا قوات "فوزي القاوقجي" واستولى خلالها على منطقة الجليل، أن "فلسطيني الجليل لم يهاجروا أو يهجّروا، وكانت الدعاية الإسرائيلية

تستدل ببقائهم على عدم وجود سياسة طرد وتهجير مورست من الجيش بحق السكان، وأن الأوامر كانت قد وجهت للقيادة الشمالية للجيش الإسرائيلي بضرورة "تنظيف وإجلاء المنطقة من العرب" لكن تطبيق تلك الأوامر لم يتم بسبب سرعة العملية وطبيعة الجليل الجغرافية الصعبة، إضافة إلى تشبث السكان بأراضيهم. وكانت العملية بمثابة عمل وحشي عنيف ضد المدنيين العرب*. وبين موريس، أنه عثر على وثيقة هامة تشير إلى "أن كرمل (قائد القوات التي نفذت العملية) أرسل إشارة لاسلكية إلى قواته بتاريخ ٣١/تشرين أول/١٩٤٨ لعمل كل ما في طاقتهم لتطهير المنطقة من العرب فوراً" (موريس، ولادة، ص٢٠٢).

في هذا الشأن أيضاً، كان موريس قد وثّق جزءاً من مذكرات يوسف نحماني، (مدير مكتب الصندوق الوطني الإسرائيلي في الجليل الشرقي بين عام ١٩٣٥-١٩٦٥)، حول هذه العملية: "أنه بعد أن رفع السكان الراية البيضاء، قام الجنود بجمع السكان وربطوا أيديهم وأطلقوا عليهم النار فقتلوا ٦٥ فلاحاً ودفنوهم في حفرة، وقاموا باغتصاب عدة نساء، وعندما بدأ بعض الفلاحين بالنقاش، فتح الجنود نيران أسلحتهم، وقتلوا ما يقارب ٣٠ شخصاً، وقادوا من تبقى باتجاه لبنان في صالحا، ورفعت هناك الراية البيضاء لكن بالرغم من ذلك فإن الجنود قتلوا أيضاً ما يقارب ٦٠ شخصاً ! واستغرب نحماني من أين أتى هؤلاء الجنود بهذه القوة، مثل النازيين؟"(٣٩).

إن ما سبق يؤكد أن إقامة الدولة الإسرائيلية، وارتكابها المجازر الواحدة تلو الأخرى، قد جعل أرض إسرائيل في النهاية أرضاً عفنة مليئة بالخراب والمستنقعات التي تشير في خاتمتها إلى إرهاب الدولة العبرية.

فمذبحة "دير ياسين" و "عملية حيرام" لا تقل وحشية عن مذبحة الدوايمة (في الجليل الأعلى) على يد الكتيبة "٨٩" من الجيش الإسرائيلي والتي قادها موشيه ديان في ٢٩/تشرين ثاني/١٩٤٨. هنا أشار موريس إلى أنه "قتل في هذه المذبحة ما بين (٨٠-١٠٠) عربي، وأوضح أن "الجنود حطموا جماجم الأطفال بالعصي، وتحول الجيش فيها إلى قتلة مجرمين دفعوا الناس إلى الهجرة" (موريس، ولادة، ٢٠٧). يبدو أن نظرة الاستعلاء التي تمثلت في العنصرية الإسرائيلية، تدل على أن سياسة العنف، هي الخلق الذي تربت عليه الكوادر الأولى،

---

* انظر: Benny, Morris. "Operation Hiram Revisited: A correction" Journal of Palestine Studies. Vol. No. 2 (Winter 1999). Pp 68-76.

للمؤسسة العسكرية في إسرائيل، في سياق التطهير العرقي، ظلت تتناقله جيلاً بعد جيل، مـروراً من دير ياسين وحتى مجازر جنين، ورام الله، وجباليا، وفي إطار يمنع امتزاج الدم اليهودي بأي دم آخر، ونستدل بذلك من خلال أعمال الصهيونية لانتزاع الأرض من أصحابها ونفيهم بتنفيـذ الإبعاد على غرار ما فعلته إزاء إبعاد "٤١٥" فلسطينياً إلى مـرج الزهـور فـي ١٧/كـانون أول/١٩٩٢، وإبعاد آخر في ٢٠٠٢/٥/١٠ بحق ١٣ مناضلاً احتموا في كنسية المهد إلـى (٦) دول أجنبية، ناهيك عن سياسة التصفيات للمناضلين وتفجير السيارات بحق الشرفاء من أبناء هذا الوطن، بحجة محاربة الإرهاب.

طهارة السلاح اليهودي:

إن ما كشفه المؤرخون الجدد بخصوص السياسة الإرهابيـة التـي اتبعتـها المؤسسـة الصهيونية، إنما كانت إنذاراً لكي يكف الزعماء والقادة عن "ادعاء الورع والحديث عن طـهارة السلاح"، وفي الإمكان إيراد الكثير من الأمثلة على تلك السياسة، التي كان متطوعو البالمبـاخ يدربّون فيها، على أساس شعار نقاوة السلاح اليهودي، يذكر في هذا الصدد ما كشـفه (تيـدي كاتس) فيما يتعلق بمجزرة الطنطورة إبان الحرب، وإشارته إلى أن المؤرخيـن الإسـرائيليين، آثـروا حتى الآن، "تجاهل هذا الفصل القاتم في "حرب قيام إسرائيل"، فالمتورطون فـي هـذه المذبحة آثـروا كتمانها عميقاً في صدورهم"*.

كان كاتس قد تحدث في اجراء بحثه مع مشردي هذه القرية، حيث يسكن بعضهم اليـوم في قرية فريديس، والبعض الآخر طرد إلى خارج البلاد (جزء منهم يقيـم حاليـاً فـي مخيـم اليرموك في دمشق)، كما تحدث مع أقارب هؤلاء ومع جنود لواء "الكسندروني" الذين شـاركوا في هذه المذبحة، وكذلك استند "كاتس" في إعداد بحثـه إلى معاينة وثائق في أرشـيف الجيـش الإسرائيلي، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن ما حصل في قرية الطنطورة في أيار ١٩٤٨، كـان "مذبحة على نطاق جماعي"، وأشار إلى "أن قسماً من جنود اللواء قد انهمك لعدة ساعات، فـي مطاردة دموية شرسة، لرجال بالغين بهدف قتلهم، ثم أطلقوا النار عليهم فسقطوا قتلى في الحفر، وعلى شكل مجموعات"، وأضاف إلى "أن شهادات السكان تتحدث عن وادي القتل في المقـبرة، وإطلاق نار بلا تمييز، في القطاع الشمالي من القرية"، دوّن كاتس في بحثه عبارة لأحد الناجين من المذبحة، ويدعى "رسلان حسن أيوب اعمر (أبو حسن)"، وكان قد التقاه كاتس قبل سنتين في

---

* انظر لمزيد من التفاصيل: مصطفى الولي (كاتب فلسطيني مقيم في دمشق). "شهود عيان يروون أحداث مجزرة الطنطورة" مجلة الدراسات الفلسطينية. ع ٤٣ (صيف ٢٠٠٠)، ص١١٨-١٤٠

مخيم اللاجئين في طولكرم حيث يسكن هناك، حيث قال أبو حسن: "إن الدولة التي قامت على أسس وقواعد الجريمة هي دولة زائلة وأما الدولة التي تقوم على العدل فهي دولة دائمة"(٣٩).

حاول كاتس في بحثه، فهم السبب الذي دفع جنود الكسندروني للتصرف على هذا النحو، ووجد احتمال أن "الجنود مروا بتجربة صدمة قبل مذبحة الطنطورة بأسبوع، فقد قتل اثنان من زملائهم داخل سيارة جيب". الأمر الهام في بحث كاتس، توضيح أن "مأساة الطنطورة"، لم تحظ بمكانة لائقة في التاريخ الفلسطيني، حيث آثر مشردو هذه القرية، تناسي المذبحة، والاندماج في واقعهم الجديد، كما أن البحث الفلسطيني لم يكرّس اهتمامه بشكل كبير، لما حل بمصير (٤٢٣) قرية عربية، مسحت عن وجه الأرض إبان الحرب. ورغم أن المجزرة معروفة، لكن الشهادات التي أوردها كاتس حول عدد الضحايا جعلت من القضية موضع اهتمام، وأثارت لغطاً في إسرائيل.

معرفة الحقيقة، ولو جزء منها، مهمة ملقاة على عاتق المؤرخين، سواء أكانوا فلسطينيين أم إسرائيليين، فقد مرت سنوات طويلة، قبل أن يخرج أحد من المجتمع اليهودي في إسرائيل، يطعن في شرعية وجود إسرائيل، وفي إيجاد الصلة، بين العمليات التي تمارسها إسرائيل ضد المواطنين الفلسطينيين، وبين استمرارية النزاع، وإن كانت الصلة مرتبطة، بهدف تضمنه خطاب دافيد بن غوريون لنجله "عاموس عقب تقرير لجنة بيل ١٩٣٧ بأنه ستكون: "ثمة ضرورة لطرد العرب في سبيل الحصول على استقلال يهودي في أرض إسرائيل". وما استلزم من ضرورة تصفية الشعب الفلسطيني بالقوة، وتفريغ البلاد من السكان العرب طبقاً لما قاله موشيه شاريت* "شيء رائع في تاريخ البلاد، وربما أكثر روعة من تأسيس دولة إسرائيل"(٤٠).

وكانت السياسة الصهيونية تقوم على تنفيذ المذابح، نذكر على سبيل المثال المذابح التي تمت خلال حرب (حزيران ١٩٦٧)، فقد أجهزت القوات الإسرائيلية على أكثر من ٩٠٠ جندي مصري بعد استسلامهم، وبتاريخ ١٩٩٥/٩/٢٠، تم العثور على مقبرتين جماعيتين، تضمنتا رفات أسرى حرب مصريين، عزّل قتلوا برصاص الجيش الإسرائيلي، وسجل الإرهاب الإسرائيلي حافل بهذه المجازر، وجاءت أبحاث المؤرخين تغصّ بالوثائق المتعلقة

---

* وزير خارجية إسرائيلي.

بسياسة إسرائيل إزاء العرب والفلسطينيين، وثبت من خلالها إدانة قادة إسرائيل بارتكابهم جرائم الحرب التي لا تسقط بالتقادم، بل هي مثبتة على جدران فلسطين على الرغم من سياسة الطمس والتغييب التي تنتهجها إسرائيل، ضد معرفة الحقيقة.

طرد الفلسطينيين ونشوء مشكلة اللاجئين:

وعلى الرغم من أن كل ما تقدم لا يوضح بشكل جلي النتيجة الحقيقية لأفكار هؤلاء المؤرخين، وتأثيرها على الرواية الفلسطينية، إلا أن هذه الأهمية والنتيجة تتضح من خلال الكشف عن حقيقة الطرد والمسؤولية المباشرة عن نشوء مشكلة اللاجئين، التي كشفها المؤرخون الجدد ولاقت انتشاراً واسعاً، وقد زعزع ذلك أركان المؤسسة الصهيونية، وقوّض أسطورتها، وهذا ما سيبينه هذا الفصل في الصفحات القادمة.

يعتبر التهجير، الذي وقع فعلاً قبيل وخلال حرب ١٩٤٨ وبعدها، من أهم القضايا السجالية التي أثارها المؤرخون الإسرائيليون الجدد، وعلماء الاجتماع النقديون في أبحاثهم، وأصبح الخوض العلني في مسألة الطرد الجماعي "الترانسفير" من أكثر القضايا حساسية في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، فكان الطرد مأساة إنسانية تؤلف موضوعاً لأبحاث تاريخية، تحمل مغزى كبيراً لمن شاء أن يفهم قضية الشرق الأوسط.

الحقيقة إن النزوح الفلسطيني، لم يأت عفوياً أو تلبية لنداءات كائن من كان، فما حدث كان "كامن في طبيعة الكولونيالية الصهيونية في فلسطين، وأن الصهيونية كانت مثالاً نموذجياً للقومية العنصرية، التي انتشرت في أوروبا، مطالبة بالتجانس العربي، رافضة لدولة ثنائية القومية"[٤١]. وفي قراءة العبارة التالية تصور كامل لحقيقة الطرد: "يجب أن يكون واضحاً لنا تماماً، بأنه لا يوجد مكان للشعبين في هذه البلاد، ولا توجد طريقة أخرى، سوى طرد العرب إلى البلدان المجاورة، طردهم جميعاً دون الإبقاء على قرية واحدة أو قبيلة واحدة"، تلك عبارة يوسيف فايتس (Yousef Witz) مدير دائرة الأراضي التابعة للصندوق القومي الإسرائيلي، ضمن رسائله لزوجته وأولاده وقد دونها في يومياته بتاريخ ١٩٤٠/١٢/٢٠، وقد ترأس فايتس "لجنة ترحيل السكان"، آب/١٩٤٠، وسجل موريس اجتماع فايتس مع موشيه شاريت، وموافقته على الترانسفير، "ماذا سيحدث عندما تقوم الدولة؟ من الجائز أن تكون النتيجة ترانسفير ضد العرب" وتلاه قول بن غوريون: "الترانسفير ضد العرب أسهل من أي ترانسفير آخر ثمّة دولة عربية في المنطقة"[٤٢]. ووضع فايتس مقاييس لتسهيل توطين الفلسطينيين في البلاد العربية، ووافقه بن

غوريون، اتضح ذلك من خلال قوله "يجب إعداد كتيبة عمل منظمة لتعمل على تنظيف هذه القرى وتوطين اليهود فيها"(٤٣).

لقد تحدى المؤرخون الجدد أكثر الأساطير الصهيونية تضليلاً، تلك التي تتعلق بالهجرة الطوعية الجماعية للفلسطينيين، إبان الحرب، حيث كانت النظرة التي تبلورت لديهم، أكثر حيادية وجدية، وقد نجحت في تمحيص أحداث الحرب، والتحقق منها بنقضها، وهدمها للعديد من الافتراضات، التي كوّنت ما يسمى بالتاريخ القديم الإسرائيلي.

كان بني موريس أول من دحض المقولات الإسرائيلية التقليدية، بشأن اللجوء الفلسطيني، ففي دراسته عن نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والتي صدرت بالإنجليزية عام (١٩٨٧: جامعة كمبردج)، قدّم موريس، سلسلة من الأدلة الوثائقية، حول مسؤولية القيادة الصهيونية، ثم الدولة العبرية، عن خلق مشكلة اللاجئين الفلسطينيين عام ١٩٤٨، وعلى الرغم من أنه لم يستخدم مصطلح مسؤولية، إلا أنه دلل في كتابه بشكل واضح، على أن "قادة التجمعات اليهودية في فلسطين، قبل وعند اندلاع الحرب، كانوا يؤمنون بسياسة الترانسفير"، وان "أعمالهم وإجراءاتهم خلال شهور الحرب قد ساهمت بشكل مباشر، في فرار مئات الألوف من الفلسطينيين، من قراهم"(٤٤). بهذا يكون موريس، قد أنتج عملاً متميزاً، في رواية إسرائيلية تصحيحية لما حدث، وفيه تحميل لإسرائيل جزءاً كبيراً من مسؤولية اللاجئين ومساعيها لمنع عودتهم إلى بيوتهم وذلك بفرض الحكم العسكري على المناطق، وإطلاق النار على المتسللين(٤٥).

كما فنّد المؤرخون الجدد، الرواية بشأن دور الإذاعة العربية، في ترحيل السكان، وسبقهم في هذا الأمر، كل من الصحافي الإيرلندي ارسكين شايلدرز، "والمؤرخ الفلسطيني" وليد الخالدي، في الأعوام (١٩٥٩-١٩٦١) بصورة منفصلة، بكشفهم مقتطفات من السجلات الإذاعية، التي التقطتها وكالة المخابرات المركزية، وهيئة الإذاعة البريطانية BBC ، والتي برهنت أن الإذاعات العربية، حذرت كل من يغادر قريته(٤٦)، كما وجد تشايلدرز أن الإذاعة الإسرائيلية التي تبث باللغة العربية، هي التي كانت تنشر الخوف في قلوب الناس(٤٨)، وأكد هذا الكشف موريس (ولادة، ص٨١).

لكن المؤرخين التقليديين، رفضوا تحميل إسرائيل المسؤولية، ولا يشعر زعماء الصهاينة، وقادة اليمين المتطرف عندهم، بالأسف لما حدث، لاقتناعهم بأن الأرض يهودية، وليس للفلسطينيين الحق فيها، ولا غرابة في قول كهانا (من حركة كاخ المتطرفة): "طرد العرب من أرض إسرائيل إن لم يكن بروح طيبة، فبروح غير طيبة"(٤٨).

نجد هذه الثغرة، في موقف شارون الذي لا يزال يروّج لفكرة "أن للفلسطينيين دولة، هي الأردن على حال"(٤٩). من هنا كان وجود العرب على أرض فلسطين، من أكبر المشاكل، أمام تحقيق المشروع الصهيوني، فجاء الطرد المتعمد، كأبلغ دليل على السياسة الإسرائيلية، فالقوة عند الصهيونية كانت في نظرها هي الحق، وكان على الضعيف، أو المهزوم، أن يدفع ثمن ضعفه، هذا ما قاله شريف كناعنة من أن "تاريخ الحركة الصهيونية، بما في ذلك إقامة دولة إسرائيل، والدعم الغربي لها من أكثر حالات القوة التي لا تصنع الحق"(٥٠).

شكلت تلك القوة أحد المقومات الفكرية الأساسية، للحركة الصهيونية، والذي تمثل بالإرهاب الممأسس، لينتج مبدأ الترانسفير، والذي طالما تمناه قادة الصهاينة، وتوارثوه جيلاً بعد جيل، فقد أوضح موريس أن حاييم وايزمان* "كان قد ألقى خطاباً هاماً، بتاريخ ١٣/أغسطس/١٩٣٧ حيث تطرق فيه بشكل إيجابي، ومطول، لمبدأ الترانسفير، واقترح فيه برنامجاً مفصلاً لتطبيقه"، هذا الخطاب لم يأت على ذكره المؤرخون الأوائل، كما أن بروتوكولات المؤتمر الصهيوني الأول كانت خالية من ذكر مبدأ الترانسفير، وعمدت الحركة الصهيونية، إلى حذف الخطاب من سجلاتها الرسمية، وعبّر وايزمان عن موقفه بقوله: "أليس رائعاً لو أن الأمر يكون كذلك – أي لو أن البلاد كانت خالية"(٥١).

نبع موقف وايزمان هذا، من اعتقاده بأن مساحة فلسطين صغيرة، موضحاً أنه يجب ترحيل السكان العرب، شرق الأردن والعراق، وأوضح أنه "إذا أمكن نقل نصف مليون عربي، فإنه سيكون في مقدور مليوني يهودي أن يأتوا مكانهم"، ولم يكن وايزمان الوحيد، الذي تمنى ولو بعصا سحرية، تحويل فلسطين المأهولة بالسكان، إلى أرض خالية، فقد أيد هذا الطرح بن غوريون، وزمرته من أجل ترجيح كفة التوازن الديمغرافي، لصالح اليهود(٥٢). أما عن كيفية تحقيق هذا الحلم دون أن تُفضح الخطط الحقيقية، فقد أقرّ موريس واعترف في كتابه السابق

---

* أول رئيس لدولة إسرائيل.

أن الهجمات العسكرية، كانت العامل الوحيد، لدفع الناس إلى الهجرة، رغم إنكاره وجود خطة عامة، أو نية مسبقة، لطرد العرب من فلسطين، مما خالفه فيه نور الدين مصالحة، في كتابه الهام (أرض أكثر وعرب أقل، ص٦٧)، حيث أظهر فيه أن مفهوم الترحيل كان متجذراً في الصهيونية، وجزءاً لا يتجزأ من الإدراك الصهيوني بأن "ارض إسرائيل حق موروث لليهود، وأن العرب غرباء، عليهم أن يرحلوا من فلسطين"(٥٣).

أما قول رحبعام زئيفي (وزير السياحة الإسرائيلي) في ١٦/كانون ثاني/١٩٩١: "إذا هاجم العراق من الشرق، فلن يكون لنا خيار إلا دفع عرب يهودا والسامرة خارجاً كما فعلنا في زمن الحرب – لدينا طابور خامس يُدعى الفلسطينيون، وستكون إنجازات الحرب إنهاء التهديد العراقي، وإجلاء العرب عن يهودا والسامرة"، فقد فسّره ايلان بابيه، في قراءاته لسياسة الترانسفير، في النظرية الصهيونية، من "حاييم وايزمان إلى زئيفي" حيث أشار إلى "أن الطرد كان جزءاً من مخطط شامل لتحقيق حلم الصهيونية، وفقاً لشعارها المعهود، "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"، والذي عبّر عنه ديفيد بن غوريون، في رسالة لنجله "عاموس" عقب تقرير لجنة بيل "١٩٣٧" بأنه "ستكون ثمة ضرورة لطرد العرب في سبيل الحصول على استقلال يهودي في أرض إسرائيل"(٥٤).

وأكد بابيه من خلال أبحاثه هذا أن اللاجئين الفلسطينيين، لم يهربوا بناء على طلب القادة العرب لهم، بل أُخرجوا بالقوة، موضحاً الأوامر الصادرة بشأن التدمير والإخلاء في مضمون الخطة (دالت) التابعة للهاغاناة، لكنه ألقى لوما جزئياً على تنازل القيادة الفلسطينية، والدور غير المساعد الذي لعبته السلطات البريطانية قبيل أيار ١٩٤٩(٥٥).

الجدير بالذكر أن بن غوريون كان أباً لهذه الخطة، وكانت تمثّل غطاء لتغطية وتسويغ الأعمال البربرية، وقد قدر بابيه هذه الخطة، بوصفها استراتيجية طرد لم توضع فجأة، واعتبرت واحدة من وسائل الاقتصاص بعد الغارات العربية ضد المستوطنات اليهودية،وتمثل وسيلة لضمان السيطرة اليهودية على المناطق التي استولوا عليها، وما يتطلبه الأمر من تدمير القرى، ونسفها وتمشيطها، والقيام بالقوة العسكرية لطرد السكان خارج الدولة(٥٦).

وقد أورد موريس بأن الخطة دالت ، كانت تشمل إشعال النار في القرى، ونسفها بالألغام، لضمان عدم عودة السكان إليها، كاستراتيجية مخطط لها من قبل الهاغاناة، ضماناً لحماية تجمعات المستوطنين، وبيّن موريس أنه "لم يكن ثمة داع لصدور أوامر طرد مباشرة، فقد كان يكفي من أجل هروب السكان، وزرع الخوف في نفوسهم، وحملهم على ترك منازلهم، كما حدث في صفد وغيرها" (موريس، ولادة: ص٧٨).

هكذا اتفق المؤرخون الجدد على أن الخطة "د" كانت ترمي أولاً وأخيراً إلى توسيع الدولة اليهودية، إلى أبعد من حدود التقسيم، وبموجبها تم طرد أكثر من (٣٧٠) ألف فلسطيني، من الأراضي التي استولت عليها القوات الإسرائيلية (نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، ص١٧٧).

ينبغي التأكيد على الشجاعة التي أبداها المؤرخون الجدد في تعريتهم للخطيئة الأصلية لإسرائيل، وبكشفهم الأعمال الإرهابية التي قادت إلى نشر مشكلة اللاجئين، ودمرت المجتمع العربي الفلسطيني، والتي فضلت إسرائيل أن تنساها من تاريخها، كحقبة تاريخية نسجت التاريخ على الحكاية الواحدة، واللون الواحد، إلى أن ندد هؤلاء المؤرخون بخرافات تاريخ إسرائيل، من خلال أبحاثهم العلمية، في الوعي الشعبي السائد في إسرائيل، أي في الصهيونية. وكان من الطبيعي أن تأتي المواقف الإسرائيلية من موضوع المسؤولية عن اللاجئين متباينة إلى أقصى حد[٥٧].

فالاعتراف بالمسؤولية، يترتب عليه استحقاقات مادية وأدبية، لذلك حرصت إسرائيل، على التنصل من هذه المسؤولية، علماً بأنه لا يسعها، أن تتنكر إلى الأبد لمسؤوليتها حتى الجزئية عن خلق هذه المشكلة، إذا كانت ترغب في تسوية مع الفلسطينيين، وهذا يتطلب منها النظرة في المرآة الجماعية[٥٨]. وقد وثقت أعمال المؤرخين الجدد، الرضى الإسرائيلي للهجرة القسرية الجماعية، للسكان العرب، فقد ذكر موريس، في توثيقه لمذبحة اللد والرملة ١٢-١٣/تموز/١٩٤٨، ما تم فيها، من أساليب ترويع للمدنيين، الذين استسلموا فيما يسمى بعملية "داني" مشيراً إلى اجتماع بن غوريون بعد هذه المذبحة التي راح ضحيتها ما بين (٢٥٠-٣٠٠) شخص، بالقادة العسكريين القائمين على العملية ومنهم رابين، ويغئال آلون، حيث سأل آلون: "ماذا نفعل بالسكان؟" عندها أشار بن غوريون بحركة من يده كانت تعني الطرد (موريس، ولادة: ص١٩٤).

وفكرة الترانسفير هذه، طالما عادت للنقاش، في قيادة الحركة الصهيونية، وفي مناسبات عدة، بينها اقتراحات الوكالة اليهودية، من ضرورة العمل على الطرد الشامل، لتفادي تهديد الدولة اليهودية، من المشكلة الديمغرافية، حيث اقتبس موريس عبارة بن غوريون، من بروتوكول جلسة مشتركة لإدارة الوكالة اليهودية، في ١٢/حزيران/١٩٣٨، التي نصها" أنا أساند الترانسفير القسري، ولا أرى في ذلك ما ينافي الأخلاق" ولا يغفل موريس ما ذُكر في يوميات هرتسل ١٢/حزيران/١٨٩٥، قوله: "لدى امتلاك البلاد فإننا سنسعى لنقل السكان خلف الحدود دون ضجيح، بواسطة منحهم عملاً في البلاد المجاورة"(٥٩).

هذا هو الجواب المنطوق للشخص ذاته الذي أمر من غير كلام، وبإيماءة من يده، كان خبيراً عظيماً في مصطلح الهيمنة (الأخلاق، النهب) وفي الشيء الذي ينبغي "الصمت حياله" (الطرد، القتل من أجل الطرد)، كلام بن غوريون هذا، أصبح نصاً تآمرياً، في الثقافة العبرية أنتج دلالات اعتبرت حق العودة للشعب الفلسطيني تهديداً للسلام والأرض في إسرائيل، وأصبح صمت مؤسسة أكاديمية، ومؤرخين احتكروا الذاكرة التاريخية، ونجحوا في كتابة تاريخ قومي للدولة، أما ما نشهده في السنوات الأخيرة من نقاش المؤرخين الجدد فلا يُعد كشفاً لسر خفي، وإنما نقضاً لاتفاق الصمت الذي أصبح على مر السنين جزءاً من الهيمنة الثقافية مع العلم أن الأشياء الفظيعة التي جرى ارتكابها في فترة قيام الدولة لا تزال محاطة بالسرية التامة حتى يومنا هذا.

أما عن طريقة تعامل الدولة مع البشر الذين أفلحوا بالبقاء "الحاضرون الغائبون"، فتفسرها سياسة الضغوط الإنسانية، والمعيشية على الفلسطينيين التي تمارسها الزعامات الصهيونية، حتى يومنا هذا، شارون مثلا، لإيجاد ظروف تنفرّهم من التمسك بأرضهم وتحملهم على تفضيل الرحيل، بتيسير هجرتهم إلى أمريكا، وفي هذا الصدد أوضح ايلان بابيه أن "سياسة تضييق الخناق والتصفيات قد حلت مكان الترانسفير، لتنفذ ضد الفلسطينيين، في الضفة والقطاع، أما الفلسطينيون داخل إسرائيل، فتستخدم ضدهم سياسة التمييز السافر واللجوء إلى القوة والعنف كوسيلة في سياسة الحكومة الحالية"(٦٠).

وعلى الرغم من هذا الكشف، إلا أن موريس ينكر دعم القيادة الصهيونية لنقل العرب، وعلاقة ذلك بما حدث في "٤٨"، مؤكداً بذلك التناقض الذي فسّره إدوارد سعيد، ودعمه في هذا الرأي نور الدين مصالحة، منكراً على موريس ما استخلصه في خاتمة كتابه بقوله "إن مصادفة تاريخية حدثت لم تكن لا في الذهن ولا في النوايا"، في وقت شدد فيه موريس على أن القادة الصهاينة قد قاموا بمناصرة قضية النقل في الثلاثينيات، فلا بد أن تكون هذه الحقيقة قد أثرت في تفكير بن غوريون وأوامره عام ١٩٤٨"[٦١]. وقد توصل موريس إلى نتيجة مفادها أن "مسألة اللاجئين كانت نتيجة مباشرة للحرب ولم تنجم عن نية مسبقة يهودية كانت أم عربية" (ولادة: ص٢٦٤)، "وإن المبادرة في طرد الفلسطينيين جاءت من القادة الميدانيين للمعارك الذين أدركوا أنه من الأفضل طرد العرب أو قتلهم حتى لا يكون هناك طابور خامس من خلف ظهورهم"، معتبراً أن ما حدث من طرد كان مسألة لا مفر فيها، وهو لا يرفضه أخلاقياً، و(حسب رأيه)، "أنه لولا طرد السكان الفلسطينيين لما ظهرت دولة يهودية"[٦٢].

أما أمنون راز فقد طالب بتحميل إسرائيل مسؤولية اللاجئين، في سبيل إثراء النقاش التاريخي وتحدي غاياته، وأوضح راز أن "المجتمع الإسرائيلي يضم وجهات نظر متباينة إزاء هذه القضية، فالبعض يؤيد الترانسفير والبعض الآخر (اليسار الإسرائيلي) يقول لا، لكن هدفه التخلص من الفلسطينيين رغم أنه يؤيد قيام دولة فلسطينية"، وذكر يوسي سريد، كمثل [٦٣]. ويطالب راز أن يراجع اليسار نفسه إزاء كل الأخطاء التي ارتكبها، ويعترف بالظلم الذي ألحقه بالآخرين وذلك من خلال الرجوع إلى التاريخ لتحقيق المصالحة، ويرى راز أن واجبه كمؤرخ يحتم عليه المشاركة في النقاش التاريخي الذي سيؤدي إلى مثل هذه المصالحة، لأن جميع المؤرخين الإسرائيليين يعترفون بأنه كان هناك طرد متعمد، لذا يجب "الاعتراف بحقوق اللاجئين لأنه لا يمكن مواصلة العيش في ظل عدم حل هذه القضية مع القناعة التامة بأنه لا يمكن للفلسطيني أن يتخلى عن مسقط رأسه ويتنازل عن حقه في العودة ويعيش مع الذاكرة فقط"[٦٤].

ويشارك آفي شلايم زملاءه من المؤرخين الجدد في تحميل إسرائيل المسؤولية باعترافه أن إقامة دولة إسرائيل قد أنزلت بالفلسطينيين ظلماً كبيراً، مؤكدا أن العصابات الصهيونية وعلى رأسها الهاغاناة قد ساهمت بشكل مباشر ومحدد في خلق مشكلة اللاجئين (شلايم، الحائط الحديدي، ص٣٦). ويرى شلايم أن الصهيونية انتصرت في "فرض روايتها التقليدية للحرب

العربية الإسرائيلية والتي لا تزال تدرس في المدارس الابتدائية كنموذج للسرد القومي للتاريخ في عملية بناء الأمة معتمدة على تفسير انتقائي وذاتي للحقائق التاريخية التي حدثت، كما أن إسرائيل تتحمل مسؤولية قتل المتسللين أثناء عودتهم إلى بيوتهم تبعاً لاستراتيجية صهيونية لمنع عودة هؤلاء لاعتقادها أنهم يشكلون مشكلة خطيرة على الأمن الإسرائيلي وتكامل حدوده واستقراره"(٦٥).

وجاءت دراسة شلايم كغيره من دراسات المؤرخين الجدد لتهدم خرافة البطولة الرومانسية في عمليات الطرد والقتل الجماعي الهادفة لتشجيع اليهود على الهجرة لأرض فلسطين، وإقامة دولة على تلك الأرض العربية، فجاءت دراساتهم لتقول للمجتمع الإسرائيلي الكبير أن القيم التي تربى عليها كانت مصطنعة ومفبركة لخدمة التاريخ المؤسس على الحكاية الواحدة ونحن نعلم أن في ذهنية كل شخصية صهيونية رئيسية منذ ١٨٩٧ حلم بطرد السكان العرب لكي تديم الأسطورة في زيفها "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ونعلم أن القوات الصهيونية قاتلت في عام ١٩٤٨ بهدف طرد أكبر عدد ممكن من السكان الفلسطينيين، وأن اسحق رابين (مهندس أوسلو) مسؤول شخصياً كقائد للهاغاناة عن طرد ١٦٠ألف من الرجال والنساء والأطفال من اللد والرملة، وقد لعب قادة إسرائيل الواحد تلو الآخر دوره في قمع وإفشال كل محاولة فلسطينية للحصول على حق تقرير المصير عن طريق الطرد والتهجير المتعمد والمتواصل تحقيقاً لتخليص فلسطين من مكانتها الفلسطينية(٦٦).

بهذا يكون موريس قد "قصّر عن الاقتناع بالأدلة التي وثقها في أبحاثه بأن السياسة الصهونية أجبرت الفلسطينيين على الخروج، وكان عليه أن يستدل بهذه الأدلة ليثبت ما كشفه من حقائق تبرز التخطيط المسبق لطرد الفلسطينيين" (نور الدين مصالحة، طرد الفلسطينيين، ص١٣٩).

إن تناقضات موريس في استنتاجاته تعتبر فذلكة تاريخية بحثية، يريد من خلالها أن ينفي مسؤولية إسرائيل بشكل غير مباشر عن مشكلة اللاجئين، ولا يستطيع أن يلقي اللوم على طرف دون آخر، من حيث أن ويلات الحرب كانت هي المسؤولة عن النزوح والدمار، ولا نجد هذا الأمر عند غيره من المؤرخين، فمثلاً توم سيغف بيّن النية المبيتة للطرد من خلال أبحاثه "أن أرشيف الدولة الإسرائيلية يحتفظ بعشرات الملفات التي تحتوي معلومات عن سياسة إسرائيل

تجاه الأقليات، بما في ذلك معلومات عن طرد مئات العائلات من مدنهم وقراهم"[٦٧]. ولم يبرر سيغف الأعمال الإرهابية التي نُفذت، كما برر موريس لكل حالة تم فيها إجلاء للسكان بسبب المتطلبات العسكرية والاستراتيجية الآنية المباشرة وغير المباشرة، وأنها كان تُتخذ عفوية في كل حالة، لكن الموقف من تبريرات موريس وتقصيره في إثبات ما جاء به لا ينكر العمل التاريخي الذي أثاره في بحثه عن مسألة اللاجئين.

وإذا أردنا أن نتحدث عن ضخامة الطرد، علينا أولاً أن نكسر هذا الدمج حتى نفهم الحقيقة لهذا الطرد[٦٨]، وفي كل الأحوال يصعب على أحد أن يفهم حقيقة ما حدث، بما في ذلك عمليات التهجير الجماعية ومنع عودة اللاجئين دون فهم خلفية تفكير زعماء الييشرف، التي احتلت فكرة الترانسفير مكانا مركزياً بينهما[٦٩].

الحقيقة أن ما قامت به إسرائيل وما زالت تقوم به، يجعل كل إنسان يشعر بالخجل نحو قضايا كقضية خروج الفلسطينيين من أراضيهم، نستذكر هنا على الأقل ما عبّر عنه المؤرخ الإسرائيلي الأكاديمي "برنارد فرشتاين"، الذي كان يشعر قديماً بالاعتزاز بإسرائيل كأي إسرائيلي في الخارج، عاد ليقول أن السنوات الأخيرة، جعلته يشعر بالخجل لا الفخر من أعمال إسرائيل السابقة، التي تثبت أن احتمالية الطرد الجماعي كانت كامنة في طبيعة الكولونالية الصهيونية في فلسطين قبل وقت طويل من اندلاع الحرب[٧٠].

حق العودة:

كشف المؤرخون الجدد، تبلور القرار السياسي، في جميع الأوساط الصهيونية، داخل المؤسسة السياسية في إسرائيل الذي ينص على رفض حق عودة اللاجئين إلى ديارهم، التي شُردوا منها، وتم تأكيد هذا القرار، من كافة أجهزة المؤسسة الصهيونية، وحمّلوا إسرائيل مسؤولية رفضها لقرارات الأمم المتحدة خاصة القرار رقم، ١٩٤، الفقرة الثالثة الصادرة في ١١/ديسمبر/١٩٤٨ ، الذي يدعو إلى عودة اللاجئين وتعويض من لا يرغب منهم بالعودة، وأكد المجتمع الدولي هذا القرار، أكثر من ١٣٥ مرة دون توقف، خلال أكثر من خمسين عاماً، مما يعني إجماعاً دولياً، على حق العودة للشعب الفلسطيني، كون هذا القرار وهذا الحق مقدس وقانوني وممكن من الناحية العملية، وهذا الحق يتمسك به اللاجئون الفلسطينيون بعناد وحزم، رغم الادعاء الإسرائيلي (والغربي معه) بأن العودة مستحيلة، وبدأت المحاولات بعد

النكبة وما زالت لإضفاء العقلانية على طرد اللاجئين باعتباره أمراً واقعاً يجب التسليم به ووضع حلول بديلة له مثل التوطين في البلاد التي طُردوا إليها(٧١).

لقد كان الترحيل والتوطين من الثوابت الصهيونية التي لا تتغير، بدعوى أن القرار ١٩٤ غير ملزم، وهو توصية، لها طابع إنساني فقط، وعمدت إسرائيل، كي تتخلص من حق العودة، والتعويض، إلى إطلاق بالونات اختبار، باقتراحها أن تصدر إعلاناً "بأسفها"، على المعاناة التي تحملها الفلسطينيون مقابل أن يعترف الفلسطينيون بأن تحقيق العودة "مستحيل". (٧٢).

أما الحجة التي أقتنع بها البعض، فهي أن البلاد، قد امتلأت باليهود، وأن عودة اللاجئين، معناها تدمير الدولة اليهودية، وترحيل اليهود من البلاد التي جاءوا منها، وهذه الحجة باطلة بدليل ما قدمه الباحث الفلسطيني سلمان أبو ستة* ، من خطة نظرية وعملية، لحل النزاع العربي الإسرائيلي، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، وقدّم معلومات مدعّمة بالوثائق والأرقام، والخرائط، تثبت حق العودة الفلسطيني، ومبرهنة، على أن إعادة اللاجئين الفلسطينيين لأراضيهم، لن تؤثر لا على أسطورة الطابع اليهودي للدولة، ولا على الطابع الاجتماعي أو القانوني، وقد رأت الدراسة أن تولي هذه الخطة اهتماماً متواضعاً، كونها تفتح الآفاق وتنعش الآمال في مجال تحقيق حلم العودة بطريقة عملية، لكل فرد فلسطيني، شُرِّد من أرضه.

نفى أبو ستة في خطته ادعاء إسرائيل، بأنه لا يمكنها أن تستوعب اللاجئين الفلسطينيين، بعد عودتهم إلى أراضيهم، مشيراً إلى أن هناك مساحة كبيرة لاستيعاب هجرات أخرى، مظهراً خرائط تبين أن هناك قرى وأراضي فلسطينية ما زالت في أماكنها ولم تقم عليها مستوطنات وأن آثار هذه القرى ما زالت موجودة وظاهرة للعيان وكلها فارغة وأطلالها معروفة*.

---

* سلمان أبو ستة: باحث فلسطيني، مؤسس هيئة أرض فلسطين، باحث في شؤون اللاجئين، صدر له مؤلفات أهمها: سجل النكبة ١٩٤٨، حق العودة مقدس وقانوني وممكن. سلمان أبو ستة يقترح خطة نظرية لحل قضية اللاجئين

* عنوان الخطة بالإنجليزية:

Salman H. Abu Sitta. The end of the Palestinian-Israeli Conflict from refugees to citizen at home. Palestine Land Society and Palestinian Return Center. London Sep. 2001.

أما رأيه في الطابع اليهودي للدولة، فيقول أن هذه الفكرة، لا أساس قانوني لها، وهي فكرة عنصرية، ولا تحمل طبيعة قانونية ملزمة، وبالنسبة للمعادلة الديمغرافية، يقول الكاتب أن "إسرائيل لن تنجح في الحفاظ على النسبة الديمغرافية فيها، أي غالبية يهودية مقابل أقلية فلسطينية"، والطريقة الوحيدة للحفاظ على هذا التمايز الديمغرافي، لن تتم، إلا إذا واصلت إسرائيل افتعال نكبات وسياسات تهجير جديدة للفلسطينيين، وبالنسبة للطابع أو البعد الاجتماعي، فيقول أن المجتمع اليهودي ليس متجانساً، لأنه يحوي عناصر سكانية، من مختلف أنحاء العالم، ويمثل فسيفساء اجتماعية ولغوية أكثر من ٣١ لغة يتم التحدث فيها في إسرائيل اليوم، وعودة اللاجئين لن تؤثر على هذه الفسيفساء الجديدة(٧٣).

وقد جاء الرفض الإسرائيلي لحق العودة بارزاً في كل الخطابات الصهيونية، على الرغم من منحها حق العودة لليهود في مختلف أنحاء العالم إلى أرض ليست لهم، إلا أنها منعت هذا الحق عن الفلسطينيين من العودة إلى أراضيهم، التي هُجِّروا منها، وكشف موريس رفض إسرائيل لحق العودة، بقتلها المتسللين، ليقول أن "القرار المنهجي الوحيد كان في الحقيقة إقراراً إسرائيلياً حكومياً أخذ في تموز/١٩٤٨، أي بعد زهاء شهرين من إعلان الدولة العبرية، بعدم السماح للاجئين الفلسطينيين العرب بالعودة إلى ديارهم"، ويقيّم موريس هذا القرار "بأنه أحد أهم اثنين أو ثلاثة قرارات اتخذتها الدولة العبرية في تاريخها"(٧٤).

والغريب، أن أهمية القرار الإسرائيلي، هذا تكتسب في نظر موريس طابعاً إيجابياً، محذرا من "أن الإقرار بحق العودة للفلسطينيين، سيشكل كارثة، تدمر إسرائيل"، وحتى أنه يعارض مجرد الاعتراف بمسؤولية إسرائيل عن مشكلة اللاجئين، مقابل تنازل الفلسطينيين عن حق العودة، لأن "الفلسطينيين في نظره سيتدفقون على الفور مطالبين بأملاكهم"(٧٥). ويلوّح موريس بلغة العنصرية تماماً كأي إسرائيلي من طراز شارون، أن المسؤولين الفلسطينيين الذين ينادون بحل تساومي لمسألة اللاجئين يكذبون على محاوريهم في الطرف الإسرائيلي، "لأنهم لا يستطيعون الذهاب إلى المخيمات والنظر في أعين اللاجئين في لبنان أو سوريا أو الأردن، ويعلنوا أنهم تنازلوا عن حقهم في العودة"، ولا يفتأ موريس يعبّر عن عدم ثقته بالفلسطينيين لأنهم في نظره لن يتراجعوا أبداً عن حق العودة.

من وجهة نظر موريس، العرب هم من يتحمل المسؤولية عن اللاجئين، لأنهم في نظره من بدأ الحرب، وأنه لا مجال للمساومة، واقترح على الدولة الإسرائيلية أن تقدم حلاً

للفلسطينيين، لكن يحظر عليها "الاعتراف لهم بحق العودة، فالعودة غير ممكنة لأن أماكن هؤلاء اللاجئين لم تعد شاغرة، إسرائيل لن تسمح بعودة اللاجئين إلا إذا نجح العرب في القضاء عليها، وفي هذه الحالة لن يعود أحد، وأنه من الأفضل أن يتعود العرب استحالة العودة الجماعية للاجئين، يمكن أن تسمح إسرائيل بعودة خمسة آلاف لاجئ، لكن المليون لن يعود"(٧٦).

أما أمنون راز فإنه "يستغرب تسهيل وصول ٢ مليون يهودي من الولايات المتحدة، في وقت تمنع فيه إسرائيل وصول ٢ مليون لاجيء من لبنان إلى قراهم ومدنهم التي شُردوا منها، لذا يجب الاعتراف بحقهم في العودة وتسهيل ذلك"(٧٧). وسيغف "لا يرى أية إمكانية لأخذ أربعة ملايين لاجئ وإعادتهم إلى يافا أو حيفا، وكل الأماكن التي أخروجوا منها، ولا يرى أية بشائر لحل هذه المشكلة، وأن المطالبة بلم شمل العائلات وإعادة مائة ألف لاجيء لا تنهي المشكلة، من مصلحة إسرائيل أن تكون للفلسطينيين دولة لكي يتوصلوا إلى وضع يكونون فيه صهيونيين جدد ويحصلوا على الاستقلال"(٧٨).

أما وجهة النظر الإسرائيلية التقليدية لمبدأ حق العودة، فهو الرفض، بحجة أن استيعاب هؤلاء اللاجئين يعرّض الطابع اليهودي للدولة للخطر، وفي هذا الصدد أوضح شلومو غازيت (من مؤسسي الأمن القومي للجيش الإسرائيلي)، "أن إسرائيل لا تعتبر نفسها قطعاً مسؤولة عن هذه المشكلة، بل تحمّل الفلسطينيين المسؤولية الكاملة"(٧٩)، وشاركه في هذا الرأي الكاتب المسرحي "يهوشواع سوبول" في "أن يتقاسم الطرفان الاعتراف بالمسؤولية، لإن مسؤولية اللاجئين تقع أيضاً على عاتق الدول العربية التي أرسلت جيوشها للحرب، ولا بدّ أن تقوم لجنة باسم "لجنة المؤرخين" مؤلفة من طرفي النزاع لتخوض في مسألة المسؤولية لكي يُفتح الملف حتى النهاية، ونعرف ما الذي أدى بهؤلاء البشر إلى ترك بيوتهم؟، ومصلحة إسرائيل في أن تُحل هذه المشكلة، ولا يضيره استيعاب (١٠٠ ألف) لاجيء يمكن إعادتهم إلى أراضيهم، على أمل أن يسود السلام بين الأطراف المتنازعة"(٨٠).

أما "داني روبنشتاين"* فيعترف بأنه "طالما ظل يسود لدى الفلسطينيين المطالبة بحق العودة، فلا توجد أية فرصة وأية إمكانية للتفاوض مع إسرائيل، لأن عودتهم تعني تدمير الدولة

---

* داني روبنشتاين: كاتب في صحيفة هآرتس.

اليهودية، وفي هذا إجماع شبه تام في المجتمع الإسرائيلي"(٨١). أما باروخ كمبرلنغ*، فيعتقد "أنه من الضروري معالجة مشكلة اللاجئين على صعيدين، حيث في الصعيد الرمزي، ينبغي لإسرائيل أن تتحمل جزءاً من المسؤولية عن الكارثة بصورة عامة وعن مشكلة اللاجئين بصورة خاصة، وعلى الصعيد العملي عليها أن تبدأ في القريب العاجل، وإن يكن على مراحل، بإعادة عدد متفق عليه من اللاجئين، في إطار لم شمل العائلات أساساً"، واقترح أن تدفع إسرائيل تعويضات للاجئين عن أملاكهم بمن فيهم لاجئي الداخل مواطني إسرائيل، كجزء من مجهود دولي لإعادة تأهيلهم، سواء في الدولة الفلسطينية، أو في أماكن وجودهم، وإسرائيل لا يمكنها أن تتنصل من هذه القضية ولا تستطيع أن تخفي القرى والأحياء العربية التي قامت على أنقاضها، لأنها السبب في تفويت فرصة ذهبية سنحت لحل هذه المشكلة في عام ١٩٦٧، لإصلاح أحوال أجزاء كبيرة من اللاجئين، لكنها ربطت استعدادها لمناقشة حل المشكلة بعقد اتفاقات سلام شامل وإنهاء المقاطعة العربية، وما زالت ترفض حق العودة"(٨٢).

المفارقة التي تبدو في المجتمع الإسرائيلي في هذا الصدد، تشير إلى المبدأ القائم في السجال الإسرائيلي دون الإشارة إلى حقوق اللاجئين في سياق ما يدعى بعملية السلام، فكما عبرت "حنا ارندت" من أن هذا المبدأ يتضمن "إقصاء تصور الفلسطينيين عن نقاش الهوية اليهودية، بتجاهل حقوقهم السياسية، مما يحول دون اعتبار التاريخ الفلسطيني، والكارثة الفلسطينية جزءاً من تاريخ الصهيونية ومن المجال المباشر للمسؤولية والتضامن، والحل لهذه الأزمة يكمن في مفهوم ثنائية القومية كأمر حاسم من أجل عملية المصالحة التاريخية التي يعترف بها الطرفان بحقوق كل منهما، بما في ذلك حقوق اللاجئين ووعي بالمسألة اليهودية، ولأن ثنائية القومية هي السياق الصريح لأية نقاشات سياسية"(٨٣).

لكن زئيف شطرنهل**، اعتبر "أن طرح الجانب الفلسطيني قضية حق العودة هو المسؤول الأول، عن الأزمة التي حلّت، وليست الانتفاضة، وأن المطالبة الفلسطينية بحق العودة أدت إلى الوضع الراهن، من منطلق الافتراض أن القيادة الفلسطينية لم تخمن كما يجب ردة الفعل الإسرائيلية، ولم تفهم حجم الخطأ"، فيما يصر المؤرخون الجدد – بحكم نظرتهم للماضي – على إيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين كأفضل ضمانة لأمن الدولة،

---

* أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية، القدس.
** مؤرخ إسرائيلي وأستاذ علوم سياسية في الجامعة العبرية.

واعتقد ايلان بابيه أن "المبدأ الصهيوني الكلاسيكي قد تجاهل دور اللاجئين أو دور إسرائيل في خلق مشكلتهم، وبالتالي أسهم في استمرار أزمة العلاقات العربية الإسرائيلية، من هنا تبرز الحاجة للبحث عن هيكل سياسي واجتماعي يتلاءم مع الواقع المتعدد الثقافات في إسرائيل"(٨٤).

ان مناقشة حق العودة، الذي يشكل المحور الأساسي في قضية فلسطين، يحمل في طياته كماً هائلاً، وشائكاً، من المشكلات المستعصية، التي لا تحل دون سبر أغواره، وبدون أن نغفل حركة الفعل العربي، التي سهلت المشروع الصهيوني في تنفيذ مخططه وبافتعاله المجازر لترويع السكان، جاء ذلك، بتوجيه سياسي من أعلى المسؤولية السياسية الإسرائيلية في حينه، ولم يكن نتيجة تصرف، أو اجتهاد ميداني، أو حصيلة قتال، في ظل عفوية المقاومة الفلسطينية، ونخلص بالقول إلى أنه في الوقت، الذي يحاول فيه الإسرائيليون مراراً وتكراراً قطع اللسان العربي لئلا ينطق بحقه في العودة، ومحاولتهم الالتفاف على هذا الحق، إما بالتوطين أو بالتعويض، أو بالمساومة مع تفكيك المستوطنات، فإن صحوة ضمير المؤرخين الجدد باستثناء (تراجع موريس عن أفكاره)، أوحت بأنه يجب حل مشكلة اللاجئين بتقرير مصيرهم وحق عودتهم، لأنه بدون إعطاء الفلسطينيين هذا الحق فإن المجتمع الإسرائيلي لن يعرف الهدوء ولا الاستقرار، وبالتالي طالبوا إسرائيل بضرورة العمل على إيجاد حل عاجل لهذه القضية، وإن كنا نطمح أن تتواصل هذه الفئة في جهودها وتستمر وتعمل بشكل جدي أكثر حتى تثبت جدية ما توصلت إليه، وتحقق الهدف الذي تبحث من أجله لمشكلة اللاجئين "المطرودون من التاريخ والوطن" حسب قول الشاعر محمود درويش، أو "أناس اللامكان" حسب تعبير البروفيسور إدوارد سعيد، الذين شكلوا حجر عثرة أمام الإسرائيليين، وبالتالي على الإسرائيليين أن يحزموا أمتعتهم ويعودوا إلى مهاجرهم حتى مع قبور موتاهم، حسب دعوة الشاعر محمود درويش في قصيدته "عابرون في كلام عابر".

عملية السلام مع العالم العربي:

اتسمت نظرة المؤرخين الجدد، بسمة إيجابية إزاء العرب، وبضرورة تحقيق السلام معهم، فقد رأى هؤلاء المؤرخون أن الصراع العربي – الإسرائيلي، يزداد ثقله يوماً بعد يوم، وأنه على الرغم من كل القدرات والوسائل التي حُشدت له، إلا أنه أضحى صراعاً غير منته، وأنه حان الوقت لاستغلال فرص السلام المتوفرة، فقد قال أوري رام بهذا الخصوص: "إن دولة إسرائيل وبعكس ما هو سائد، لم تستغل فرصة السلام مع الدول العربية منذ بداية الصراع، مما

يخالف النظرة القائلة بأن إسرائيل تناصر السلام، وأنها مكرهة على حربها مع الفلسطينيين، وأن الخط الذي انتهجه بن غوريون خلال النصف الأول من الخمسينيات، هو الذي صعّد الصراع ومنع إيجاد الحل المناسب له"(٨٥).

وقد اعتبر هؤلاء المؤرخين أن المشروع الصهيوني منذ بدايته كان "مشروع سلب ونهب وعداء"، فقد اعتبر باروخ كمبرلنغ أن "إسرائيل التي أسست على أيدي مستوطنين مختلفين أثنياً ودينياً وعرقياً، على أرض فلسطينية خلافاً لرغبة سكانها، كانت ولا تزال بحاجة لدعم خارجي يوطد قواعدها، لأنها لا تثق بنفسها، وتشعر أنها في وضع مهدد بالخطر دائماً، مما جعلها في حالة صراع دائم مع العرب عموماً والفلسطينيين خصوصاً"(٨٦).

لقد صوّرت إسرائيل من قبل هؤلاء المؤرخين، على أنها دولة عنيدة وغير مستعدة للتوصل إلى تسوية، أو حتى لإعطاء فرصة للسلام، وهذا ينسحب على عقود الصراع العربي – الإسرائيلي، بدليل سمة الفشل التي ارتسمت على كل رؤساء إسرائيل، وانتهاء طريقهم السياسي بشكل سيئ، بدءاً من بن غوريون وحتى باراك، وخلفه شارون الذي يتدحرج الآن بتثاقل معلقاً على صدره الفشل الذريع في تحقيق ما تعهد به من أمن وسلام لناخبيه. وعلى الرغم من الاختلاف فقد التف هؤلاء المؤرخون حول نقطة مفادها "أن بن غوريون رفض المفاوضات مع العرب جملة وتفصيلاً، وحتى معادلة "سلام مقابل سلام" لم تعتبر ذات أولوية للسياسة الإسرائيلية، وذلك لاقتناعه بأنه لا مناص من فرض الرؤية الصهيونية عن طريق القوة وحد السيف، وأن الزمن يعمل لمصلحة إسرائيل" (آفي شلايم، الحائط الحديدي، ص٥٣).

وتأكيداً لهذه الفكرة كتب توم سيغف، حول ما افترضه بن غوروين "أنه إذا ما استطاعت إسرائيل الصمود وتعزيز قوتها، فستضطر الدول العربية عندها إلى الاعتراف بحدودها، ومع مرور الزمن سيوطن اللاجئون داخل أراضيها، وتختفي بذلك أسباب النزاع من تلقاء نفسها"(٨٧). ويرى سيغف في هذا الافتراض، خطأ كبيراً، لأنه "كلما شعر الفلسطينيون بأنه تم التخلي عنهم، وكلما طال نفيهم، تعزز لديهم الوعي القومي، وضعف الأمل بتوطينهم في الدول العربية، فللقوة هي التي توحد الناس في المنفى، وشدة حنينهم إلى وطنهم، وبكلمات أخرى كان ثمن السلام يرتفع طوال الوقت، ولم يكن الزمن يعمل في مصلحة إسرائيل"(٨٨).

وقد جاء رفض القيادة الصهيونية، كل اتفاقات السلام، المتاحة بعد الحرب ١٩٤٨، لاعتبارها تؤثر على تعبيرات الأرض والديمغرافية، ولأن عملية السلام لدى الصهاينة تعني بداية التخلي عن الاستعمار الكولونيالي الذي تم بدوافع أيديولوجية، جعل المجتمع الإسرائيلي يعيش أسطورة زائفة مفادها أن الفلسطينيين يشنون حرباً على وجود إسرائيل، وإسرائيل في خطر.

لقد وفرت هذه المقولة الشرعية لكل ما جرى، ويجري للشعب الفلسطيني ولفترة طويلة، لذا كشف المؤرخون الجدد ما آمن به زعماء إسرائيل، من أنه لا داعي للسعي من أجل السلام، إذ أن العرب هم الذي سيأتون إلى إسرائيل يطلبون منها السلام، وبالرغم من هذه المقولات، إلا أن إسرائيل لم تكن في أي وقت من الأوقات معنية بالسلام، أو تعمل من أجله، بل العكس صحيح، فقد كانت ولا تزال تعمل على إجهاض أية محاولة أو مسعى للسلام، وكان أول من تناول هذه القضية وفنّد تلك الأسطورة التي غدّت أجيالاً كاملة، المؤرخ آفي شلايم في كتابه الهام "الحائط الحديدي" المقتبس اسمه من نظرية "جابوتنسكي" والتي مفادها أنه "طالما احتفظ العرب ببارقة أمل في أنهم سوف ينجحون في طرد اليهود، فما من شيء يثنيهم عن ذلك إلا تحطيم مقاومتهم، مما يؤدي إلى حدوث تغيير داخل الحركة القومية الفلسطينية، مع وصول المعتدلين منهم إلى الطليعة، عندئذ فقط قد يحين الوقت للبدء في التفاوض الجاد بواسطة القوة العسكرية اليهودية، التي تشكل العامل الجوهري من أجل بناء الدولة"[٨٩].

وبرزت أهمية مؤلف آفي شلايم السابق، في تأكيده "أن إسرائيل ما بعد الحرب، كانت أكثر تعنتاً من الدول العربية" (شلايم، الحائط الحديدي، ص٥١)، لذا فقد حمّل شلايم إسرائيل قدراً أكبر من المسؤولية عن الانسداد السياسي الذي تلا الانتهاء الرسمي لأعمال الحرب، وعلى الرغم من اقتناعه بتعنت إسرائيل وتصلبها إزاء عملية السلام، إلا أنه لا ينكر أن الرأي العام العربي قد شكل عائقاً أمام السلام، موضحاً كراهية الجماهير العربية لليهود بسبب النكبة، في وقت أبدت فيه الزعامات العربية، استعدادها للتحدث مع إسرائيل وتحقيق سلام معها مقابل دفع أراض من دولهم مقابل هذا السلام (شلايم، الحائط الحديدي، ص٥٢).

وقد بيّن شلايم أن إسرائيل، هي السبب في ديمومة الصراع، بتبنيها سياسة هجومية توسعية، أفشلت كل مساعي السلام، والمبادرات الدولية الخاصة بذلك، وبرر شلايم ذلك بأن "هذه

السياسة تأتي ضمن استراتيجية الحائط الحديدي، التي حكمت سياسة إسرائيل تجاه العرب، وظلت تقيم حائطاً حديدياً بينها وبين العرب حتى حرب ١٩٧٣، التي أجبرتها على تغيير هذه السياسة، وقلبها للموازين بإبرازها الأداء المتفوق للجيوش العربية، وعبور الجيش المصري لقناة السويس ملحقاً الهزائم العسكرية بإسرائيل"(٩٠).

ومن جهته أكد ايلان بابيه ما توصل إليه شلايم، من أن التوصل إلى سلام في نظر بن غوريون لا يستحق في نظره التخلي عن الأراضي التي احتلتها (٩١). كما أشار بابيه إلى "أن إسرائيل وبن غوريون قد فضلوا المفاوضات الثنائية، وذكر ما حدث في مؤتمر "لوزان الذي انعقد في أيار ١٩٤٩ من تفضيل بن غوريون، لإجراء مفاوضات مع الأردن خاصة، ورفض البحث في مترتبات حرب ١٩٤٨ ، على مستقبل فلسطين، وبهذا الصدد، بين بابيه أن فرصة للسلام، قد سنحت في لوزان لكن لم تستنفذها إسرائيل"(٩٢).

على الرغم من المزاعم الإسرائيلية، التي استمرت سنين طويلة، من رفض العرب لعروض السلام، إلا أن شلايم وثق في كتابه، لرفض بن غوريون، مبادرة السلام المصرية، التي تقدم بها مبعوث الملك فاروق (كامل رياض) في أواخر سبتمبر ١٩٤٨، والتي تنص على اعتراف مصر بإسرائيل، في مقابل أن تقدم إسرائيل، تنازلات كبرى، في منطقة النقب لتحقيق التواصل الجغرافي بين مصر والمشرق العربي، وأن تقبل بعودة اللاجئين الفلسطينيين مقابل توقيع معاهدة عدم اعتداء، وأراد موشيه شاريت دراسة هذه المبادرة، لكن بن غوريون نحّاها جانباً (شلايم، الحائط الحديدي، ص٥٥)، كما أشار شلايم إلى إضاعة فرصة أخرى للسلام، من طرف إسرائيل، برفض بن غوريون اقتراح حسني الزعيم (القائد السوري) بعقد اتفاقية سلام بين البلدين، مع تبادل السفراء، وفتح الحدود، وإقامة علاقات اقتصادية طبيعية، وكحافز إضافي عرض الزعيم لتوطين ٣٠٠ ألف لاجيء فلسطيني، مقابل تعديل حدود الدولة، لإعطاء سوريا نصف بحر جاليلو، ورفض بن غوريون هذا العرض قلباً وقالباً، وأكد ذلك موريس(٩٣).

وكان موريس في استعراضه للعلاقات السرية العربية – الإسرائيلية، ومحاولات التسوية، قد حمّل إسرائيل، المسؤولية في فشل هذه العلاقات، وذلك لأن الإسرائيليين لم يثقوا بالعرب مطلقاً، واعتبروهم غير جديرين بالثقة، وحتى بعض حلفائهم من الموارنة، في لبنان لم يثقوا بهم لأنهم "عرب"(٩٤). الجدير بالذكر أن السلام لم يكن يوماً في تفكير إسرائيل، وهي

بحسب رأي بن غوريون ليست في عجلة من أمرها، حتى بعد أن مدّ العرب أيديهم للسلام، فإن إسرائيل تصدها وتشن حرباً لا هوادة فيها، ونستذكر ما وثقه شلايم في هذا الصدد، حول العلاقات السرية بين إسرائيل ومصر، التي استمرت لغاية عام ١٩٥٤، فقد امتدت المباحثات وغطت مجالات أوسع للعلاقات مثل حرية الملاحة في قناة السويس، ومشكلتي الحدود واللاجئين، وتراسل شاريت مع عبد الناصر معجباً بمثاليته ومثابرته لتحرير بلاده، لكن هذه المباحثات لم تستمر بسبب قناعة بن غوريون من أن عبد الناصر هو عدو خطير لا بد من التشدد معه، وشن حملة السويس ٢٩/أكتوبر/١٩٥٦، وقال عنها شلايم "أنها مثال صارخ على الطريقة التي يمكن بها التعامل مع التاريخ لخدمة الأهداف السياسية الرسمية الهادفة إلى تصعيد الصراع وخاصة على الجبهة السورية لجر الشرق الأوسط إلى حرب واحتلال الجزء الشرقي من سيناء" (شلايم، الحائط الحديدي، ص٥٠).

لقد أيد موريس تحميل إسرائيل مسؤولية تضييع فرصة السلام المتمثلة في المعاهدة السلمية، بعد رحيل عبد الناصر، والتي قدمها "أنور السادات" عام ١٩٧١، بعد أربع سنوات من حرب الأيام الستة والثلاث لاءات الشهيرة للسلام والتفاوض والاعتراف بإسرائيل، والتي أصدرها العرب في مؤتمر القمة العربية في الخرطوم ٢٨/٨-١٩٦٧/٩/٢، مقابل انسحاب إسرائيلي من الضفة الشرقية لقناة السويس، كخطوة أولى لتنفيذ القرار ٢٤٢، برفض جولدا مائير (ممثلة الوكالة اليهودية) هذه المبادرة (شلايم، الحائط الحديدي، ص٢٨٨). وكان شلايم قد أشار إلى أن هذا الرفض شكل خطأ جسيماً أدى إلى حرب أكتوبر (شلايم، الحائط الحديدي، ص٢٨٨). جولدا مائير بحسب ما بينه شلايم كانت تمثل الرفض الإسرائيلي المتعنت في إقامة علاقات مع العرب لاقتناعها بعدم إمكانية التعايش السلمي معهم، وإيمانها بإقامة حائط حديدي حول إسرائيل تتحصن به بعبارة أن تحيا بالسيف، وقد عبر شلايم عن جولدا مائير بأنها كانت زعيمة حرب هائلة، وأنها ارتكبت خطأ برفضها اقتراحات عدة منها: اقتراح يانج (السفير السويدي لدى موسكو) القائل بأن إسرائيل يجب أن تتخلى عن سيناء مقابل السلام، والثاني اقتراح السادات للتسوية المؤقتة (شلايم، ص٣٠١).

ظلت جولدا مائير ترفض الاعتراف بحق الفلسطينيين لاعتقادها أن الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية يكمن في وضع الفلسطينيين تحت السيطرة الأردنية. وكان شلايم قد كشف عن لقاءات بين جولدا مائير والملك عبد الله، وأن هذه اللقاءات قد حسمت الانتصار الشامل لإسرائيل

(الحائط الحديدي، ص٤٤)، ووثق شلايم للقاء بين الطرفين في نهاريم على نهر الأردن ١٧/ نوفمبر/ ١٩٤٧، وما نتج عن تفاهم أدى إلى التقاء الأفكار ووضع أسس لتقسيم فلسطين عبر خطوط جديدة غير التي قررتها الأمم المتحدة، كما جرت اجتماعات سرية أخرى بعد وفاة الملك عبد الله بين الملك حسين، وأبا إيبان، وإيجال آلون وموشيه ديان، ومسؤولين إسرائيليين، تمت في تل أبيب، وخليج العقبة، ووثق في هذا الخصوص الاجتماعات مع إيجال آلون حتى عقد معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن في أكتوبر ١٩٩٤، وبعدها لم تكن هناك حاجة للسرية[٩٥].

وهكذا فإن ما رسمه المؤرخون الجدد في أبحاثهم يمثل طبيعة السلوك الإسرائيلي العدائي إزاء الفلسطينيين والعرب، ولم يكن بن غوريون أو جولدا مائير شيئاً مميزاً في التعنت ورفض السلام، فقد ذكر بيغن "أنه لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا في أرض إسرائيل، ولن يكون سلام للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأكمله" (بيغن، التمرد: ص٧٠)، وكان بيغن قد فند أي ادعاء بتبني استراتيجية تعمل تجاه سلام مع العالم العربي وذلك بغزو لبنان / يونيو/ ١٩٨٢، وحقيقة هدفه في تعزيز سيطرة إسرائيل على يهودا والسامرة، وكان يخفي وراء ذلك المفهوم الأيديولوجي لإسرائيل[٩٦].

وكان شلايم في استعراضه لزعماء إسرائيل وتفويتهم فرص السلام، قد قال أن "مناحيم بيغن كسلفه بن غوريون كان يحمل أيديولوجية واحدة "أرض إسرائيل الكبرى"، وأنه قد وقع اتفاق سلام مع مصر لأن سيناء في نظره ليست جزءاً من أرض إسرائيل الكبرى، وبعد أشهر من توقيع الاتفاقية شن بيغن حملة الليطاني، ولم يكن ينوي تطبيق اتفاق كامب ديفيد المتعلق بالحقوق المشروعة للفلسطينيين، وكان قد استصدر عام ١٩٨١ قانوناً في الكنيست لضم مرتفعات الجولان، مما أظهر للعالم أنه لا يريد سلاماً شاملاً مع العرب"[٩٧]، وقد وصف توم سيغف "التعنت الإسرائيلي برفضه لمقترحات السلام بأنه مشكلة قومية موجهة لإسرائيل ما دام السلام غير متحقق، وما دامت الصهيونية تعطي الأولوية لليهودي قبل العربي في المجتمع الإسرائيلي"[٩٨].

ومن جهة أخرى توقع سيغف أنه "إذا نجحت عملية السلام، فهذا يعني بأفضل حالاته احتواء النزاع بين الطرفين على مستوى منخفض من العنف لا التخلص منه نهائياً، بل العكس سيبقى هذا النزاع قائماً بالتوتر الذي تحدثه مطالب الفلسطينيين الجديدة"[٩٩].

عموما، تبدو المسألة وكأن الأوراق كلها بأيد إسرائيلية، حتى وإن لم يكن هناك مطالب فلسطينية، فإسرائيل غير معنية بالسلام لإدراكها بأن أي سلام مبني على العدل بإعطاء الفلسطينيين كافة حقوقهم، فإن عواقبه وخيمة، وكما عبر وايزمان "بأنه لو تم تأسيس حكومة في إطار السلام العادل، فإن العرب سيمثلون فيها، وهي حكومة ستتحكم في الهجرة والأرض والتشريع، وبذا سيحقق الصهاينة السلام – ولكنه "سلام المقابر" (على حد قوله) (١٠٠).

وعلى الرغم من ذهاب الفلسطينيين إلى أوسلو، وهم بكامل الاستعداد للتفاوض، مع الإسرائيليين، وعلى الرغم من الموافقة على بعض التنازلات، إلا أن الإسرائيليين المفاوضين ذهبوا لأوسلو بسخرية ولم يحترموا أية اتفاقية، حتى اليوم في إطار أوسلو لا بكاملها ولا حتى بجزئيتها، وهي إن فعلت ذلك، فلن يتم إلا بعد استخراج عصارة الفلسطينيين لقاء سنتمتر هنا وآخر هناك، في وقت تكثف فيه من بناء المستوطنات، هذا على الأقل ما عبر عنه بطريقة أكاديمية مثقف إسرائيلي خاب أمله في المجتمع الإسرائيلي الذي لم يتقبل غالبيته الأفكار النقدية الجديدة والنظرة لما بعد صهيونية للسلام، مع اقتناعه بأن "إسرائيل وحكامها قد أضاعوا فرصة السلام الكبيرة في أوسلو، رغم محدوديتها، وأنهم دفنوها تحت بحر من الجرائد والكلمات والدم والجنازات والمصالح الأمريكية، ويبدوا له أن سلطة إسرائيل تتعمد رفض السلام وتتجاهله"(١٠١).

إن حقيقة التعنت الإسرائيلي، التي كشفها شلايم هي السمة التي تأدلج بها الزعماء الإسرائيليون، في تفويتهم فرص السلام، وكان شلايم قد حمل شامير مسؤولية إضاعة فرصة لتوقيع اتفاق سلام مع منظمة التحرير بعد حرب الخليج، عندما كان موقف عرفات ضعيفا بعد أن فقد التأييد الشعبي والدولي، وكان الأمريكيون متلهفين لحل النزاع، لكن شامير كان الشخص الذي فوت الفرصة التاريخية لصنع السلام الأشمل في الشرق الأوسط، بسبب أيديولوجيته المعقدة، "لا للدولة الفلسطينية"، "لا تفاوض مع منظمة التحرير"، "بقاء القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية"، "إنشاء مستوطنات جديدة والتوسع في الموجود منها". وقد شكلت أيديولوجية شامير الليكودية حجر الزاوية في أيديولوجية حزبه، كما أفاد هو "أرض إسرائيل" والتي لا يجب التفريط فيها، وقد كان شامير مؤيدا لنظرية الصراع الدائم بين إسرائيل والعرب واتضح ذلك من لغة الحرب التي كانت تفرض نفسها على كلماته وعلى أحاسيسه الداخلية ووجهة نظره العالمية أكثر من إمكانية التعايش السلمي، وكان يرى أن الحرب ليست فقط ضرورة لبقاء إسرائيل ولكن

وسيلة لا غنى عنها للحياة، سوف يتذكر التاريخ شامير بلا شك كرجل أحب أرض إسرائيل، ولكنه سيتذكره أيضاً كرجل خرّب بشكل مستمر كل مبادرة لحل الصراع بين إسرائيل والعرب أثناء رئاسته للوزراء[١٠٢].

استخلص شلايم في كتابه السابق أن أول محاولة جادة لعبور الحائط الحديدي قد قام بها اسحق رابين على الرغم من أنه أمضى حياته كجندي يقوم بتشييد الحائط الحديدي، وارتبط اسمه كرئيس للأركان في حرب ١٩٦٧ بمد هذا الحائط إلى أبعد حدود، لكنه قرر التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية مما أثمر اتفاق أوسلو ١٩٩٣/٩/١٣ الذي أقرّ الاعتراف المتبادل بين الطرفين وبحق كل منهما في دولة على أرض فلسطين التاريخية، على أن تحل الخلافات الباقية تدريجياً (الحدود – اللاجئين – المستوطنات – القدس) (شلايم، ص٤٩٠). وفي العام التالي توصل رابين إلى معاهدة سلام مع الأردن، حيث لعبت الدبلوماسية الشخصية دائماً دوراً حيوياً في مسار العلاقات الأردنية – الإسرائيلية؛ وتم توقيع هذه المعاهدة في ٢٦/أكتوبر/١٩٩٤ في نقطة حدودية في وادي عرابا كانت حقلاً للألغام سابقاً[١٠٣].

على الرغم من اتفاقية أوسلو إلا أنه بمجيء عام ١٩٩٦، وصل إلى رئاسة الحكومة بنيامين نتنياهو، وبصفته أحد أتباع جابوتنسكي صاحب تسمية الحائط الحديدي حاول إرساء هذا الحائط ليصبح أكثر جموداً، وأعلن في الاحتفال بالعيد الخمسين لإنشاء دولة إسرائيل أن السيادة اليهودية والقوة العسكرية هي الرادع والضمان الوحيد ضد ذبح اليهود، ومنذ اليوم الأول له في السلطة، عمل نتنياهو على تخريب أوسلو، فلم ينفذ الاتفاقيات التي تم التوصل إليها مع الفلسطينيين، بل زاد الاستيطان في الأراضي المحتلة، وجمد المفاوضات، وكانت المشكلة الفلسطينية بالنسبة له مشكلة مصطنعة، وأنكر على الفلسطينيين الحق في تقرير المصير، وفي رأيه أن التوصل إلى سلام مع منظمة التحرير هو أمر مستحيل، لأن هدفها تدمير إسرائيل، وهو الهدف الذي يبرر وجودها ذاته، وقد اتضحت نظرته هذه في كتابه "**مكان بين الشعوب** – إسرائيل والعالم" ١٩٩٥ الذي لا يحتوي على إشارة إيجابية إلى العرب وتاريخهم وثقافتهم، بل قال أن الفلسطينيين لا يملكون الحق في تقرير المصير، وأن النزاع في المنطقة ناتج عن صراعات عربية داخلية"[١٠٤].

وأكد شلايم "أن محاولات نتنياهو في تحقيق السلام والأمن مع الإصرار على التمسك بالقدس ومعظم الضفة الغربية وهضبة الجولان، أثبتت أنه كان يعيش في جنة الأغبياء"، وأضاف شلايم أنه حتى بعد أن "اضطر نتنياهو إلى توقيع اتفاق الخليل ١٥/يناير/١٩٩٧، واتفاق واي ريفر ١٥/نوفمبر ١٩٨١، لم يف بوعوده، وأعلن قرار بناء (٦٥٠٠) وحدة سكنية في جبل أبو غنيم (هار حوما) بالقدس الشرقية، وصادر مساحات واسعة من الأراضي لبناء المزيد من المستوطنات، وعلّق تنفيذ إعادة الانتشار الثاني المتفق عليه على خمسة شروط لم تكن قد ذكرت من قبل"[١٠٥].

وعلى الرغم من اعتبار أن إسرائيل، مسؤولة عن أضاعتها فرص السلام، مع العرب الواحدة تلو الأخرى، إلا أن هناك فروقاً بين هؤلاء المؤرخين، في نظرتهم للسلام، ففي تصور بني موريس، أنه ليس هناك أية إمكانية، للتوصل إلى اتفاق سلام حقيقي ونهائي بين طرفي الصراع، واللوم في نظره لا يقع على آلة الدمار الإسرائيلية، ولا على واقع الاحتلال الشوس وغير الإنساني، كما لا يقع على عدم وجود نية أو رغبة جادة لدى الطرف الإسرائيلي لتقديم تنازلات مقنعة للجانب الفلسطيني، بل اللوم يقع على عاتق الفلسطينيين لأنه (حسب رأيه)، في قلب كل فلسطيني رغبة في أن لا تكون إسرائيل هنا، الحل في نظره يكمن في أحد طرفين: "إما ضمّ تجمعات عربية من إسرائيل للدولة الفلسطينية (في حال قامت)، أو لدول عربية مجاورة، أو ان يرغبوا هم (أي الفلسطينيون) بمغادرة الدولة، ويرى موريس أن الخيار الثاني، خيار الترانسفير، ترحيل جماعي للعرب مع وجود دولة يهودية من البحر إلى النهر مع أقلية عربية"[١٠٦].

أصبح بني موريس بعد أحداث تشرين أول (أكتوبر) ٢٠٠٠ في إسرائيل على قناعة من أن أننا لن نتوصل للتسوية في هذا الجيل، كما أنه يخشى أن لا نتوصل لاتفاق حقيقي ونهائي في أي يوم من الأيام، وهو لا يصدق الفلسطينيين ويرتاب بهم، ويحملهم المسؤولية عن استمرارية النزاع، فهم (على حد قوله)، "لم يرغبوا بالسماع عن خطة الحكم الذاتي في كامب ديفيد، وتهربوا من قبول اقتراح كلينتون السخي (٩٥% من مساحة الضفة)"[١٠٧].

لقد كان موريس متفائلاً ولكن بحذر عندما وقع الطرفان الإسرائيلي والفلسطيني على اتفاق أوسلو، لأنهما تحدثا عن السلام، واتفقا على الاعتراف المتبادل، وهذا بنظره "بمثابة خطوة

أولى وعدت بانسحاب إسرائيلي تدريجي من المناطق المحتلة، وظهور دولة فلسطينية، وكان في ذلك إشارة إلى أن التسوية السلمية الشاملة بين إسرائيل والعرب قريبة ويمكن الوصول إليها". لكن تلاشي هذا التفاؤل عنده، ويمر الآن بنوع من "التشاؤم الكوني"، اتضح ذلك من خلال مقال أرسله إلى جريدة "الغارديان" البريطانية يشرح فيه نفسه، ويرفض أية إمكانية للسلام مع الفلسطينيين والعالم العربي[١٠٨]. وقد رأينا لأهمية ما احتواه المقال أن نأتي على تفاصيله وعلى رد آفي شلايم عليه.

الانقلاب الفكري عند بني موريس، لا يرجع إلى أنه يمر بعملية "زرع دماغ" بل نتيجة لما يسميه "رفض سوريا لمقترحات إسرائيل للسلام، ذلك الاتفاق، الذي عرضه رئيس الوزراء اسحاق رابين وشمعون بيرس، عام ٩٣-١٩٩٦ وايهود باراك، في ١٩٩٩-٢٠٠٠، والمتعلق بانسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان مقابل معاهدة سلام ثنائية[١٠٩]. لم تتوقف المفاوضات (حسبما قال موريس) بسبب بضع عشرات من الأمتار رفضت إسرائيل إعادتها لسوريا، بل بأثر صورة لصلاح الدين الأيوبي، معلقة فوق أحد الجدران في مكتب الرئيس الأسد، تخيل موريس الأسد الأب، حافظ فوق فراش المرض، ويقول لابنه: "مهما كان الذي تريد فعله، لا تصنع سلاماً مع اليهود، فهم سيختفون أيضاً كما حدث مع الصليبيين إلى زوال"[١١٠].

كما اتهم موريس الرئيس ياسر عرفات، رمز الحركة الوطنية، بأنه يواصل نهج الحاج أمين الحسيني، في رفض تواجد اليهود في البلاد، وجريمة عرفات في نظر موريس، رفضه لمقترحات باراك السخية، في عام "٢٠٠٠" والتي تمثل في نظر موريس، "الحل المنطقي"، لكن عرفات رفض ذلك لأنه يصر على انسحاب كامل، من المناطق وعلى سيادة فلسطينية، مستقلة على الحرم الشريف، و "حق العودة" للاجئين، وبدلاً من المفاوضات، قام عرفات بإشعال فتيل الانتفاضة.

وفي مكان آخر من مقاله، اتهم موريس السلطة الفلسطينية، على "أنها المملكة الفعلية للكذب خاصة أمام وسائل الإعلام"، وأيد موريس ما تقوم به قوات الجيش الإسرائيلي، من عمليات قصف، واغتيال، ضد الفلسطينيين، واعتقد أن ذلك "انتقام بشكل أخلاقي، على العمليات الانتحارية، في تل ابيب وغيرها، والتي يتجه القادة الفلسطينيين تلقائياً، لاعتبار منفذيها أبطالاً قوميين، ولم يكتفوا بذلك، بل بدأوا باستخدام مصطلح الجيش الصهيوني أي "جيش الدفاع

الإسرائيلي" تماماً كما كان في الخمسينيات والستينيات، حيث كان القادة العرب يقولون "الكيان الصهيوني" بدلاً من كلمة "إسرائيل" إذ شعروا بأنها ترمي إلى الاعتراف بالدولة اليهودية وشرعيتها"(١١١).

استنتج موريس من موقف الفلسطينيين، أنهم ليسوا مستعدين للاعتراف بحق إسرائيل بالوجود، وذلك يشمل أيضاً المعتدلين، مثل "سري نسيبة" الذي كتب عنه موريس، قائلاً إنه "قد يكون مستعداً للاعتراف، بأن إسرائيل في هذه المرحلة قوية، بما يكفي للتخلي عن التفكير بتدميرها، لكنه لا يقول في الوقت ذاته: أنه يعترف بصدقية الصهيونية ومشروعيتها". وأقرّ موريس بأحقية اليهود في أن تكون دولة لهم، ويتضح من خلال أقواله أنه ما زال مؤيداً لانسحاب أحادي الجانب إلى حدود يمكن الدفاع عنها، لكنه بالرغم من ذلك "لا يعتقد أن الانسحاب إعادة احتلال الضفة والقطاع، وهو ما سيشعل حريقاً شاملاً في الشرق الأوسط بطبيعة الحال"، وعلى أساس تقديره أن ما سيظل مقرراً في أوضاع الشرق الأوسط هو الديمغرافيا والقوة العسكرية، وهو لا يقترح ترحيل العرب صراحة، لكنه يملك التصورات التالية عن المستقبل: "إما أن تكون أرض إسرائيل دولة يهودية، بدون أقلية عربية كبيرة، وإما أن تكون دولة عربية، مع أقلية يهودية تتناقص بالتدريج، وإما أن تكون كومة خراب نووية"(١١٢).

بالنسبة لآفي شلايم، فقد عبر عن حديث موريس السابق، "بأنه حديث مشتت، فيه ازدراء وكره شديد للعرب، بشكل عام، والفلسطينيين بشكل خاص، وأنه لا يتحدث كمؤرخ بل كدعائي"، وقد وصف شلايم المحادثة، التي وصفها موريس بين الرئيس الأسد وابنه بشار على أساس أنها "أقوال يتخيلها في خياله الخصب، شبيهة بالحقائق التاريخية في "بروتوكولات حكماء صهيون" أما حقيقة أن التسوية التاريخية في أوسلو قد سقطت لأن الفلسطينيين يكذبون (حسب ما توصل إليه موريس)، فإن شلايم يرى أن "السبب يعود إلى "التوسع الإسرائيلي"، وأن عملية بناء المستوطنات في المناطق المحتلة كانت دوماً عملية "غير شرعية وخرقت اتفاقية أوسلو"، وبذلك تراجعت إسرائيل عن جانبها من الاتفاق الذي تم في أوسلو(١١٣).

وفيما يتعلق برفض عرفات لعرض باراك السخي لإنهاء الاحتلال في كامب ديفيد، فقد كشف لاحقاً عن أن "رواية باراك للأحداث مشكوك فيها"، والأمر الذي ساعد على هذا الكشف، ما قاله باراك عن الأشخاص الذين كان يحاول – كما أعلن أن يتوصل معهم إلى اتفاق سلام(١١٤).

وفي مقابلة أجراها موريس مع باراك، قال موريس أن باراك تحدث "مرات عديدة خلال المقابلة" عن الفلسطينيين كأبناء ثـقافة "يعتبر الكذب فيها مسموحاً ولا يواجهون أي صعوبة في الكـذب، على عكس الثـقافة اليهودية والمسيحية، وينظرون إلى الصدق على أنه شيء غير ذي علاقـة، والمهم هو ما الذي يخدم مصلحتك وما الذي لا يخدمها"، والغريب أن موريس الذي حرص على رفض الأكاذيب الإسرائيلية عن حرب عام ١٩٤٨، لم يسجل رده على هذه الاتهامات العرقيـة التي أطلقها باراك، من هنا كان التشويه العلني للثقافـة العربية في إسرائيل مقبولاً، وأن وصف العرب كمتآمرين وغير شرفاء وكسولين وقتلة كان أمراً عادياً في الكتب المدرسية الإسـرائيلية كما هو في جزء كبير من الأدبيات الإسرائيلية، لكن في الفترة الأخيرة "ظهرت جماعات واسعة في إسرائيل مؤيدة للحوار والتعايش، وترفض الصفات التي استخدمها باراك، وكرئيس لأركـان الجيش الإسرائيلي عارض باراك اتفاقات أوسلو، وكوزير للداخلية في حكومة رابين امتنع عـن التصويت في اقتراع هام بشأن اتفاقية أوسلو الثانية، وخلال فترة ولايته كرئيس للوزراء رفـض التمسك بأي بند من اتفاقات أوسلو يتطلب تقديم المزيد من التنازل للفلسطينيين، فكيـف يصـف الفلسطينيين بأنهم كاذبون وغير موثوق بهم؟"[١١٥].

وحول رأيه في باراك، قال شلايم "أنه كان يحلم بالنهايات، بإنهاء النزاع، لأنـه كـان يعرف أنه في حال استمراره، يمكن أن يتحول إلى جحيم في المنطقة، كما يحـدث الآن، وفـي كامب ديفيد، كان باراك يريد أن يوقع عرفات، على أنه لم تعد لديه أي مطالب أخرى، ولكنه لـم يعرض في مقابل ذلك، أي شيء فيما يتعلق باللاجئين، وأصر على أن تحتفظ إسرائيل بالسـيادة على الحرم القدسي، ولم تكن لديه الشجاعة لأن يتقبل الأمر الواقع، حقيقـة السيطرة الفلسـطينية على المكان، كانت اقتراحاته تصلح لاتفاق مرحلي، ولكن بسبب تعلقه بالنهايات، طالب عرفـات بتوقيع اتفاق نهائي، وحمّل شلايم باراك المسؤولية في وصول العملية الدبلوماسية إلى طريـق مسدود"[١١٦].

اعترف المؤرخ شلايم بأنه "أصاب إدوارد سعيد .. وأخطأت"، عندما تحمس في مقـال حول اتفاق أوسلو ١٩٩٣، على أنه الخطوة الأولى، على طريق السلام الحقيقي"، وأنه "أخـيراً اعترف كلا الطرفين بالآخر، وقبل مبدأ التقسيم، ووافق على قطع مرحلة تلـو الأخـرى نحـو التسوية النهائية" يومها عبر شلايم عن اعتقاده بأن الاتفاق سوف يؤدي إلى انسحاب إسـرائيلي

تدريجي لا رجعة فيه من الأراضي المحتلة، وأنه "لن تمضي خمس سنوات، حتى تكون هناك دولة فلسطينية مستقلة، وينتهي صراع نصف القرن العربي الإسرائيلي"(١١٧).

المقال الآخر حول هذا الموضوع، والذي نشر في نفس الوقت، مع مقال شلايم كان للمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد، والذي رفض الاتفاق، بوصفه أنه "فرساي فلسطينية" وأنه بتنازله عن الحقوق القومية الأساسية للشعب الفلسطيني لن يؤدي إلا إلى مزيد من الدماء. عاد شلايم في الفترة الأخيرة في قراءته للأمور، معترفاً بأنه كان متفائلاً أكثر مما يجب، عندما اعتقد أن قادة إسرائيل يستطيعون صنع السلام، وشرح كيف أن باراك الذي خدع الجميع يوم قدّم نفسه على أنه التلميذ المخلص لرابين لم يكن مؤهلاً أبداً لصنع السلام، وأنه -بحكم تكوينه- "يظل جندياً حتى وان ارتدى الملابس المدنية كرئيس للوزراء". وكان شلايم قد تساءل "لماذا نسينا أن نسأل: هل يمكن لجندي حصل على الكثير من النياشين والأوسمة أن ينجح في صنع السلام مع العرب مثلما نجح في قتلهم؟ وقال شلايم أن باراك نفسه تكفل بالإجابة، وأنه هو الذي قضى على اتفاقيات أوسلو "سيراً على خطى من سبقوه"(١١٨).

هكذا يكون شلايم، قد أشار إلى أن أسطورة عروض باراك السخية، ما هي "إلا من نسج الخيال، وليست عروضاً حقيقية"، وأن "في هذه المرحلة من الصراع يصارع داوود الفلسطيني جوليات الإسرائيلي"، وبين أن الفلسطينيين، هم "ضحايا العدوان الإسرائيلي، وتاريخ إسرائيل الرسمي مليء بالأساطير"، ولا شك أن إسرائيل، قد أفسدت الاتفاقية بسبب سياستها، في تجريد الفلسطينيين"، وباراك نفسه، قد أساء التعامل مع القمة من البداية وحتى النهاية"، لذا قال شلايم أن دور المؤرخ يتمثل في توضيح موضوعية ادعاءات الأطراف وفي تفحص دقيق ضمن الأدلة المتوفرة"(١١٩).

وبالنسبة لبني موريس، فإن انتفاضة الأقصى التي أودت بحياة المئات من الطرفين، قد انطلقت، بسبب أوامر من عرفات لفعل ذلك، لكن بالنسبة لشلايم فإن "الزيارة الاستفزازية للحرم الشريف التي قام بها من أصبح رئيساً لإسرائيل، أريئيل شارون، هي السبب في اندلاع الانتفاضة، ومع انتخابه ذهب كل ما تم ترتيبه خلال محادثات طابا عن التوصل إلى اتفاق نهائي، أدراج الرياح، وأصبح هناك جزء جديد مروع من تاريخ الصراع على وشك أن يبدأ"(١٢٠).

وفي معرض تقييمه لاستنتاجات بني موريس، أشار شلايم إلى أنها "أتت بطبيعة الحال جزءاً من التفسيرات الناقصة للتاريخ في العقد الأخير وخاصة في السنتين المنصرمتين، فمثلاً استنتاجه المتعلق بأن جذر المشكلة في نكران القيادة الفلسطينية، لشرعية الدولة اليهودية غير صحيح، إذ أن جذرها يكمن في استمرار الدولة اليهودية، في احتلال معظم المناطق الفلسطينية التي استولت عليها عام ١٩٦٧"، وأوضح شلايم أن "تفسير موريس للتاريخ أصبح قديماً ومتوجاً بالانتقام، من المتعذر تمييزه عن دعاية المنتصرين"، كان "يمتلك شجاعة ادعاءاته، الآن لديه شجاعة أدائه المتميزة"، ويدعو شلايم موريس لأن يفكر ملياً في عبارة "نتعلم من التاريخ إننا لم نتعلم من التاريخ" بدلاً من أن يكرر قول أبا إبان: "الفلسطينيون لا يفوتون فرصة لتفويت فرصة" واختتم شلايم رده على موريس بأنه "طالما أن الحمام الإسرائيلي يتجه نفس اتجاه موريس، فإن (شلايم) قد تحول إلى فكرة "أن السلام في الشرق الأوسط أهم من أن يترك للإسرائيليين وحدهم للبت فيه"[١٢١].

الغريب قول موريس "كل هذا هو خطأ الفلسطينيين" وهو بذلك يعود لركن "لوم الضحايا". هكذا يكون شلايم قد رد على موريس وانتقده كاشفاً القناع الحقيقي الذي يرتديه، على الرغم من شهرته كمؤرخ أثبت زيف الأساطير الصهيونية، شلايم كشف حقيقة باراك، وعروضه السخية الخيالية، وكان قد وصف شارون بالكذب كونه لا يقول الحقيقة الكاملة، ويخفي نواياه باستمرار، وأضاف إلى أنه "غير معني باستئناف المفاوضات ويلقي الان معظم اللوم، على الرئيس ياسر عرفات، بينما في الواقع، هو يتحمل جزءاً كبيراً من مسؤولية سفك الدماء، لأنه يرفض العودة إلى طاول المفاوضات"، ولا ينكر شلايم قسوة شارون، تلك القسوة التي تتصف بالإصرار، وتتخذ من الاغتيالات سياسة لها، والتي لم تؤد إلى فائدة بل أدت إلى قتل رحبعام زئيفي – فالحكومة الإسرائيلية (يقول شلايم) هي التي قتلت زئيفي"[١٢٢].

وبهذا يكون شلايم، قد اختلف عن موريس، في تفسيره للتاريخ وفي نظرته للفلسطينيين، وشلايم، مؤرخ درس ما حدث في الماضي، مكنه ذلك من أن يصدر حكماً على القصة التي يرويها، ويدين فيه أيهود باراك، وأريئيل شارون، في محكمة التاريخ، فهما مسؤولان عن سفك الدماء المستمر حالياً، وليس ياسر عرفات أو الانتفاضة كما يدّعي موريس في انقلابه الفكري.

استنادا لهذه المعطيات الصادرة عن المؤرخين الجدد، وخاصة آفي شلايم، فيما يتعلق بالسلام، ندرك أنه بالرغم من كل ادعاءات السلام، التي تطلقها إسرائيل، إلا أنها في نهاية الأمر، رؤية وهمية، أيديولوجية، بالمعنى السلبي للكلمة، وأن إسرائيل وقادتها اليمينيون وحتى اليساريون، لم يكن في نيتهم أبدا التوصل إلى سلام حقيقي، وعادل مع الفلسطينيين، لاقتناعهم بأن السلام يعني تدمير إسرائيل، وأن ما توصل إليه المؤرخون الجدد، يثبت أن عدم مرونة الزعماء الإسرائيليين، وتعنتهم، كان السبب الوحيد في ديمومة الصراع، وما افتعالها الأحداث، وارتكابها المجازر، إلا دليلا على استراتيجية الحائط الحديدي، الذي تتشبث به إسرائيل منذ نشأتها وحتى الآن.

الانتفاضة الفلسطينية الثانية:

بالرغم من كل المؤشرات السابقة على ولادة عسيرة لتيار ما بعد صهيوني، في إسرائيل ممثلة بظاهرة المؤرخين الجدد، إلا أن الثقافة الإسرائيلية لم تتحرر بعد من صهيونيتها التي تكبلها، ولعل البرهان الأكبر على صعوبة هذه الولادة، تلك المواقف الفكرية الجديدة، للمؤرخ الإسرائيلي الذي افتتح هذه الظاهرة، بإشارة إلى حقيقة ما ارتكب من مظالم عام ١٩٤٨ بحق الفلسطينيين، إلا أنه تراجع مؤخراً عن طروحاته، ووجد نفسه في موقع المؤرخ التقليدي، ليعود بذلك إلى بر الأمان الصهيوني الذي ابتعد عنه فترة طويلة (حسب قوله). وقال موريس في هذا الصدد: "هناك إحساس بأن شرعية إسرائيل محل شك، وأضاف "ذلك يتضح فيما يقوله عرفات ويفعله، انه إحساس بأننا نعود إلى ١٩٤٨، حين كان كل شيء عرضة للانتزاع"(١٢٣).

ولقد ضبطت انتفاضة الأقصى ظاهرة "المؤرخين الجدد"، لتعبر عن جملة من التباينات التي تعترضها، وتجعلها في مرمى الأسئلة والشكوك للكثيرين، خاصة بعد موقف موريس، الذي ينمّ عن عنصرية أصيلة، واستخفاف بالمأساة الفلسطينية، لماذا لم يستطع الخطاب الإسرائيلي الجديد، الصمود لأكثر من عقد واحد من عملية السلام؟ هذا السؤال جعل الكثيرين يشككون بوجود مراجعة فكرية إسرائيلية جادة وطويلة المدى في ثنايا هذا الخطاب.

وكانت الانتفاضة قد انتظرت طويلاً إشارة من أصحاب هذه الظاهرة من مثقفي ومعسكر السلام في إسرائيل لتدل على تغير في السياسة أو أن تلعب دوراً هاماً إزاء ما يحدث، لكن هذه الإشارة لم تأت، وكانت ادعاءات باراك عن تنازلاته السخية في كامب ديفيد، قد

انطلت على الجميع، مما قاد المثـقفين الإسرائيليين إلى ما يشبه الصمت الكامل عن الجريمة، ثم حين انتخب شارون، أصيب المجتمع الإسرائيلي بالصدمة، كيف صدقوا أن بإمكان مجرم صبرا وشاتيلا أن يجلب الأمن والسلام ويجهض الانتفاضة خلال مئة يوم فقط!!.

وبالرغم من سنوات الجهد الحثيث لتحطيم أساطير قديمة، ومحاولـــة إيجـاد أرضيـة مشتركة للعيش مع الفلسطينيين، إلا أن التشاؤم بشأن التوصل إلى سلام، قـد أصـاب هـؤلاء المؤرخين اليساريين مع تصاعد وتيرة الأحداث، لدرجة أننا لا نكاد نسمع منـهم شـيئا، عـدا الانقلاب الفكري عند موريس الذي شكل صدمة لكل من حاول إقناع نفسـه بجديـة البحـث الأكاديمي الجديد والخطاب التاريخي في إسرائيل(١٢٤).

وعلى الرغم من الشهرة، التي اكتسبها هؤلاء المؤرخون، من خلال رصدهم الأضـرار التي لحقت بالفلسطينيين على أيدي إسرائيل، إلا أنهم في هذه الانتفاضة، قـد أثـاروا الدهشـة والاستغراب، لدى قرائهم نتيجة لكتاباتهم الجديدة، التي تحمـل الفلسطينيون مسؤولية الأحـداث الحالية، ويضعون اللوم عليهم، في استمرار النزاع، وشلال الدماء بين الطرفين، فقد قال موريس "إن العرب لا يمكنهم قبول شرعية إسرائيل أو أن يمتلك اليهود ٧٥% من فلسطين، لا يمكـن أن يحدث ذلك"، وأعتقد أنني فهمت هذا دائما لكن الكثير من الإسرائيليين مثلي قمعوا ذلك على أمـل العيش بصورة طبيعية"(١٢٥).

الرأي العام الإسرائيلي، قبل تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠، كانت لديـه بدايـة قبـول للأفكار الجديدة، لكن الآن في هذه الفترة، بالذات، أصبحت وسائل الإعـلام الإسـرائيلي، أقـل استعدادا لسماع الانتقاد للدولـة اليهوديـة وسياستها تجاه الفلسطينيين بينما الرصاص يتطـاير، في هذا قال توم سيغف: "إن الانتفاضـة الحالية تفرض علينا الصهيونية، وهـذا يعنـي انتقـام الفلسطينيين منا بأن يفرضوا على الإسرائيليين الأشياء التي نجحوا بـالتحرر منـها ويعـودوا للحديث بصفة الجماعة الواحدة (نحن، ونتحدث عن الخوف من رمينا في البحر)، وانظـر مـن يرمينا اليوم بالحجارة؟ إنهم الأولاد الذين كانوا في رياض الأطفال والابتدائيـة عندمـا وقعـوا أوسلو ! لذلك مصلحتي تقضي بأن يحصل الفلسطينيون على استقلال حقيقي"(١٢٦).

وكان سيغف قد ألـف كتابه "الصهيونيون الجـدد" قبل اندلاع الانتفاضة، لكنه رغب في تأجيل نشره، لأنه ليس متأكـدا من أن حالة ما بعد الصهيونيـة قد انتهت، لأنـها فـي نظـره

تعبّر عن تطورات عميقة جداً، في المجتمع، وهي أكبر من نزوة تتملك بضعة أشخاص يؤلفون كتباً، المجتمع الإسرائيلي قد سمح بمصافحة عرفات، ولـ أيهود باراك بإجراء محادثات لتحقيق السلام، لأن الناس توصلوا إلى الاستنتاج أن الحياة أكثر أهمية بالنسبة إليهم، لكن بعد ذلك، عاقبوا باراك على فشله، وانتخبوا شارون"[١٢٧]. وأكد انه "عندما يعلو أزيز الرصاص ويقتل الناس بانفجارات تكون هناك عودة إلى الصهيونية، لكن من المحتمل أن يسلم هؤلاء بوضع يكون فيه إرهاب ولا يحول ذلك دون السعي للسلام، ويجب أن نتذكر من أي شيء ولدت ما بعد الصهيونية، إن الانتفاضة الثانية لن تؤدي إلى نتيجة كهذه، لأن استعمالها العنف أدى إلى انتصار شارون، فماتت ما بعد صهيونية[١٢٨].

على الرغم من أن المؤرخين الجدد، قد نتجوا من الانتفاضة الأولى، إلا أن الانتفاضة الثانية كانت عام احتضار لأفكارهم، فنزلت بذلك "البوست صهيونية" في مطلع الألفية الثالثة إلى العمل السري، حتى يخيل لنا أنها ماتت نهائياً، أو انقلبت على أصحابها، كما حصل لايلان بابيه، الذي يدفع الآن ثمن أفكاره الجديدة، ودعمه الأبحاث الانتقادية للتاريخ الإسرائيلي، وقد كثرت الشائعات عن موت ما بعد الصهيونية، فقال بابيه: "إن هذه السنة هي سنة احتضار على ما بعد الصهيونية كحركة وكنظرة اجتماعية، إذا كانوا حتى هذه السنة يحاولون في الجامعة مجرد تضييق خطواتي، فإنهم اليوم يحاولون تطييري بالفعل"[١٢٩].

أما بالنسبة "لانيتا شابيرا" وهي (أشد المعارضين لايلان بابيه)، فلا ترى أن ما بعد الصهيونية قد انتهت، وذكرت في كتابها "**يهود جدد – يهود قدماء**" "أنها كمنهجية بحث لم تنته، وثمة احتمالات كبيرة، أن يبرز وسط الجيل المقبل من الباحثين، والمحاضرين في الجامعات عدد لا يستهان به من دعاة ما بعد الصهيونية، ولكن منذ شهر تشرين الأول الماضي، فقد تراجعت شعبية دعاة ما بعد الصهيونية داخل الجامعات وبين القراء لتبلغ أدنى مستوياتها"، وأنه يمكن الافتراض، "أنه في مرحلة معينة عندما يصل الجيل الذي انتمي إليه سن التقاعد، سيصبح لما بعد الصهيونيين نفوذاً قوياً، لأن لهم تأثير قوي، في الجيل الأصغر سناً، وعندما يتبدل الجيل من المحتمل أن يكون ما بعد الصهيونيين هم الذين يقررون من يترقى في الجامعات ومن يجري الاستغناء عنه، وإنه ستحين اللحظة التي سيُنظر فيها إلى المتمردين ما بعد الصهيونية كمؤسسة جديدة" [١٣٠].

أما أمنون راز، فيرى أن "ما بعد الصهيونية توجد في كليات الفنون الجميلة وفي الجامعات، والمسرح والسينما، في أشخاص وراءهم ماض طويل من الاحتجاجات والنقد، أطول كثيراً من الحياة القصيرة لما بعد الصهيونية، لكن صوتهم لم يسمع تقريباً في السنة الفائتة، وأيضاً في الأدب، ولكنها لم تكسب أرضاً جديدة، وكانت المقالات الأكاديمية النقدية ما بعد الصهيونية الوحيدة المنشورة في البلاد، قد نُشرت باللغة الإنجليزية "مجلة هيجر"، وهي مجلة ما بعد صهيونية بتحرير البروفيسور اورن يفتاحئيل، وهذا العام بدأت دار النشر "كتير" بنشر سلسة دراسات مثل "الإسرائيليون الجدد" توم سيغف، وموت أحوساليم*" لباروخ كمبرلنغ(١٣١).

أما إسحاق لاؤور، فيقول أنه من الصعب العثور على ما بعد الصهيونية في الأدب أو في المواقف السياسية المغايرة لأنها تضع كل الحقائق المقدسة في موضع الشك، إن ظاهرة المؤرخين الجدد تسير إلى الوراء لأن المزاج العام الإسرائيلي لم يعد راغباً بالاشتغال بالماضي، وبمعرفة خبايا الذاكرة الجماعية، ولقد أجهضت المؤسسة الرسمية الإسرائيلية هذه الظاهرة، وفي إحباطها الانتلجنسيا اليسارية، وعجزها عن استبدال حكم الليكود المتواصل منذ سنوات طويلة. وعلى الرغم من أن جزءاً كبيراً من نتاجه الأدبي هو ما بعد صهيوني، إلا أنه يصنف معادياً للصهيونية، مما جعله في عزلة عن الآخرين(١٣٢).

وقد كان الحديث عن انتهاء ما بعد الصهيونية بالنسبة "لشلوموزند" من قسم التاريخ في جامعة تل أبيب سابقاً لأوانه، وبحسب اعتقاده، فإن تسامح الإعلام تجاه ما بعد الصهيونية، قد هبط بعد تشرين الأول الأخير، والانتفاضة الأولى قد فتحت الطريق للباحثين الانتقاديين، هؤلاء الذين يبدون أنهم ما بعد صهيونيين، وقد أضفت اتفاقية أوسلو الشرعية عليهم، لكن الفترة الأخيرة خلقت حصاراً على القيادات الإعلامية العليا، وقد "أوصلهم هذا الحصار إلى مبادىء "مباي" القديمة، والجامعات الإسرائيلية لا تشهد تراجعاً عن ما بعد الصهيونية كما قال بابيه، بل يوجد استمرارية، ربما ليست كبيرة جداً لكن هناك جيلاً هكذا، حيث أشرف بنفسي على خمس رسائل دكتوراه وأغلب مقدميها سيعرفون أنفسهم بأنهم غير صهيونيين"(١٣٣).

إن هذا التباين في مواقف الأكاديميين الإسرائيليين، إزاء تأثير الانتفاضة، يشير إلى المناخ المكارثي، الذي يعيشه المجتمع الإسرائيلي، وهذا ما عبر عنه بابيه، على اثر ما تعرض له لاحقاً.

---

* احوساليم: الأحرف الأولى بالعبرية لـ أشكنازيم.

أما التقصير الذي بدت معالمه تتضح لنا مع بداية الانتفاضة واستمرارها حتى الآن، في مواقف المؤرخين الجدد ودورهم. فقد يستوقفه البيان، الذي أصدره مئة ضابط وجندي إسرائيلي، في الاحتياط، والذي يدعو إلى رفض الخدمة العسكرية في الأراضي الفلسطينية، مما يشير إلى بداية وعي إسرائيلي، انتظرته الانتفاضة طويلاً، وتكمن أهمية هذا البيان في أنه يشير إلى مجموعة من الحقائق: الأولى أن تضحيات الانتفاضة لم تذهب عبثاً، مثلما يحاول الإعلام الإسرائيلي الترويج له، والحقيقة الثانية أن الانتفاضة حققت اختراقاً في جنود الاحتياط، ولو أننا أملنا أن تخترق الوسطين الثقافي والسياسي، لكن يبقى أن هذا البيان قد كشف للرأي العام الإسرائيلي الممارسات الإجرامية التي تقوم بها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.

إن غياب دور المؤرخين الجدد في هذه الانتفاضة، وسباتهم، يقابله تقصير في الإعلام الفلسطيني والعربي، وإهماله للمجتمع الإسرائيلي، وما يصدر عنه من بيانات تدينه وتعمق الخلل الموجود فيه، هذا التقصير أعاق الفهم الفلسطيني لإدراك حقيقة ما حدث.

وبالرغم من هذا الصمت وذلك السبات فإننا لا ننسى حقيقة دعوة المؤرخين الجدد في أفكارهم إلى مجتمع إسرائيلي أكثر مساواة وعدلاً، وأكثر قدرة على تحقيق السلام الحقيقي مع الفلسطينيين، والعالم العربي، بعد أن أصبح العديد من اليهود يفكرون بالأحداث التاريخية لهم في فلسطين، والتي كانت في السابق مصدر قوة ، وبعد أن شاهدوا في الانتفاضة الأولى الممارسات اللاإنسانية من جنود الجيش إزاء المدنيين الفلسطينيين، فتبلورت لديهم أفكار أكثر اعترافاً بالظلم الذي لحق بالفلسطينيين، وأكثر تطلعاً لتحقيق السلام، حتى مع الانغلاق التام حيال الآخر، وحتى من موقع الصمت لهذه الظاهرة إزاء المذبحة الكبرى ضد الفلسطينيين في الضفة والقطاع، لا بد لنا أن نعترف بأن سبب هذا الصمت يكمن في أن الذين يدعمون هذا الموقف، في المؤسسة الأكاديمية بعيدون عن النشاط السياسي بسبب إيثارهم البقاء في برجهم الأكاديمي، بمعنى أن تأثيرهم على الواقع الشعبي المحيط هو تأثير محدود للغاية، فالبرغم من هذه النتيجة وبالرغم من كون هذه الفئة الأكاديمية لا تمتلك برنامجاً أو مشروعاً واحداً موحداً يحمل في ثناياه أجوبة واضحة على اسئلة مصيرية حان أوان استحقاقها، تلك الأسئلة المتعلقة بطبيعة المجتمع وهويته، وموقفه من الدولتين أو الدولة الثنائية القومية، إلا أنهم أثبتوا أن مقولة جولدا مائير في نقاء الدولة اليهودية، قد خارت قواها، ولطمها الواقع الفلسطيني مؤكداً لها وجوده، بحلقات متصلة من المقاومة تعددت أشكالها وبلغت صورتها التي تبلورت في الانتفاضة

الأولى، والثانية ٢٠٠١ التي كانت برهاناً على أن هناك شعباً اسمه شعب فلسطين، مما أثبت استحالة قهر الروح الفلسطينية وكسر إرادتها.

ومهما يكن من أمر السرعة، في الإعلان عن موت ما بعد الصهيونية، والعودة إلى رحم الصهيونية الجديدة، وبتأثير من الأحداث الراهنة، تظل أبحاث هذه الفئة، مفصلاً تاريخياً مهما لا يمكن تجاهله، أو العودة إلى ما كان قبله، في سياق البحث في تاريخ الصراع العربي في منطقة الشرق الأوسط، خصوصاً اعتمادهم منهجية علمية، لإزالة فكرة الشفافية وعدم الاعتذار عن الدولة الإسرائيلية، وتبرئتها من المظالم، التي ارتكبتها بحق الفلسطينيين.

إن من شأن المضي قدماً نحو تسوية مشتركة حول الحل الدائم للنزاع العربي – الإسرائيلي، أن يجعل الرأي العام اليهودي ينشغل بسؤال الهوية والنزعات الثقافية. في هذا الصدد يقف المؤرخون الجدد، أمام امتحان حقيقي، وهذا يستدعي، تجنيد أنصار لأصحاب هذه الظاهرة، ومن خلال تعميق النقاش حول برامجهم، وإن كانت مختلفة، باعتبار ذلك سبيلاً أوسع للانتشار، وفي الإجمال، فإن المؤرخين الجدد، مطالبون بطرح مطالب عدة، تتمثل في إلغاء الطابع اليهودي، والصهيوني لدولة إسرائيل، بما في ذلك إلغاء قانون العودة، وإبطال قوانين التمييز العنصرية، في حق المواطنة، وما يختص بملكية الأراضي، والمشاركة في صنع القرار السياسي، كما أن في مقدور أصحاب هذه الظاهرة أن يقترحوا مضامين تربوية جديدة، لجهاز التعليم، وإرساء قواعد، مغايرة للعلاقات الإنسانية، بين الفرد، والدولة، ثم الفضاء المحيط بها، ولقد جرت مياه كثيرة، في النهر والأمر يتطلب رؤية مشروع جديد يعمل على أحقية الآخر في العيش وتقرير المصير بالفعل وليس فقط بالقول.

هوامش الفصل الثاني

1) Ilan, Pappe, "Post –Zionist Critique on Israel and the Palestinians popular culture", J.P.S. Issue 104, No. 4 (Summer 1997), pp.62.

٢) أمنون – رازكركوتسكين. "الاستشراق وعلوم اليهودية والمجتمع الإسرائيلي". ترجمة محمد حمزة غنايم. الكرمل. ع٥٨ (شتاء ١٩٩٩) ص١٠٨.

٣) المصدر السابق، ص١٠٨.

٤) نفس المصدر، ص١٠٩.

٥) باروخ كميرلنج. "لا هي ديمقراطية، ولا هي يهودية"، مصدر سبق ذكره، ص٩٩.

٦) جريدة الأيام (رام الله)، ٢٠٠٢/٢/٢٨. "فعاليات تضامنية مع عزمي بشارة". وانظر أيضاً "محاكمة سياسية لموقف وطني"، جريدة "فصل المقال" (الناصرة)، ع٢٨١، ٢٠٠٢/٢/٢١، ص١٤.

٧) إيليا، زريق. "الفلسطينيون في إسرائيل: ملاحظات نقدية على تقرير أكاديميين في إسرائيل" مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٤٧ (صيف ٢٠٠١)، ص١١١.

٨) بنيامين، بيت هالحمي. "التاريخ يطارد الصهيونية ويلحق بها". كرمل. ع٥٥-٥٦ (صيف ١٩٩٨)، ص٧٥.

٩) توم، سيغف. "فسيفساء من هويات وثقافات". حوار: محمد حمزة غنايم. قضايا إسرائيلية. ع٤، (خريف ٢٠٠١)، ص٢٢.

١٠) باروخ، كميرلنغ. "لا هي ديمقراطية ولا هي يهودية". مصدر سابق، ص١٠١.

١١) نور الدين، مصالحة. إسرائيل الكبرى والفلسطينيون سياسة التوسع ١٩٦٧-٢٠٠٠. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠١)، ص٣٢.

١٢) آفي شلايم. الحائط الحديدي. (ترجمة ناصر عفيفي)، مصدر سبق ذكره، ص٣٤.

١٣) المصدر السابق، ص٣٥.

١٤) المصدر السابق، ص٣٥.

١٥) المصدر السابق، ص٣٥.

١٦) وقائع ندوة. "قرار التقسيم: من أين؟ وإلى أين؟" جريدة فصل المقال (الناصرة)، ع٢٧١ (٢٠٠١/١٢/١٤)، ص٤-٥.

١٧) ايلان، بابيه. "قراءة في سياسة الترانسفير من حاييم وايزمان إلى رحبعام زئيفي". قضايا إسرائيلية. ع٥ (شتاء ٢٠٠٢)، ص٤-٧.

١٨) المصدر السابق، ص٥

١٩) وقائع ندوة "قرار التقسيم: من أين؟ وإلى أين؟ "جريدة" فصل المقال (الناصرة)، مصدر سبق ذكره .

٢٠) نفس المصدر.

٢١) نفس المصدر.

٢٢) نفس المصدر.

٢٣) نفس المصدر.

٢٤) أمنون، رازكركوتسكين. "حنا أرندت والمسألة الفلسطينية (ترجمة) حسن خضر. الكرمل. ع٦٢ (شتاء ٢٠٠٠)، ص١١٣-١١٩.

٢٥) نفس المصدر، ص١٢٠.

٢٦) بني، موريس. "فصل من كتاب تصحيح خطأ بين اليهود والعرب ١٩٣٦-١٩٥٦". ترجمة: أنطوان شلحت، (تل أبيب: نشرات عم عوفد، ٢٠٠٠)، ص١٩٥.

٢٧) ميرون، ربابورت. "انقلاب في خطاب مؤرخ ما بعد صهيوني". "الأيام" (رام الله)، (السنة ٦ ع ٢١٣٣ (٢٠٠١/١١/٢٤).

٢٨) بني، موريس. طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين. ترجمة (عمان: دار الجليل ط١ ١٩٩٣)، ص١٦.

٢٩) ميرون، ربابورت. "انقلاب في خطاب مؤرخ ما بعد صهيوني". مصدر سبق ذكره.

٣٠) إيلان، بابيه. "المجتمع الإسرائيلي بين "ما بعد الصهيونية" و "والصهيونية الجديدة". قضايا إسرائيلية. ع ٢ (ربيع ٢٠٠١)، ص٣٣.

٣١) المصدر السابق، ص٣٣.

٣٢) بني، موريس. طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين. مصدر سبق ذكره، ص٦٤.

٣٣) آفي، شلايم، الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٣٦.

٣٤) نفس المصدر، ص٤٠.

٣٥) نفس المصدر، ص٤٠.

٣٦) إلياس، صنبر. فلسطين ١٩٤٨: التغييب. (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٧)، ص١٦٧.

٣٧) مناحيم، بيغين. التمرد. قصة الأرجون. تقديم: اللواء حسن البدوي, (مصر: الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٨٨) ص٢٠٣.

٣٨) أحمد، خليفة. (إعداد وترجمة). "ندوة حول الصهيونية وما بعد الصهيونية". مصدر سبق ذكره.

٣٩) Benny, Morris "a fresh look at Zionist – Documentation of 1948" J.P.S XXIV. No. 3 (Spring 1995) pp 44-62.

٤٠) غبرئيل، بتربرغ. "نقد الصهيونية: حالات المحو". كرمل، ع٦٩ (خريف ٢٠٠١)، ص١٩٠.

٤١) زئيف، ستيرنهل. الأساطير المؤسسة لإسرائيل. (ترجمة: عزت الغزاوي). (رام الله: مدار كانون أول ٢٠٠١)، ص٣-٤٧.

٤٢) أنطوان، شلحت. "ملاحظات حول التأريخ الصهيوني" تأليف بني موريس، مصدر سبق ذكره، ص٢٠١.

43) Benny, Morris "a fresh look at Zionist – Documentation of 1948" J.P.S XXIV. No. 3 (Spring 1995) pp 44-62.

44) i. p. d.

٤٥) ايلان، بابيه. "١٩٤٨ – التاريخ الإسرائيلي"، مصدر سبق ذكره، ص١٢٠.

٤٦) ناجح، جرار. "الهجرة القسرية"، مصدر سبق ذكره، ص٢٥.

٤٧) شريف، كناعنة. الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير. مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢، ص٦٨.

٤٨) نور الدين، مصالحة. إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، سياسة التوسع. مصدر سبق ذكره، ص٢٠٠.

٤٩) نفس المصدر، ص٩٧.

٥٠) شريف، كناعنة. الشتات الفلسطيني هجرة أم تهجير. مصدر سبق ذكره، ص٩٦.

٥١) بني، موريس. فصل من كتاب "تصحيح خطأ بين اليهود والعرب ١٩٣٦-١٩٥٦. مصدر سبق ذكره، ص١٩٥.

٥٢) بني، موريس. "مناقشات إسرائيلية بشأن ١٩٤٨: إعادة فبركة ١٩٤٨". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٤ (شتاء ١٩٩٨٩، ص١٥٩.

٥٣) نور الدين، مصالحة. أرض أكثر وعرب أقل: سياسة الترانسفير الإسرائيلية في التطبيق ١٩٤٩-١٩٩٦. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٧)، ص٣.

٥٤) _____، إسرائيل الكبرى والفلسطينيون. مصدر سبق ذكره، ص٢٣٦.

55) Neil Caplan. "The new historians" J.P.S. No. 4 (Summer, 1995) pp 96-103.

56) Htt://www.maaber.50megs.com/newhistorians.2000

٥٧) أوري، رام. "الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين في إسرائيل" الكرمل. ع٥١ (ربيع ١٩٩٧)، ص٢١٩.

٥٨) حيمي، شليف. "اللاجئون لن يختفوا" جريدة "الحياة الجديدة" (رام الله). ع ١٥٤٢ (١٩٩٩/١١/٣٠).

٥٩) بني، موريس. "ملاحظات حول التأريخ الصهيوني وفكرة الترانسفير في سنوات ١٩٣٧-١٩٤٤". الكرمل. ع ٦٧ (ربيع ٢٠٠١)، ص١٩١-١٩٤.

٦٠) إيلان، بابيه "١٩٤٨-والتاريخ الإسرائيلي"، مجلة الكرمل. ٥٦-٥٥ (صيف ١٩٩٨)، ص١٢٠.

61) Nur, Masalha, "1948 and after – revisited" J.P.S. No. 4 (Summer 1995) pp. 90-95.

٦٢) ميرون، ربابورت. "عندما يتحدث بني موريس من حنجرة اليمين" مصدر سبق ذكره.

٦٣) محمد، حمزة غنايم. "المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية، أمنون راز وبني موريس كمثل". مصدر سبق ذكره، ص٨٩.

٦٤)

٦٥) آفي، شلايم. الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٨٣.

٦٦) سلمان أبو ستة. حق العودة. مصدر سبق ذكره، ص١٦.

٦٧) توم، سيغف. الإسرائيليون الأوائل، ١٩٤٩. ترجمة خالد عايد (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٤)، ص٧٧.

٦٨) إلياس، صنبر. فلسطين ١٩٤٨: التغييب. مصدر سبق ذكره، ص١٧٨.

٦٩) شلومو، غازيت. "قضية اللاجئين الفلسطينيين". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٢٢ (ربيع ١٩٩٥)، ص٧٨.

٧٠) "يجب التمييز بين الوجودي والرمزي". حوار هشام نفاع. قضايا إسرائيلية. ع٥ (شتاء ٢٠٠٢)، ص٣٠.

٧١) داني، روبنشتاين. "عودة العودة رؤية إسرائيلية لحق العودة". قضايا إسرائيلية. ع٣ (صيف ٢٠٠١)، ص٥٧-٥٨.

٧٢) باروخ، كميرلنغ. "حق العودة؛ كم وإلى أين؟". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٦ (١٩٩٨)، ص١٥٧. وانظر أيضاً: سمير، صراص. "تحولات جارية في معسكري السلام الإسرائيلي". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٤٩ (شتاء ٢٠٠٢)، ص٧٩.

٧٣) أمنون، رازكركوتسكين. "حنا أرندت والمسألة الفلسطينية". مصدر سبق ذكره، ص١١٨، ص١٢٠.

٧٤) إيلان، بابيه. "المجتمع الإسرائيلي بين "ما بعد الصهيونية" و "الصهيونية الجديدة"، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

٧٥) أوري، رام. "الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين الجدد". مصدر سبق ذكره، ص١٠-١٢.

٧٦) باروخ، كميرلنغ. "لعله التابو الأخير". ترجمة محمد حمزة غنايم. مجلة الكرمل. ع٥٩ (ربيع ١٩٩٩)، ص١٠٣-١٠٤.

٧٧) توم، سيغف. الإسرائيليون الأوائل. مصدر سبق ذكره، ص٤٧.

٧٨) آفي، شلايم. الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

٧٩) نفس المصدر، ص٥٢.

٨٠) إيلان، بابيه. "١٩٤٨- والتاريخ الإسرائيلي". مصدر سبق ذكره، ص٩٦-٩٧.

٨١) نفس المصدر، ص٥٥.

٨٢) بني، موريس. عن كتاب الضحايا الأنصع حقاً. Htt://163.99.208.75/hooks/2001/6/6.htm

٨٣) آفي، شلايم. الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٢٨٨.

٨٤) نفس المصدر، ص٣٩٨.

٨٥) أحمد، خليفة (إعداد). "ندوة حول الصهيونية وما بعد الصهيونية". مصدر سبق ذكره، ص١١٧-١٢٤.

86) Find articles.com.nov,1999

٨٧) د. عبد الوهاب، المسيري. "المفهوم الصهيوني – الإسرائيلي للصراع والسلام". مجلة آفاق. ع٦-٧ (شتاء ٢٠٠٠)، ص٢٧١.

٨٨) اسحاق، لاؤور. "خيبة أمل المثقف الطليعي". ترجمة محمد حمزة غنايم. كرمل. ع٦٣ (ربيع ٢٠٠٠)، ص٧٤، ٩٧.

٨٩) ميشيل، جيرشبرج. "المؤرخون الجدد يتعفنون" htt://www.alarabonline.org/2002/1/27.htm

٩٠) "انقلاب في خطاب مؤرخ ما بعد صهيوني". مصدر سبق ذكره.

91) "The Morris/Shlaim Pieces:. The Guardian. Feb 21/2002.

٩٢) يؤاف، بيليد. "هل قال باراك الحقيقة حول ما جرى في كامب ديفيد". القدس (فلسطين)، ع١١٧٦٨ (٢٠٠٢/٥/٢٧)، ص١١.

٩٣) سارة، ليبوفتش دار. "زعماء إسرائيل وليس الفلسطينيون هم أبطال إضاعة فرص السلام". القدس. (فلسطين)، ع١١٦٥٠، (٢٠٠٢/١/٢٦)، ص١٥.

٩٤) "عنوان مرحلة". وجهات نظر الكتب. ع٢٦ /٢٠٠١/٣، ص٣.

٩٥) آفي شلايم ضد بني موريس. "الأقنعة تتساقط في حرب المؤرخين الجدد". الأيام. (فلسطين). ع٢٢٤٢ (٢٠٠٢/٣/١٩)، ص.

٩٦) آفي، شلايم. الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٤٧١-٤٧٤.

٩٧) نفس المصدر، ص٥١٠.

٩٨) ميشيل، جيرشبرج. "المؤرخون الجدد يتعفنون"، مصدر سبق ذكره.

٩٩) محمد، حمزة غنايم. "صهيونية جديدة نفاثة". أوراق إسرائيلية. ع٦ (رام الله: مدار، حزيران ٢٠٠١)، ص٢٤.

١٠٠) نيري، ليفنة. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٤٩ (شتاء ٢٠٠٢)، ص٥٣-٥٥.

١٠١) اسحق، لاؤور. "خيبة أمل المثقف الطليعي"، مصدر سبق ذكره، ص٧٠-٧١.

١٠٢) أفي، شلايم. الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٤٧٢-٤٧٤.

١٠٣) نفس المصدر، ص٥١٠.

١٠٤) "زعماء إسرائيل وليس الفلسطينيون هم أبطال إضاعة فرص السلام"، مصدر سبق ذكره.

١٠٥) أفي، شلايم. الحائط الحديدي. مصدر سبق ذكره، ص٥٥٣.

١٠٦) ميشيل، جيرشبرج. "المؤرخون الجدد يتعفنون"، مصدر سبق ذكره.

١٠٧) "انقلاب في خطاب مؤرخ ما بعد صهيوني"، مصدر سبق ذكره.

108) "The Morris / Shlaim Pieces". The Guardian. Feb. 21, 2002.

١٠٩) المصدر السابق.

١١٠) المصدر السابق.

١١١) المصدر السابق.

١١٢) المصدر السابق.

١١٣) المصدر السابق.

١١٤) يؤاف، بيليد. "هل قال باراك الحقيقة حول ما جرى في كامب ديفيد". مصدر سبق ذكره.

١١٥) المصدر السابق.

١١٦) سارة، ليبوفتش دار "زعماء إسرائيل وليس الفلسطينيون هم أبطال إضاعة فرص السلام". مصدر سبق ذكره.

١١٧) "عنوان مرحلة"، مجلة وجهات نظر الكتب . مصدر سبق ذكره.

١١٨) المصدر السابق.

١١٩) "آفي شلايم ضد بني موريس: الأقنعة تتساقط في حرب المؤرخين الجدد"، مصدر سبق ذكره.

١٢٠) The Guardian مصدر سبق ذكره.

١٢١) المصدر السابق.

١٢٢) المصدر السابق.

١٢٣) بشير، موسى نافع. "عندما يكشف بني موريس عن عنصرية أصيلة" من: htt://195.138.228.147/alquds/articles/data/2002/1/1.htm.

١٢٤) ميشيل، جيرشبرج. "المؤرخون الجدد يتعفنون"، مصدر سبق ذكره.

١٢٥) المصدر السابق.

١٢٦) محمد، حمزة غنايم. "صهيونية جديدة نفاثة". مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

١٢٧) _____. توم سيغف. "فسيفساء من هويات وثقافات". مصدر سبق ذكره، ص٢٤.

١٢٨) نير، ليفنة. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية"، مصدر سبق ذكره، ص٥٥.

١٢٩) المصدر السابق، ص٦٣

١٣٠) اسحق، لاؤور. "خيبة أمل المثقف الطلليعي". مصدر سبق ذكره، ص٧٠-٧١.

١٣١) نَير، ليفنة. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية"، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

١٣٢) نفس المصدر، ص٥٧.

١٣٣) نفس المصدر، ص٥٨.

الفصل الثالث
وجهات نظر المؤرخين الجدد
وآراء عربية وفلسطينية حولها

لا تزال مواقف المثقفين العرب والفلسطينيين ومنهم المؤرخين، حول ظاهرة المؤرخين الجدد محدودة كونها في طور التشكل، ولا تسلم من التردد والارتباك، ويتجسد هذا في قلة الكتابات عن هؤلاء المؤرخين وأفكارهم نظراً لوجود قناعة شبه تامة عند المثقفين العرب بأن الجدل الذي يدور حالياً في المجتمع الإسرائيلي، هو جدل داخلي، يصعب الانخراط فيه.

وفي هذا الإطار، أشار الأكاديمي، إبراهيم أبو لغد*، إلى أن "الأمر يعالج مشكلة الإسرائيليين مع التاريخ الإسرائيلي، أكثر من كونه جدلاً عاماً، ينخرط فيه آخرون، كالعرب مثلاً، الذين يصعب عليهم الاشتراك في جدل، تكون مصادره الوثائق الإسرائيلية، الموجودة في أرشيفات الدولة الإسرائيلية"(١).

وقبل الخوض في تفصيل وجهات النظر العربية المتباينة إزاء التاريخ الإسرائيلي الجديد، يجدر بنا أن نشير إلى أن المؤرخ نور الدين مصالحة**، كان في طليعة المثقفين العرب، الذين لفتوا الانتباه إلى أهمية التاريخ الإسرائيلي الجديد، وذلك في مقالة له عن التاريخ الإسرائيلي الجديد، لميلاد إسرائيل واللجوء الفلسطيني"(٢). وقد ركزت المقالة على أعمال بني موريس بشكل خاص، وأشارت إلى أنها تشكل بداية لإنتاج تاريخي إسرائيلي جديد، وجدير بالاهتمام والمتابعة"(٣).

ظهرت آراء المثقفين العرب جلية في ثنايا صحف عدة، أهمها الحياة اللندنية، كذلك في أعداد مختلفة من مجلة الكرمل، التي تعنى بنشر وترجمة مواضيع تتعلق بالصهيونية وما بعد الصهيونية بشكل كبير، ويحضرنا في هذا السياق، أن نشير إلى اهتمام بعض المثقفين العرب بأعمال المؤرخين الجدد، ونضرب على ذلك مثلاً، ما يقوم به مركز مدار (للبحوث والدراسات الإسرائيلية)، والذي يقوم من خلاله محسن يوسف مع باحثين آخرين، على ترجمة بعض أعمال هؤلاء المؤرخين من اللغة العبرية إلى العربية، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: **كتاب**

---

* أستاذ الدراسات الدولية في جامعة بيرزيت.

** زميل فخري في مركز الدراسات الشرق أوسطية، والإسلامية في جامعة ديرهام في بريطانيا، مؤرخ فلسطيني، له مؤلفات هامة، أبرزها - إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، سياسة التوسع، ١٩٦٧-٢٠٠٠ و - طرد الفلسطينيين مفهوم الترانسفير.

الأساطير المؤسسة لإسرائيل، لزئيف سيترنهل، وكتاب **وجهاً لوجه**: سجالات مع مثقفين يهود، ترجمة محمد حمزة غنايم، وكتاب **الذاكرة والهوية**، ترجمة أنطوان شلحت، وكتاب **قصر الأواني المهشمة*** ترجمة وتقديم حسن خضر، والمجلة الفصلية "قضايا إسرائيلية، التي وصلت إلى عددها الخامس، وتعالج في صفحاتها مواضيع وقضايا تخص المجتمع الإسرائيلي، وتبحث المستجدات الدائرة فيه، لتعريف القارئ العربي على عمق الشرخ في الجدار الإسرائيلي، وتكتسب هذه الكتب والدراسات، أهمية كبيرة، في ضرورة إدراك مفهوم "المعرفة كسلطة". وظهرت أيضا بشكل غير مركز في كتب مختلفة.

وفي كل الأحوال، يكاد ينحصر الجدل العربي بشأن ظاهرة المؤرخين الجدد وأهمية أفكارهم النقدية في رأيين، سيتم رصد طيفهما في هذا الفصل من الحد الأقصى الذي يعتبر هذه الظاهرة خطوة أولى على طريق تسوية النزاع بين الطرفين، الإسرائيلي والعربي، وبالتالي يعوّل عليها أملاً كبيراً في إحداث تغييرات في المجتمع الإسرائيلي في المستقبل، ويؤسس لضرورة إعادة كتابة النكبة، ومراجعة التاريخ العربي الفلسطيني المتعلق بتلك الفترة، إلى الحد الذي يعتبر هذه الظاهرة، مجرد وسيلة لخدمة المشروع الصهيوني واستكمالاً له، وبالتالي يحذر من خطورة التطبيع مع المؤرخين الجدد، ويرفض عقد حوارات ولقاءات ثقافية معهم، ومن ثم ينفي الحاجة لظهور مدرسة مؤرخين عرب جديدة، على غرار مثيلتها الإسرائيلية. وهذا ما سأتناوله في هذا الفصل بالتفصيل.

الرأي الأول:

لعل أبرز ما يميّز أصحاب هذا الرأي، هو الترحيب بأعمال المؤرخين الجدد، ونظرتهم الإيجابية لهم، ويرى أصحاب هذا الرأي أن أهمية أعمال المؤرخين تكمن في أنها تسببت في اهتزاز صورة إسرائيل البطولية في الغرب، كما أنها ساهمت في تحطيم صورتها التي رسخت في الأذهان فترة طويلة، لتظهر حقيقة السلوك العدواني لإسرائيل بشكل عام وإزاء الفلسطينيين بشكل خاص.

---

* ضمّ هذا الكتاب خمس دراسات، يمثل نقد الصهيونية، القاسم المشترك بينها، لتدخل في النقد الجديد وما يندرج من تسميات لما بعد الصهيونية، أو المؤرخين الجدد وتتمركز في الأوساط الأكاديمية الإسرائيلية بشكل خاص، صدر عن مدار آذار ٢٠٠١.

في هذا الصدد، كان البروفيسور، إدوارد سعيد* قد أشار إلى أن أهمية التاريخ الإسرائيلي الجديد، تكمن في أنها تصويب للحقائق المتعلقة بقضية تهجير الفلسطينيين، وإعادة تشكيل الأحداث كما وقعت في واقع الأمر**، كما "أنها صادقت على الرواية الفلسطينية لتاريخ الصراع مع الصهيونية"، و"كشفت التناقض الصهيوني، بين الفكرة الصهيونية، والفكرة الديمقراطية"، وأشار بهذا الخصوص إلى كتاب آفي شلايم، الحائط الحديدي، ووصفه بأنه "جاء على أساس من البحث العلمي الدؤوب، بأسلوب عقلاني عن الشرق الأوسط"(٤).

واتفق معه المؤرخ، إلياس صنبر*، فقد رأى الإيجابيات في أعمال المؤرخين الجدد، خاصة تلك التي تسببت في إزعاج المجتمع الإسرائيلي، وتشويه صورته في الخارج، حيث قال: "ولا شك أن المؤرخين الجدد، قد خلقوا إزعاجاً، لكنني أعتقد أنه كان نسبياً، الضرر الأكبر الذي نتج عن أبحاثهم، كان ضرب صورة إسرائيل في الخارج، لأن العالم الغربي، لم يعش على هذه الأرض، ولم يسرق المنازل، ولم يشجر مناطق بكاملها على قرى ممسوحة، ويعطيها أسماء مثل "غابة كندا"، و "غابة بيغن"، و "غابة وايزمان"، كما هو الحال في ضواحي القدس"(٥).

أما صالح عبد الجواد*** فقد اتضح أنه رأى في أعمال هؤلاء المؤرخين، "خطوة أولى على طريق تسوية الصراع، وتقريب لوجهات النظر بين الطرفين، الإسرائيلي، والعربي"، وأضاف إلى "أنهم أحدثوا خلخلة في الأبحاث النقدية الإسرائيلية"، وأنهم "جاءوا بنظرة إيجابية للمسألة الفلسطينية، وذلك من خلال تقويضهم للأساطير حول قرار التقسيم، ورفض العرب للسلام"، و"تفنيدهم للخطر الذي يتهدد اليهود، وكشفهم عدم التوازن بين القوات في الطرفين، إضافة إلى نفيهم الطهارة عن السلاح اليهودي، ودحضهم لنظرية الأوامر العربية في التهجير"(٦).

وانضم محسن يوسف** إلى جانب زملائه السابقين، من المثقفين العرب في رؤيته الإيجابية، لأعمال المؤرخين الجدد، حيث أكد أن أهمية هذه الأعمال، تكمن في "كونها، تحدت تابوا محرماً، في العقيدة الصهيونية، على الرغم من نظرة بعض هؤلاء المؤرخين، لدولة نقية، خالصة لليهود فقط، وبالرغم من رفض بعضهم لحق عودة اللاجئين الفلسطينيين"، لكنهم

---

* البروفيسور إدوارد سعيد: ولد في القدس عام ١٩٣٥، أستاذ الأدب الإنجليزي، والأدب المقارن في جامعة كولومبيا ويحمل الجنسية الأمريكية.

** انظر بهذا الشأن: كتابه: نهاية عملية السلام أوسلو وما بعدها. (بيروت: دار الآداب اللبنانية، ط١، ٢٠٠١).

* رئيس مجلة الدراسات الفلسطينية في فرنسا.

*** أستاذ التاريخ والعلوم السياسية في جامعة بيرزيت، وباحث متخصص في رواية حرب "١٩٤٨".

** مدير مركز مدار، للدراسات والبحوث الإسرائيلية، وأستاذ التاريخ في جامعة بيرزيت.

"سيصلون إلى الحقيقة الكاملة، وسيعترفون بها بشكل نهائي"، ومن هذا المنطلق، أضاف محسن يوسف، إلى "إمكانية نشر أفكارهم، وحينها يدرك المجتمع الإسرائيلي، حقيقة تاريخه، والجرائم التي ارتكبها من أجل بناء مشروعه الصهيوني"(٧).

ورأى محمد الخولي**، ضرورة عدم إغفال أهمية أعمال المؤرخين الجدد، كونها كشفت زيف الأسطورة التقليدية، ولأنها تحوي قرائن جلية على صفقات مزدوجة، واتفاقيات سرية أبرمت، من أجل ترانسفير العرب خارج فلسطين، كما أن أهميتها تكمن في توثيقها بالملفات المتوفرة، في وزارة الخارجية الإسرائيلية، حقيقة التعنت الإسرائيلي، وأشار في هذا الصدد، إلى كتاب آفي شلايم الحائط الحديدي(٨). لقد عرض الخولي أهمية كتاب شلايم السابق، كونه فند المقولات التي بنيت عليها إسرائيل، وأن هذا العرض قد جاء في إطار تنوير القارىء العربي، بما يستجد على الجانب الآخر من الصراع التاريخي من تطورات هامة، ولخص الخولي رأيه في هذا الكتاب بأنه "قد جاء بأسلوب علمي، في تمحيصه للحقائق، وسرده لها، من حيث ربطه بين رصانة البحث الأكاديمي العلمي، وبين العرض الصحفي"(٩).

وفي إطار الاهتمام، بأعمال المؤرخين الجدد، أشار الكاتب الفلسطيني جميل هلال*، "إلى أن أبحاثهم قد ضربت عرض الحائط، بالمسلمات التي أقيمت حولها إسرائيل"، وأوضح هلال أنه في "معرفة هذه الأعمال، إدراك لعمق الخلل والأزمة التي يتعرض لها المجتمع الإسرائيلي"، وفي ذلك أيضا اقتراب من الرأي العام الإسرائيلي، وإضعاف لرواية الصهيونية التقليدية، وأن الالتقاء بهم والاطلاع على ثقافتهم، والأخذ بإيجابياتها، ليس من باب التطبيع، بل من باب وضع الأمور في نصابها الصحيح"(١٠).

أما ربعي المدهون**، فقد اتفق مع غيره من المثقفين العرب، الذين رأوا في التاريخ الإسرائيلي الجديد، موطىء قدم في أية جهود للتسوية السلمية بين الطرفين، واتضح ذلك من خلال قوله: "إنه من المستحيل انتصار قضيتنا بمعزل عن هزيمة الأفكار والمسلمات الصهيونية، ومن دون مساهمة كبيرة من دعاة السلام الحقيقيين"، وأشار إلى الإسرائيليين بشكل خاص،

** كاتب سياسي من مصر.

* كاتب ومفكر فلسطيني، مدير مركز شمل للاجئين: رام الله.

** ربعي المدهون: صحافي وباحث فلسطيني، من مواليد المجدل ١٩٤٥، متخصص في الدراسات الفلسطينية.

والذين "يؤمنون بحل شامل يضمن العدل والمساواة للجميع في بلادنا، وأكد أن "المؤرخين الجدد حتى الآن يمثلون الفئة المرشحة لهذه المساهمة، وما قاموا به خطوة في الاتجاه الصحيح"(١١).

تجدر الإشارة في هذا الخصوص إلى ما رآه عبد الجواد، من أن أحد الأسباب التي أعاقت الوصول إلى تسوية سياسية مقبولة في السنوات التي تلت العملية السياسية التي بدأت في مدريد "يكمن في الفجوات الشاسعة التي تفصل بين الروايتين التاريخيتين للفلسطينيين والإسرائيليين بشأن ما جرى عام ١٩٤٨"(١٢).

وتساءل عبد الجواد عن كيفية التوصل لتسوية ما والطرف الإسرائيلي يصر على أن الفلسطيني سواء في الضفة أو في القطاع ما هو إلا مغتصب لأرض الميعاد؟، كما تساءل عن إمكانية أن يعترف الإسرائيليون بحق عودة اللاجئين على الأقل من الناحية المبدئية وليس بالضرورة من الناحية العقلية والواقعية؟ وخلص عبد الجواد إلى القول: "إن الطرف الإسرائيلي ما زال يصر على إلزام الطرف الفلسطيني بالخضوع لروايته خضوع يتماشى بموازاة خضوعه لمشروعه الصهيوني"(١٣).

وبشكل عام، يمكن اعتبار الدراسات التي يقدمها الصحفي المصري محمد حسنين هيكل، والتي سماها "**سياحة صيفية في الوثائق الإسرائيلية**"، تأكيدا وإشارة، على أهمية التأريخ الإسرائيلي الجديد، حيث أشار هيكل إلى أن الوثائق الإسرائيلية، والتي كشف النقاب عنها مؤخرا، "لتخلق تكاملا وتوازنا، في الصورة العامة لوقائع الصراع العربي الإسرائيلي، الذي هو حياة هذه الأمة، لأكثر من نصف القرن"(١٤).

ولم يقلل خالد الحروب* من أهمية العمل الذي يقوم به المؤرخون الجدد، وأثره في الأوساط الإسرائيلية، من زاوية نفض الغبار عن المقولات الصهيونية، وكونه أحدث صدمة خلقية، في وعي الكثيرين في وسط المجتمع الإسرائيلي، وتحدى أساطير تقليدية، كانت خلال عقود خلت، أقرب إلى القناعات المقدسة والدينية، وكان الحروب، قد قدم عرضا لكتاب آفي شلايم الحائط الحديدي، أكد فيه أهمية هذا العمل "لمن يريد أن يعرف حقيقة ما جرى من أحداث، وأن أعمال هؤلاء المؤرخين، قد اقتربت بشكل كبير من الرواية الفلسطينية"(١٥). ورأى

* زميل زائر في قسم الدراسات الشرق أوسطية والإسلامية في جامعة كمبردج- بريطانيا، وكاتب فلسطيني مقيم في بريطانيا.

عبد الله عبد الدائم**، أن ما طرحه المؤرخون الجدد عبارة عن "غسل الذاكرة القومية اليهودية والتي خربتها الدعايات الصهيونية وتلفيقات دولة إسرائيل"(١٦)، وكان عبد الدائم، قد استعرض أفكار المؤرخين الجدد، وذكر أن أهم ما جاءوا به "من أن تاريخ دولة إسرائيل هو تاريخ أقلية بيضاء أوروبية، استولت على منطقة معينة بالقوة والعنف"، وأشار عبد الدائم إلى أن "أهم نتائج هؤلاء المؤرخين، تكمن فيما أحدثته دراساتهم من اهتزاز صورة إسرائيل في الغرب، مما فتح أعين الكثير من الغربيين، على الحقيقة، الأمر الذي ساهم في تحطيم صورة إسرائيل التي كانت في أذهانهم. وأضاف عبد الدائم، إلى أن "الجدال حول هؤلاء المؤرخين، يعني وجود أزمة هوية عميقة داخل المجتمع الإسرائيلي"(١٧).

من جهته، أشار محمد عيسى صالحية* إلى أن "الأفكار الجديدة، التي ينادي بها المؤرخون الجدد، رغم أنها قديمة ومعلومة عند العرب والفلسطينيين، إلا أنها "من جانب آخر قد هدمت ركنا أساسيا في بناء الهوية القومية للمجتمع الإسرائيلي اليهودي"، وأضاف إلى أن "ما طرحه هؤلاء المؤرخون من قضايا ومسائل حساسة، قد أصابت عصبا مكشوفا، ومتورما من شرايين الدولة الإسرائيلية، وأكد على أنها "كشفت من الداخل أكاذيب الحركة الصهيونية ومشروعها في الدولة"(١٨).

ويقف الكاتب الفلسطيني هشام الدجاني** بقوة إلى جانب الانفتاح على المؤرخين الجدد، إلى ضرورة الاطلاع على أعمالهم باعتبارهم جزءا من تيار أعم وأشمل، وهو تيار "ما بعد الصهيونية"، ويرصد الدجاني، ما في التأريخ الجديد من تطورات إيجابية وما في معسكر السلام الإسرائيلي من نظرات إيجابية إزاء الفلسطينيين، ويذكر في هذا الصدد بعض أعضاء من حزب العمل (يوسي بيلين، مثلا)، وكذلك حزب ميرتس. هذه التطورات الإيجابية، عند الدجاني وغيره، قد تجاوزت في أطروحاتها، الأساطير الصهيونية التي تربت عليها الأجيال خلال عدة عقود، كما أنها دعت إلى إقامة علاقات طبيعية وحسنة مع الدول العربية المجاورة، كما تضمنت الاعتراف بمعاناة الشعب الفلسطيني، وما ألحقته الصهيونية به من ظلم حتى الآن.

** سوري من مواليد حلب ١٩٢٤، عضو في مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية.

* ولد في عنابة ١٩٤١، وعمل مدرسا للتاريخ في جامعة الكويت ١٩٩٠.

** أستاذ التاريخ – جامعة اليرموك – الأردن.

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية

وفي وقت، يرى البعض فيه أن ظاهرة "ما بعد الصهيونية، هي ظاهرة سطحية، وأنها غير مؤثرة"(١٩)، فإن الدجاني يراها ظاهرة حقيقية، وذلك استنادا إلى الجدل الحقيقي الدائر حولها في إسرائيل، وحول مصير الصهيونية ودورها في المجتمع الإسرائيلي. وبناء عليه، يدعو الدجاني بوضوح، إلى ضرورة الحوار والتعامل مع أصحاب هذه الظاهرة بجدية، سواء كان ذلك التعامل على الصعيد العربي، أو الفلسطيني، فيقول في هذا الصدد: "ينبغي ألا نقف مكتوفي الأيدي أو موقف المتفرج، إنني أدعو إلى الحوار البناء مع رموز هذه الظاهرة"(٢٠). وفي مقال آخر، يتعجب الدجاني من قلة اهتمام الأدبيات العربية بهذه الظاهرة، ويشير بهذا الخصوص إلى أن "هذا التيار البناء في إسرائيل يطرح قضية ثقافية مهمة، ولا يمكن تجاهلها، وأشار إلى أنه من "الخطأ الفادح تجاهل هذا التيار، الذي يمثل وجها حضاريا مشرقا، يقف بقوة في وجه تيار سائد، مسكون بالتعصب وحب العنف"(٢١).

وعلى صعيد الاهتمام الجاد في متابعة ظاهرة المؤرخين الجدد، والذي لا يرفضها، أشار محمد الخولي، إلى أن هؤلاء المؤرخين يمثلون "كوكبة مضيئة من الباحثين، وقد آن الآوان لنا أن نرصد ما قدموه، من أفكار أحدثت تغييرات في تاريخ الكيان الإسرائيلي، الذي تكرست فيه الأيديولوجية الصهيونية وتلفيقها التاريخ فترة طويلة"، ويرى الخولي ضرورة "متابعة هذا الجدل الداخلي الدائر، ليس فقط ما يصدر من مؤرخين قدامى أو جدد في إسرائيل، بل لكل ما يصدر من الغرب، من أفكار وطروحات جادة على طريق البحث العلمي"، كما يرى "أهمية اليقظة الفكرية اللازمة، في اعتماد منطق التحليل النقدي الذي لا يرفض ظاهرة المؤرخين رفضا باتا، ولا يستبعدها"(٢٢).

ويلاحظ علي الدين هلال* أن ما جاء به المؤرخون الإسرائيليون الجدد ليكشف عن حجم المعضلة التي تواجهها إسرائيل عندما تتعامل مع تاريخها، ويعود الفضل في هذا الكشف إلى هؤلاء المؤرخين، الذين يرون أنه قد آن الأوان للنظر إلى التاريخ الإسرائيلي، وتاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين قبل ١٩٤٨ بنظرة نقدية، تتجاوز التاريخ الرسمي القائم على مجموعة من الأساطير والقصص البطولية لدور الصهيونية في فلسطين. وأشار هلال إلى أن "أعمالهم النقدية قد أعطت صورة مخالفة لما عرف في التاريخ الإسرائيلي، كما أنها أوضحت صفحات سوداء من تاريخ الحركة الصهيونية، التي لا ترغب إسرائيل في إلقاء الضوء عليها(٢٣).

---

* عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بالقاهرة.

وأشار الأكاديمي، نور الدين عليان**، إلى أن أعمال المؤرخين الجدد قد ضربت بالأساطير الصهيونية عرض الحائط، وينبغي علينا قراءتها والاطلاع عليها، كونها تثير جدلا عميقا في أوساط المجتمع الإسرائيلي، خاصة وأنها أحدثت تحولا في موقف الرأي العام الإسرائيلي". وأضاف إلى أن "اهتمام هؤلاء المؤرخين بمراجعة التاريخ الإسرائيلي، ليظهر نوعا من الوعي والضمير، ينبغي اتباعه، لاسترجاع المعلومات النقية والصافية، حول مرحلة حاسمة من مراحل الصراع"(٢٤).

والمؤرخون الجدد، حسبما أشار عليان، قد نجحوا في تغيير مصطلحات النقاش فيما خص التاريخ الصهيوني، وركزوا على تفحص الآلام التي خلفها تنفيذ الحلم الصهيوني، وذلك من خلال التهجير القسري للفلسطينيين (كما وثقه موريس على نحو موسع)، وبين عليان "أنه يمكن للمرء من خلال متابعة أعمال المؤرخين الجدد، أن يرصد خلف ذلك، وعيا نموذجيا في تعبيره عن الإسرائيليين، ممن ولدوا بعد قيام الدولة، الذين يمثلون الأكثرية الساحقة"(٢٥).

ويمكن اعتبار المثقفين العرب من فلسطينيي مناطق ١٩٤٨، أقرب نقطة للالتقاء مع رموز ظاهرة المؤرخين الجدد، بحكم قربهم الجغرافي منهم، الأمر الذي سهّل عملية الوصول والاتصال بهؤلاء المؤرخين، كما أفاد في الاطلاع المستمر على أعمال هؤلاء المؤرخين، وبالتالي استطعنا من خلال هؤلاء المثقفين، معرفة جزء يسير مما يدور من سجال إسرائيلي، وبترجمة عربية مباشرة، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، انطوان شلحت*، الذي يبذل جهداً حثيثاً في مواكبة التطورات الفكرية في المجتمع الإسرائيلي، ويعمل على ترجمة هذه الأعمال ونشرها في كتب، ودراسات هامة لكل من يريد توسيع أفقه المعرفي عن الصهيونية "وما بعد الصهيونية".

فقد أشار شلحت من خلال تقييمه للأفكار الجديدة في التاريخ الإسرائيلي، إلى أن تيار ما بعد الصهيونية، "يتمتع بدلالات خصبة بالأساس في أدائه البحثي، مقايسة مع المشهد السياسي"، وأضاف شلحت، "أن هؤلاء المؤرخين أكدوا ضمن هذا التيار، ضرورة انتقال إسرائيل من مرحلة التأسيس والأساطير المفبركة، إلى مرحلة النضوج، والثقة بالنفس"، وقال إن "ذلك

** باحث سياسي واجتماعي – الأردن.

* كاتب وصحافي فلسطيني مقيم في عكا.

يتطلب إخضاع طروحات مقدسة للمساءلة التاريخية وإعادة النظر"[٢٦]. وثمة جانب آخر، تطرق إليه شلحت في طرحه لأهمية التأريخ الإسرائيلي الجديد، هو إشارته إلى أن "مقولات التاريخ الجديد" قد اخترقت حدود المدرسة الإسرائيلية"، اتضح ذلك من خلال ما طرحه عن منهاج التعليم الإسرائيلي، وما طرأ عليه من تغييرات، تمثلت في كتاب "**عالم من التبدلات ١٩٩٩**"، وكتاب "**القرن العشرون: على عتبة الغد ١٩٩٩**" اللذان أقرّا حقائق معينة في الكتب الرسمية، وقد لاقى نشر هذه الكتب هجوماً حاداً مما يوحي بأن المنهاج التعليمي الإسرائيلي خاصة كتب التاريخ، ما زالت تخضع للفحص والمراجعة[٢٧].

ويتفق الكاتب هشام نفاع** مع غيره من المثقفين، في رؤيته لأهمية التأريخ الجديد، ومتابعة أعمال المؤرخين الجدد، ويقوم هذا الكاتب بإجراء حوارات نقدية وبناءة، مع هؤلاء المؤرخين، ومع أدباء وكتّاب مسرح يساريين إسرائيليين، يتعاملون بإيجابية مع الفلسطينيين، وقد أشار نفاع إلى أن أعمال هؤلاء المؤرخين، والأدباء قد أثارت جدلاً واسعاً، نظراً لجرأتها في "ذبح بقرات مقدسة"، وكونها تطرقت إلى مواضيع اخترقت الإجماع الإسرائيلي في وقت مبكر من سنوات الثمانينيات مثل: بشاعة الاحتلال، وأنسنة الفلسطيني وغير ذلك"[٢٨].

أما الكاتب محمد حمزة غنايم* فيبرز أهمية العمل الذي يقوم به المؤرخون الجدد، من أبحاث تاريخية جديدة، لا يمكن تجاهلها على الإطلاق، وأكد أن هذه الأعمال قد "ألحقت الخدش بالحكاية الرسمية الواحدة حول مواضيع خاصة بالصراع العربي-الإسرائيلي، وذكر مثلاً "أبحاث موريس حول نشوء قضية اللاجئين الفلسطينيين" ليقول أنه "يظل مثلاً كافياً ليفتح عيون الجميع، على أن ما كان قبل هذه المؤلفات، سيكون مختلفاً بعدها".

وأضاف إلى "أن كتاباتهم كانت أكثر من مجرد حالة أيديولوجية، تريد أن تقول للمجتمع الكبير أن الكثير من القيم التي تربى عليها كانت مصطنعة ومفبركة، وأنها جاءت في خدمة المشروع الصهيوني، في بناء الدولة والهوية القومية"[٢٩]. وذكر غنايم أعمال هؤلاء المؤرخين ومؤلفاتهم الما بعد صهيونية، والتي نشرت باللغة الإنجليزية، وفي طليعتها، مؤلف سمحا فلابان، **ولادة إسرائيل ١٩٨٧**، وما تبعها من أعمال هامة بأعمال المؤرخين الجدد، وما طرحوه من

** كاتب وصحافي يقيم في حيفا.

* كاتب وصحافي يعمل في مركز مدار

حقائق، كونها تدلنا على طبيعة السجال الدائر في المجتمع الإسرائيلي، ولأنها تندرج في مفهوم "من فمك أدينك"، كما أنها ساهمت في دحض روايات مقدسة، وذكر في هذا الصدد "أن نتائج أعمالهم هذه، لا تسهم في تعزيز الرواية الفلسطينية فحسب، بل تمنحها قدراً أكبر من المصداقية في العالم"، وأشار إلى أن "أعمال هؤلاء المؤرخين، قد ألقت ظلالاً عميقة من الشك على مصداقية الصهيونية والإسرائيلية التقليدية، وعملت على تفكيك الرواية الرسمية"(٣٠).

هكذا، نرى رؤية بعض المثقفين العرب، لأهمية التأريخ الإسرائيلي الجديد، قد التفت حول نقطة مفادها، أن أعمال المؤرخين الجدد قد ألقت ظلالاً عميقة من الشك على الرواية التقليدية، ونقضت ما استقر في الذهنية الإسرائيلية فترات طويلة. لكن لا نظن أن القارىء يتوقع منا حصراً شاملاً، للآراء الداعية إلى الأخذ بأعمال هؤلاء المؤرخين على محمل الجد، إلا أنه في كل الأحوال، لا يمكن التهوين من الأثر الذي أحدثه هؤلاء المؤرخون، سواء كان أثراً خارجياً (في العالم الغربي بشكل خاص)، أو داخلياً (المجتمع الإسرائيلي بشكل نسبي)، ولم نقل العربي، وذلك لاقتناع البعض المثقفين والأكاديميين العرب، بخواء أعمال هؤلاء المؤرخين.

الرأي الثاني:

في المقابل، رأى فريق آخر من المثقفين العرب والفلسطينيين خطورة ما يقوم به المؤرخون الجدد، وأن أعمالهم ما هي إلا "أزمة ضمير الأكاديميين الإسرائيليين، على ما فعله واقترفه آباؤهم الأوائل، من آثام ومظالم، بحق الفلسطينيين"(٣١). مما جعل أولئك المؤرخون، يسعون حثيثاً في البحث العلمي، ليجدوا مخرجاً لإراحة ضمائرهم، وتبرئة أشخاصهم، من الأعمال البربرية التي اقترفها أسلافهم، بغية حماية المشروع الصهيوني وتطويره وجعله مقبولاً أكثر للغرب، ولعل رأي عبد القادر ياسين** أقرب لهذا الطرح، ففي مقال له، رداً على دعوة إدوارد سعيد، بشأن عقد لقاءات مع هؤلاء المؤرخين، قال فيه: "إن اللقاء مع هؤلاء المؤرخين، ليندرج في سياق التطبيع معهم"، وأضاف أن "الاعترافات الصادرة عن هؤلاء بالجرائم الإسرائيلية، لا تعد غسل تاريخ دولة، تريد أن تستثمر ما بين يديها بعد أن تفلت من رقابة الرأي العام العالمي"(٣٢).

** كاتب فلسطيني مقيم في مصر، ومحرر جريدة الرأي المصرية.

وكان سعيد، قد حثّ المثقفين العرب، "أن يبادروا بعقد حوارات، واتصالات مباشرة مع المؤرخين الجدد، والاقتداء بهم في تنقية التاريخ من الشوائب"، ورأى في هذه الحوارات خطوة إيجابية لمخاطبة الرأي العام الإسرائيلي بالمطالب الإنسانية والفلسطينية، منطلقاً من حقيقة اقتنع بها سعيد، من أن "ما يربطنا معاً هو تاريخ مشترك من الاضطهاد الذي هو ليس الملك الحصري لليهود، وذلك من خلال تفاهم ثقافي متبادل، يؤدي في نهاية الأمر إلى تحقيق التعايش السلمي بين الشعبين"(٣٣).

لقد انتقد ياسين دعوة إدوارد سعيد هذه، وتحفيزه لمؤرخين ومثقفين عرب أن ينحوا منحى انتقادياً لتاريخهم كما فعل الإسرائيليون، واعتبر ذلك من أخطر أنواع التطبيع، ألا وهو التطبيع الثقافي، ورأى ياسين في مقابل ذلك أن "الواجب يحتم علينا مساندة الشعب الفلسطيني، في محنته، إزاء ما يقوم به الاحتلال، من سلب ونهب، وتدمير، وليس مناصرة الروايات الإسرائيلية، وملاحقتها باهتمام"(٣٤).

وبصورة عامة، لم يتناول عبد القادر ياسين هذه الظاهرة، بنقد وتمحيص شامل ودقيق، لكنه اكتفى بالتشكيك في جدية اعترافات المؤرخين الجدد وصدقها، واتضح ذلك من خلال قوله: "لو أنها كانت اعترافات جدية حقاً، وتعبّر عن موقف شجاع بالفعل لا بالقول، لبادر هؤلاء المؤرخون، إلى مغادرة إسرائيل، بمجرد اكتشافهم الحقائق، ومدى فظاعة ما اقترفه آباؤهم الأوائل، من أعمال بحق الفلسطينيين"(٣٥).

ويتفق كلوفيس مقصود*، مع من يرى في مهمة المؤرخين الجدد، أنها خدمة للمشروع الصهيوني، "والدفاع عنه، وإعادة إنتاجه من جديد"، فقد رأى مقصود، أن أعمالهم، والتي تأخذ طابعاً أكاديمياً، أكثر خطورة من الرواية الرسمية الإسرائيلية، وفي رأيه أن هذه الأعمال، لا تهدف إلا إلى تحسين صورة إسرائيل أمام العالم، وبالتالي كانت أعمالهم استكمالاً للمشروع الصهيوني، وخدمة له. وقد سبق لكلوفيس مقصود أن وجه نقداً للمؤرخين الجدد، باعتبارهم صهاينة يحاولون تحسين صورة إسرائيل، وبالتالي يساعدون في عملية التطبيع مع العالم الغربي، وفي تعليقه على هذا الأمر، كان مقصود، قد كتب مقالاً، قال فيه: "إن المؤرخين الجدد يمثلون ظاهرة سلبية تنم عن قدرة على تخليص الصهيونية من شوائبها، كي تزيدها قوة

* كاتب ومثقف لبناني عمل كممثل لجامعة الدول العربية في واشنطن.

عنفوان"، وأضاف أنه "ينبغي عدم المبالغة في اعتبار هذه الظاهرة، بمثابة تراجع عن مقومات وأسانيد المشروع الصهيوني، لكنها تأتي ضمن إطار المفهوم الصهيوني، وليس تمرداً عليه، أو انسلاخاً عنه"(٣٦).

ثمة إشكالية في وجهة نظر هذا المثقف، توحي بأنه متناقض في آرائه، ففي الوقت الذي يعتبر فيه ظاهرة المؤرخين الجدد، ظاهرة سلبية، نجد مقصود يناقض نفسه، في نفس المقال، ليبين أهمية العمل الذي يقوم به هؤلاء المؤرخون، وفي تأكيده أنهم كشفوا الكثير من المغالطات، في التاريخ الرسمي الإسرائيلي، وأنهم أوضحوا للعالم كله، أوجه خلل متعددة فيه، من هنا اعتبرهم ظاهرة إيجابية، "تنم عن بروز قوي في الوعي الإسرائيلي"، ولا يرى مقصود أية معضلة في أن نعي ونتدارس هذه الظاهرة، وما تنطوي عليه من احتمالات ومعان، حتى نتمكن من التعامل معها بدقة.

هذا التناقض الواضح عند مقصود، يشير إلى أنه لم يحدد وجهة نظره منهم بعد، وذلك لقلة متابعته لهذه الظاهرة، وهذا ما لم نجده عند غيره من المثقفين العرب، وكان عليه أن يدرك التمايز الواضح بين هؤلاء المؤرخون، ولا يضعهم في سلة واحدة، ونشير في هذا الصدد إلى رأي عبد الجواد من أنه "لا ينبغي وضع هؤلاء المؤرخون في سلة واحدة، فلا ننسى أنهم ساهموا في دحض العديد من المسلمات، وأثاروا الكثير من التساؤلات، لدى المواطن الإسرائيلي حول عدالة الصهيونية في مشروعها"(٣٧).

وكان عبد الجواد، قد أدرك التمايز القائم بين صفوف هؤلاء المؤرخين، اتضح ذلك من خلال قوله: "شخص مثل ايلان بابيه، إلى حد ما يتطابق مع الرواية الفلسطينية، حتى في موضوع التهجير، لكن بني موريس، في طريقته البحثية، فإنه يصعّب على الجانب الفلسطيني فهم موقفه، أكثر من التحدي الذي تفرضه الرواية الصهيونية، وهذا بالطبع يعود إلى الأيديولوجية التي يتمسك بها موريس، والتي تظهر جلياً في كتاباته"(٣٨).

أما حول عقد لقاءات وحوارات، مع هؤلاء المؤرخين، فمن وجهة نظر مقصود لن تتم هذه اللقاءات، إلا إذا قام المؤرخون الجدد بأمور عدة: تتعدى في نظره مجرد تعديل برامج التعليم، ومراجعة مقررات حصص التأريخ في المدارس الإسرائيلية، فمثلاً بوسعهم في رأيه: "أن يطالبوا الحكومة، بأن تنهي معاملتها لعرب إسرائيل، كمواطنين من الدرجة الثانية، وأن

تضع حدا للتمييز العرقي بين المواطنين، وأن تدفع التعويضات لمئات الآلاف من اللاجئين، والاعتذار للفلسطينيين، وبمراجعة تاريخ الإعلام الصهيوني، الذي اتهم المقاومة بالإرهاب"(٣٩).

وهذه المطالب، ينادي بها المؤرخون وغير المؤرخين، لأنها مطالب حقيقية، في قلب كل عربي، لكن مقصود اشترط على المؤرخين الجدد تنفيذها، حتى يمكن رؤية ما يقومون به من مراجعات تاريخية بأنها مساهمة في صناعة التاريخ، ومن ثم تصبح ضرورة عقد حوارات معهم قائمة، مما يكفل إسقاط حجج المناهضين للتطبيع، بعد أن تدان إسرائيل وسلوكها العدواني إزاء الفلسطينيين، لكن في الوقت نفسه من غير المتوقع من هؤلاء المؤرخين أن يخوضوا معركة بالنيابة عن العرب والفلسطينيين، على الرغم من أنهم قادوا الانقلاب ضد مجتمعهم الذي ينتمون إليه، وحطموا أساطيره المزيفة، لكن تبقى حقيقة أنهم في النهاية من هذا المجتمع الملفق تاريخه، ويظل ولاؤهم للمشروع الإسرائيلي، ولا ننسى أنهم أكاديميين وليسوا سياسيين.

وخلال مقابلة مع شريف كناعنة*، حذر فيها من مغبة الانبهار بأعمال هؤلاء المؤرخين، وأفكارهم، ورأى فيها خدمة للمشروع الصهيوني، واستكمالا له، اتضح ذلك في قوله: "لا ننسى أنهم أخذوا من مصادر صهيونية، كاذبة في معظمها، وفيها نصب وتلفيق"، وأضاف أن "ما كان يعمله ويقره بن غوريون لم يكتب في مذكراته"، وذكر أن "بني موريس، رفض الاستعانة بأرشيفات ومصادر عربية لأنه يطعن في صدقها"(٤٠).

وكان كناعنة، قد لخص رأيه في عمل بني موريس، بأنه على "الرغم من كل التواريخ والأرقام، والاقتباسات والأدوات العلمية المرتبة، إلا أنه أشد خطورة من أي عمل آخر"، وأضاف إلى أنه "بالرغم من كل الحقائق التي توصل إليها موريس وزملائه، إلا أنهم ليسوا أكاديميين حقا، بل هم رجال دعاية تتناسب أعمالهم مع الظروف الجديدة، من أجل خدمة إسرائيل والصهيونية"(٤١).

وتجدر الإشارة إلى أن غالبية المثقفين العرب قد انتقدوا أعمال المؤرخين الجدد، لكن منهجية النقد ضد المؤرخين الجدد كانت مختلفة، فمثلا انتقدهم أبو لغد في إهمالهم مناقشة الدور الجائر، والعدواني الذي قامت به بريطانيا، تجاه الشعب الفلسطيني، وعدم إشارتهم إلى المحاباة

* أستاذ علم الإنسان في جامعة بيرزيت وصاحب مؤلفات عدة عن القرى الفلسطينية المدمرة والفلكلور الفلسطيني.

الواضحة التي ميزت السياسة البريطانية، خلال فترة الانتداب، والتي ساهمت في تشكيل "دولة اليهود"، وتحطيم المجتمع الفلسطيني، وانتقدهم في عدم تعاملهم بجدية، مع مقاومة الشعب الفلسطيني ضد الانتداب البريطاني، وضد المطالب الصهيونية(٤٢).

أما إدوارد سعيد ورغم اهتمامه الجاد، بظاهرة المؤرخين الجدد، ورغم تقديره لأعمالهم، إلا أنه اتهمهم بالتناقض العميق، الذي يصل إلى حد "الشيزوفرينيا"، وذلك بسبب اعترافهم بالظلم الذي لحق بالفلسطينيين أولا، وعدم استكمالهم طريق هذا الاعتراف إلى نهايته ثانيا، وبدا ذلك في قوله "... لكن الغريب، أن موريس يبدو في نهاية كتابه عازفا عن استخلاص النتيجة البديهية لأبحاثه، إذ يقول: أن رحيل الفلسطينيين كان في جزء منه، من عمل القوات الصهيونية، فيما كان الجزء الثاني بسبب الحرب"(٤٣).

وقد التقى إلياس صنبر، مع ما طرحه إدوارد سعيد، من جهة التناقض الذي يشوب طروحات المؤرخين الجدد، وخصوصا بني موريس، بين ما قدموه، وبين ما يقرون به في ندواتهم الخاصة، كما انتقدهم صنبر في "تقوقعهم على بعضهم البعض"، و "التخلي عن أفكارهم"، عند مواجهتهم المؤرخين الفلسطينيين، ويثبت بذلك "انفصامهم الشخصي"، الذي أقر به موريس في قوله: "الكثيرون الذين يكتبون تاريخا جديدا، يخافون أن يتماثلوا علنا، مع الموجة الجديدة، كي لا يظلموا في الترقيات المهنية، والمنح المخصصة للأبحاث وما شابه ذلك"(٤٤). وعنى موريس بذلك، الثمن الفادح، الذي دفعه إزاء تحطيم الأساطير الإسرائيلية في أبحاثه، وقد تمثل ذلك في الأعوام التي قضاها خارج النطاق الأكاديمي، بما في ذلك الفترة التي تولى فيها أمنون روبنشتاين وزارة التربية والتعليم، والتي هاجم فيها أفكار موريس وكتابته التاريخية، والتي لم تنسجم مع روح المؤسسة الصهيونية(٤٥).

وكان نور الدين، مصالحة، قد أشار إلى هذا التناقض بين المؤرخين الجدد، وانتقدهم في تقصيرهم في استخلاص النتائج، خاصة أعمال موريس، حيث ذكر مصالحة: "أن القارىء لاستنتاجات موريس، يدرك بأن هناك أكثر من موريس واحد على الساحة، وأنه مميز بين الحقائق المتناقضة"(٤٦). كما انتقده في مواقفه أثناء نقاشه مع إسرائيليين، حيث قال مصالحة، أن موريس "في أثناء نقاشه مع نقاد إسرائيليين، شبتاي طيفت مثلا، يشدد على أن القادة الصهاينة، قد قاموا بمناصرة قضية نقل العرب، في الثلاثينيات والأربعينيات، وأن بن غوريون،

قد دافع عن النقل الإجباري، في ذات الفترة، ولا بد أن هذه الحقيقة قد أثرت في تفكير بن غوريون وفي أوامره عام ١٩٤٨"، وأضاف مصالحة أن "موريس في أثناء نقاشه مع مؤرخين فلسطينيين (مصالحة، مثلا)، فإنه ينكر حقيقة أن القيادة الصهيونية، قد دعمت حل النقل خلال الثلاثينيات والأربعينيات، وأن هناك دلائل تشير إلى أن سياسة النقل نصف الرسمية، قد قبلت عام ١٩٤٨، وأنها طبقت بشكل منظم على مدى تلك الفترة"(٤٧).

وفي الواقع، فإن معظم المثقفين العرب والفلسطينيين، كانوا قد انتقدوا موريس في أبحاثه، خاصة تناقضه بين ما قدمه من دلائل ووثائق، وبين ما استخلصه من نتائج، وفي هذا السياق انتقدهم صالح عبد الجواد، ومحسن يوسف، وأكاديميين آخرين، حيث أخذوا على المؤرخين الجدد "افتقارهم إلى عمل منسق فيما بينهم"، في الأبحاث والتوثيق، وامتدحوا، إيلان بابيه، كونه، كما ذكر صنبر، "قد تفوق على زملائه في المستوى العلمي، ولأنه الوحيد من بينهم الذي فتح حوارات علمية وبناءة"، كما "أن الأمر كان محسوما بالنسبة إليه فيما يخص مرتكب الجريمة، أكثر من موريس، الذي عاد إلى عصبيته الصهيونية في قوله: "صحيح أننا طردناكم، ولكن الأمر كان ضروريا"، مما يعني إعطاء الطرد شرعية أخلاقية، كونه من متطلبات الحرب"(٤٨).

أما مقصود، فكان قد انتقدهم في انطلاقتهم من "الافتراض أن وجود إسرائيل، ليس محطا للجدال، حتى مع عدم قيام دولة فلسطينية"، لأن الحاجة في رأيه وحدها "لا تنشىء حقا، إذا ما تعارضت مع الحقوق الثابتة لأطراف أخرى، وفي مقدمتها، حق الشعب الفلسطيني، في تقريره مصيره على أرضه، فلا توجد شرعية لحق إسرائيل في الوجود، كما ذكر، ما لم توجد دولة فلسطينية، طبقا لما قرره قرار التقسيم"(٤٩).

من ناحيته، أشار كناعنة، إلى أن أعمال بني موريس، وكتابه **ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين**: "دعائي صهيوني أكثر ذكاء من الآخرين"، وأضاف إلى أن الصهاينة قد جاءوا إلى البلاد، لطرد الفلسطينيين، وأن حرب عام ١٩٤٨، ما هي إلا جزء من خطة شاملة بهذا الصدد، فالخط الإسرائيلي، يواصل روايته الدعائية الرسمية، بأن اللاجئين خرجوا بأوامر من الزعماء العرب"(٥٠).

وفي انتقاده لكتاب موريس (**ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين**)، أفاد كناعنة، إلى أن أسلوب موريس في استعماله النسب المئوية في أبحاثه، ما هو إلا "تدجيل"، وهو "بعيد عن العلم" و "يخفي طرحه بالخداع خلف مظهر كاذب من الأسلوب العلمي، والموضوعي والأكاديمي"، وأضاف إلى أن "المعلومات التي أوردها موريس في كتابه، لا تدعم الاستنتاجات التي عبر عنها، والتي يصفها بأنها حققت الأهداف المرجوة دون تخطيط مسبق"(٥١).

في هذا الصدد، دعم كناعنة رأيه بقوله أن "القارىء لمقدمة موريس ص٣، يلاحظ أنها بدأت بعرض لطيف ومتزن، وكأنه يقول: "يجب أن لا نلوم أي طرف، لأن تلك طبيعة الحرب، يتضح ذلك بما أورده موريس: "لا يمكن التشديد بقوة أكثر على الرغم أن هذا ليس تاريخا عسكريا، إلا أن الأحداث التي يصفها، وقعت في زمن الحرب، وكانت نتيجة مباشرة أو غير مباشرة، لتلك الحرب"(٥٢). أما في خاتمة كتابه، فذكر "أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من جراء الحرب، وليس بتخطيط يهودي أو عربي" (موريس، ولادة، ص٢٨٦).

وإلى مثل هذا الانتقاد، يذهب عبد الله عبد الدائم، في انتقاده لموريس، حيث أشار إلى أن "النتائج التي توصل إليها بني موريس، تختلف عن الرواية الرسمية الإسرائيلية، كما تختلف عن الرواية الفلسطينية"، وأضاف أن موريس "يؤكد أنه لم تكن هناك "خطة عامة للتهجير" "Master plan" ، بل كانت هنالك فقط، إرادة قوية لإكراههم على النزوح تجلت خلال مراحل الحرب كلها"، ويذكر عبد الدائم ما خلص إليه موريس "أنه في الأحوال كلها، لم تسمح دولة إسرائيل للاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى مدنهم وقراهم"، من هنا يتساءل عبد الدائم عن تفسير هذا الأمر، وعما يقال في سياسة لا تفسح المجال لعودة اللاجئين إلا أنها سياسة طرد وتهجير؟(٥٣).

ولما كان انتقاد المثقفين العرب، موجها لأعمال بني موريس، خاصة، كان د. مصالحة قد انتقد موريس، في عدم اعترافه بوجود مؤرخين فلسطينيين، وفي عدم عقد لقاءات وحوارات معهم، وفي عدم اعترافه بأنهم ساهموا بتوسيع التاريخ لعام ١٩٤٨، وخاصة عدم التفاته لكتب (مصالحة) مثل "**طرد الفلسطينيين مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين**"، والذي برهن فيه عن وجود نزعة الترانسفير في العقلية الصهيونية قبل الثلاثينيات وحتى الآن، كما وثق للخطط الممنهجة لطرد السكان العرب، كذلك عدم إشارته

لكتاب أرض أكثر وعرب أقل، الذي ركز فيه مصالحة على تطور مفهوم الترانسفير للفلسطينيين بين الأعوام ١٩٤٨-١٩٦٧. وكان مصالحة قد اعتمد في مؤلفاته هذه على نفس المصادر والوثائق التي اعتمدها موريس في أبحاثه، ويذكر أن مصالحة وموريس كانا زميلين في نفس الجامعة، وما يهمنا في هذا الموضوع، ما أشار إليه مصالحة من أن "مصير فلسطيني إسرائيل الحاملين لجنسيتها، ليس في مأمن بحكم سيطرة اليمين المتطرف على الحكم، والذي لا يزال يداعبه حلم طرد أكبر عدد ممكن من العرب، لتثبيت يهودية إسرائيل"، واستدرك مصالحة بالقول "أن صعود اليمين إلى السلطة، قد أعاد عقرب الساعة إلى الوراء، إلا أن مهمة إفشال مخططات اليمين المتطرفة، تقع على عاتق المؤرخين الجدد، كونهم شريحة أكاديمية يسارية هامة في المجتمع"(٥٤).

ولكن يبقى الأمر الأهم، وهو أن مناقشة آراء المثقفين العرب، لها وثيق الصلة بالدعوات الصادرة من المؤرخين الجدد، الداعية إلى ضرورة قيام مدرسة تأريخ عربية جديدة، تلتقي مع هؤلاء المؤرخين باعتبارهم قطعوا نصف المسافة، ويبقى النصف الثاني من مسؤولية إعادة كتابة النكبة على عاتق مؤرخين عرب.

إن الدعوة إلى ظهور مؤرخين عرب وفلسطينيين جدد، وإلى "تأريخ فلسطيني وعربي للنكبة"، هي حاجة ماسة، عند خالد الحروب، وغير مشروطة ببروز تأريخ إسرائيلي جديد، كما أنها ليست بهدف التقائه في منتصف الطريق، كما سبق أن نادى المؤرخون الجدد بذلك.

هذه الحاجة عند الحروب، "هي حاجة ذاتية مبعثها ضرورة إعادة قراءة التاريخ، برؤية نقدية، وغير خاضعة لمنطق التبرير، وإلقاء مسؤولية الفشل التاريخي، على الأعداء، والنزوح نحو تبرئة الذات"، وأضاف الحروب أن "هناك حاجة إلى نفض الغبار عن الترهات العربية، المليئة بالشعارات، والتي لا تريد أن تعترف بالأخطاء، الأمر الذي أدى إلى أجيال من العرب جاهلة بحقيقة ما جرى، ويضاف إلى ذلك تراكم الجهل المطبق بالعدو ذاته، والذي تحول إلى صورة غامضة تدخلت فيها أساطير إسرائيلية"(٥٥).

في هذا الشأن، نفى محسن يوسف، الحاجة إلى ظهور مؤرخين عرب جدد، على غرار نظرائهم الإسرائيليين، كون هذه الحاجة "مغلفة" باختلاق رواية جديدة، غير الرواية "الحقيقية"،

وأشار يوسف إلى أن الحاجة "تكمن في ظهور مؤرخ يكتب الحقائق بشكل علمي ومنطقي، وبشرط اعتماده على حقائق تاريخية، غير منحازة لأي جهة كانت"، ونادى محسن يوسف "أن يعمل المثقفون العرب على النظر بعين واعية وناقدة إلى التاريخ وما فيه من أحداث، لينتجوا بذلك تاريخا جديدا، لا يحد من طموحات الفلسطينيين ولا يبتعد عن روايتهم الحقيقية"(٥٦).

إن المطالبة بإعادة كتابة تاريخ حرب ١٩٤٨، وبعين ناقدة، هي حاجة ضرورية غير مرهونة بظهور التأريخ الإسرائيلي الجديد، حيث أشار مصالحة، إلى أنه "ليس بالضرورة أن تقتصر كتابة التاريخ على المنتصرين، الذين عليهم عدم الانجراف مع الإحساس بنشوة النصر، بل عليهم التركيز على مهمة توسيع المعرفة التاريخية لمختلف المواضيع"(٥٧).

من جانبه، أشار عبد الجواد إلى أن "جانبا مهما من الفشل العربي والفلسطيني قد نجم عن إهمال استخدام التاريخ الشفوي كمصدر ومنهج رئيسيين لإعادة بناء رواية عربية قوية ودقيقة"(٥٨). وأضاف إلى "أن رواية المثقفين والمؤرخين العرب والفلسطينيين تركزت على المصادر المكتوبة حول حرب ١٩٤٨، بمعنى أن روايتهم كانت في غالبيتها انعكاسا للرواية الصهيونية المكتوبة أو المنشورة إعلاميا"(٥٩). وأوضح عبد الجواد أن هذه الأمور تؤدي إلى تجنب الخوض أو تناول حقائق أخرى تتجاهلها الرواية الإسرائيلية عن عمد.

من جهته، انتقد جميل هلال، البحث العربي / الفلسطيني، في تقصيره الأكاديمي، وذلك من زاوية إهماله للرواية الشفوية بشكل كبير، ونبه إلى "ضرورة أن يهتم هؤلاء المثقفون، بتوثيق كل شيء، وعدم الانتظار من آخرين، لكي يوثقوا المجازر التي هي أصلا معروفة للفلسطينيين"، وذكر (مجزرة الطنطورة)، والتي وثق لها بالروايات الشفوية والوثائق المكتوبة، "تيدي كاتس"، فالحاجة ضرورية لتوثيق وإعادة كتابة تاريخ النكبة"(٦٠).

وكان عبد الجواد قد أشار إلى أن "المؤرخ الفلسطيني لم ير حتى الآن في ظل غياب الوثائق التاريخية أو تغييبها ضرورة التعامل مع الرواية الشفوية الفلسطينية كرواية بديلة ووحيدة أمامه"(٦١).

وثمة إشكالية في رأي من ينادي بإيجاد تأريخ مؤتلف بين الطرفين، وما يبرر هذه الإشكالية هو ما رآه عبده الأسدي* من "صعوبة إيجاد نقطة وسط، "يأتلف فيها تاريخ الضحية، وتاريخ الجلاد"، وأضاف إلى أن "التبرير لمثل هذه الدعوة، هو تبرير واه، ولا علاقة له بالبحث الأكاديمي"، وأشار إلى أن هذه الدعوة "مغلفة بدعوة إلى تزييف التاريخ، وتركيب رواياته من جديد، كي تتوزع مسؤولية "النكبة" مثلا، على الأطراف بالتساوي، مما يعني تشويها مركبا للتاريخ الفلسطيني"(٦٢).

وكان كناعنة، قد حث على الاعتماد على المصادر العربية، ونادى "بضرورة توثيق الروايات الشفوية في تدوين أحداث تاريخنا، كما أوصى "بتسهيل الوصول إلى الأرشيفات العربية، وخاصة تلك المتعلقة بالنكبة"(٦٣).

الأمر الهام الذي أكده عبد الجواد بأنه "قد سمح تجاهل الشهادات شهود عيان الضحايا أنفسهم والتي أهملت على نحو غير مفهوم أو مبرر من قبل المؤرخين بتحول التأريخ لحرب ١٩٤٨ لمنبر الجلاد دون أن تتوفر أية فرصة للضحايا أنفسهم من إدانة الجلاد أو الدفاع عن روايتهم(٦٤).

ويبقى الأمر الأهم، في نظر الحروب أن "المقولة بعدم ضرورة إيجاد تأريخ عربي جديد، هي مقصورة على القضايا والحوادث، التي يتناولها التاريخ الإسرائيلي الجديد، وأنها "لا تنسحب على قضايا وأحداث، أخذت مجراها في الجانب العربي، وخصوصا الرسمي منها"(٦٥).

أما محمد حسنين هيكل، فقد أوضح أن "حقيقة وجود بحث عربي وفلسطيني ناقد، يعيد كتابة النكبة، سيكشف عن مدى القصور والإهمال، عند الساسة العرب وتسهيلهم وتراخيهم"، وأشار إلى أن هذه الأمور أدت إلى تجسيد المشروع الصهيوني"، وأضاف إلى أن "هذا البحث الجديد، سيدلل على أهمية كشف الحقيقة، مع الاقتناع بعمق الآلام وصحوة الجروح في مراجعة النفس"، ونادى هيكل بضرورة "أن تبقى الذاكرة العربية يقظة في تحمل مصائبها، وأن تعالج بوعي كل أمورها"، وبين أن "المعرفة تفيد في إدراك أسباب نسيناها أو تجاهلناها، وأنها ترشدنا إلى الأصول التي انشغلنا عنها لمعرفة الجذور"(٦٦).

---

* كاتب فلسطيني.

ويمكن القول، أن دراسات هيكل الحالية، لتضع الباحث العربي على المحك في إعـــادة كتابة تاريخه، ونبش جروحه، على غرار نقد المؤرخين للرواية الرسمية، في وقت تقـــف فيـــه إسرائيل، والمنظمات اليهودية بكل قوتها، ضد حريـــة البحث والتعبير لمرحلة من أشد مراحـــل التاريخ بؤسا ومرارة.

تأتي دراسات هيكل، استنادا إلى الوثائق التي اعتمدها المؤرخون الجدد، لتكشف التواطؤ العربي، خاصة ما يتعلق باجتماع الملك حسين ومن قبله جـــده الملك عبد الله، مع بعض زعماء الصهاينة، إيمانا منهم بأن التسوية النهائية بين العرب وإسرائيل، سوف تستغرق زمنا طويـــلا، فرأى الملك حسين حينها، أن "الواجب التاريخ يفرض علـــى حكومتـــي الأردن وإســـرائيل، أن تحتفظا، وتطورا علاقات من التعامل الوثيق بينهما، إلى حين تتهيأ الظروف"(٦٧).

من جهته، نبـــه عبد الجواد إلى أن تقصير المؤرخين العرب يعود في أحد أسبابه إلـــى استيلاء إسرائيل على وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية الخاصة بالفترة ١٩٤٨-١٩٦٧، وكذلـك الوثاق الخاصة بالمجتمع الفلسطيني التي وجدت في مقـــرات الإدارة الأردنية في الضفة الغربية والمصرية في قطاع غزة، وأنها أصبحت جزء من أرشيفات دولة إسرائيل.

وكان عبد الجواد، قد أشار بكتاب **الفردوس المفقود** للمؤرخ الفلسطيني عارف العارف، والذي اعتمد فيه مؤلفه على مصادر شفوية، "وأنه سيظل أفضل ما كتبـــه الفلسطينيون حتى الآن عن حرب ١٩٤٨"(٦٨).

هكذا، فإن الوثائق الإسرائيلية، وتفنيدها للرواية التقليدية المتداولة، أثبتت بمـــا لا يـــدع مجالا للشك، أن ما جرى، ويجري للشعب الفلسطيني، لم يكن بسبب تعنت العرب، ورفضـــهم لمقترحات السلام، وإنما نتيجـــة لتواطؤ عربي، في مؤامرة ثلاثيـــة، صهيونية وبريطانية مـــع الملك عبد الله وسلفه، وذلك لمنع قيام دولة فلسطينية، على أرض فلسطين، وتوزع أرضها على أصحاب المغانم منهم. وهذه الوثائق يصعب على الباحث العربي الوصول إليها، كما أنه مـــن المستحيل أن تحتفظ أية دولة شاركت في هذه الحرب (كالأردن مثلا) بأرشيفات تدينـــها، وإن وجدت، فإنها لن تفتح أبدا أمام هؤلاء الباحثين.

بناء على ما سبق، فإن الدعوة إلى ظهور بحث عربي، فلسطيني جديد، ناقد لما ارتكب من أخطاء وترهات، هي دعوة ضرورية ولكنها غير مرهونة، بما ظهر في المجتمع الإسرائيلي، من تاريخ جديد، وتبرير ذلك، أنه بالرغم من أن الضحية واحدة في كلا البحثين، الفلسطيني والإسرائيلي، إلا أن الجوهر في كليهما مختلف.

فالبحث الإسرائيلي، يناقش مسؤولية الصهيونية، عن جلب الظلم الذي لحق بالفلسطينيين، وبالتالي يقوم الجلاد في هذا البحث بتصفية لذاته، بينما جوهر البحث الفلسطيني المتوقع، سيتعلق بمسؤولية العرب والفلسطينيين عن جلب هذا الظلم، وذلك من زوايا فشل القيادات العربية، في مواجهة الكيان الصهيوني، وسيناقش التواطؤ العربي مع هذا الكيان، وسيعالج خداع الحكومات العربية لشعوبها من خلال إطلاقها الشعارات الرنانة التي تتوعد بإزالة الظلم، لكن الواقع يؤكد على عكس ذلك(٦٩).

من هنا، نتساءل هل سيقوم البحث العربي/الفلسطيني، بمراجعة نفسه، والعمل على معالجة تقصيره في تفنيد الرواية التاريخية الصهيونية، وهل سيبحث عن إجابات، لأسئلة مريرة تتعلق بالنكبة؟؟ مثل دور الزعامة الفلسطينية في الهزيمة، ولا شك أن مثل هذه الأسئلة، تحتاج إلى قراءات جديدة، "ومؤرخين عرب جدد"، خاصة على ضوء استمرار إغلاق الأرشيفات الحكومية العربية أمام الباحثين العرب.

من هنا تعود أهمية متابعة أعمال المؤرخين الجدد، في هذه الفترة بالذات، حيث أن إسرائيل تعيش "مرحلة الخوف من التاريخ، كحالة المجرم، الذي لا يذوق النوم، بفعل الهواجس، التي تصور له مشاهد الجرائم التي ارتكبها"، وفي ضوء ذلك، أزعجها أن يقوم من بين صفوف مؤرخيها، من يستجلي الحقيقة، من بين براثن الأساطير"(٧٠).

وأيا كان الأمر، فإن الشيء الأكيد هو أن الباحث العربي محروم من أرشيفات عربية تفيده بحقائق عن النكبة، في مقابل ذلك، يتمتع الإسرائيليون بأرشيفات عديدة غنية بالمعلومات، إلا أنه وبالرغم من ذلك، فإنه من الصعب أن نجد توثيقا مهما لمعاناة الفلسطينيون على أيدي القادة الصهاينة ونسوق مثلا موقفهم من أحداث مخيم جنين وطمسهم حقيقة المجازر التي وقعت في ذلك المخيم خلال الفترة من ٢/٤-١٣/٤/٢٠٠٢، كذلك موقفهم من لجنة الفحص الدولية وما

نتج عنها من تقرير مزيف للحقائق، إلى جانب التقصير الواضح في الأبحاث العربية، من زاوية تدوين الأحداث وتوثيقها، وهذه الحقيقة القاسية، لا تخفي ذاك السلوك المستغرب لبعض المثقفين العرب، الذين ثاروا مع المنظمات الصهيونية، ضد عقد مؤتمر، لإعادة النظر في تاريخ الصهيونية، والذي كان من فكرة مؤسستين فكريتين دوليتين، وهما السويسرية "حقيقة" والأمريكية "معهد الأبحاث التاريخية"، وكان المؤتمر سيعقد في بيروت بين ٣١ آذار، و ٤نيسان٢٠٠٢، وكان من المفترض، أن يشارك فيه باحثون، ونشطاء، ومفكرون، لإعادة نبش تاريخ الحركة الصهيونية، والبحث في الموضوع الذي تمارس إسرائيل والمنظمات الصهيونية على أساسه إرهاباً فكرياً ضد الآخرين، وكان المؤتمر سيعقد في هذه الفترة المضطربة التي تشهدها الأراضي الفلسطينية، حيث الصور المؤلمة، التي تعرضها شاشات التلفزة، وتتناقلها وسائل الإعلام، من ضحايا العنف الإسرائيلي، والذي يقف خلفه الرجل ذي التاريخ الدموي[٧١].

في هذه المرحلة الصعبة بالذات، لا نفهم مبررات وقوف هؤلاء المثقفين، ضد حرية البحث العلمي التاريخي والذي لا يخدم المصالح الفلسطينية والعربية، وما هي مصلحتهم، في استمرار إخفاء ما يدين الحركة الصهيونية، وبالتالي يمكن أن نفهم أن تقف إسرائيل والمنظمات الصهيونية هذا الموقف و"كان من الضروري أن يعقد هذا المؤتمر، لتعرية المشروع الصهيوني، الذي ما زلنا ندفع ثمن إقامته، ولتسليط الضوء على حقائق، تصر المؤسسات اليهودية على إخفائها، وفيه خدمة كبيرة لصالح مشروع التحرر الوطني الفلسطيني، الذي يقاتل دولة ذات السلوك إجرامي خطير، ويحقق فائدة هامة، للمشروع العربي. ومن هنا كان عليهم أن يقفوا إلى جانب ضحايا الاضطهاد، والتعصب، بدل أن يصادقوا على بيان يخدم إسرائيل ومصالحها"[٧٢].

الخـــلاصـــة

هكذا برزت أهميـــة متابعـــة ما يدور من سجال داخل المجتمع الإسرائيلي فيما يختـص بالمراجعة التاريخية الجديدة، التي أثبـتت أن التاريخ لا يمكن أن يقف عند روايـــة واحدة لحدث ما، كما أثارت من جانب آخر ضرورة إعادة كتابـــة تـــاريخ النكبـــة الفلســـطينية مـــع الأخـــذ بإيجابيـــات أعمال المؤرخين الجـــدد وما كشـــفوه من وثـــائق أبـــرزت التدميـــر الذي أصاب البنيـــة الثـــقافية للشعب الفلسطيني نتيجـــة إقامـــة المشروع الصهيوني.

ونتيجة لحرمان الباحث العربي والفلسطيني من الاطلاع على الأرشيفات العربية للـــدول التي شاركت في حرب ١٩٤٨، ونتيجة للمشاكل التي تحيط بالمصادر العربية، فإن إعادة كتابـــة التاريخ الوطني الفلسطيني الخاص بالنكبة يقتضي اللجوء إلى الذاكرة الجماعية، وفق معطيـــات علمية، وبعيدة عن الأيديولوجيا، ومن ذهنية المؤامرة وتفسير التاريخ سياسياً. إن مشكلة تقديـــم رواية حقيقية لما جرى عام ١٩٤٨، لا تنحصر في هيمنة رواية المنتصر فحسب، وإنمـــا فـــي تقصير المؤرخين الفلسطينيين والعرب عن كتابة رواية متكاملة تكون غنية بالحقائق والتفاصيل، وتكون قادرة على مواجهة الرواية الإسرائيلية التقليدية[٧٣].

إن من شأن إعادة قراءة تاريخ النكبة، وبالتعاون مع مؤرخين إسرائيليين، من شـــأنه أن يفضي إلى فتح ملفات الثـــقافة الإسرائيلية، وتحسين صورة الفلسطيني والعربي في ملفات تلـــك الثـــقافة، سواء كان في إطـــار التاريخ، أو في إطار الأدب خاصة الرواية، إضافة إلى ذلـــك، فإن جهداً تاريخياً متواصلاً وجاداً، بين الفلسطينيين والإسرائيليين، خاصة المؤرخين منهم، مـــن شأن أن يفضي إلى صياغة أوليـــة لاعتذار تاريخي من إسرائيل الشعب الفلسطيني، يطال جوهر النكبـــة ومكوناتـــه الرئيســـية، مما يقلـّص الفجوات بين الطرفيـــن.

هوامش الفصل الثالث

١) صحيفة الحياة (لندن)، ١٩٩٨/٥/٨.

2) Nur, Masalha. "Israeli Revisionist Historiography of the Birth of Israel and its Palestinian exodus". Scandinavian Journal of Development Alternatives (March 1999), pp71-97.

٣) خالد الحروب "المؤرخون الفلسطينيون والإسرائيليون". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٤٨ (خريف ٢٠٠١)، ص٥١.

٤) إدوارد، سعيد. نهاية عملية السلام – أوسلو وما بعدها. (بيروت: دار الآداب اللبنانية، ط١، ٢٠٠١)، ص٢٨٢

٥) إلياس، صنبر. "يستحيل التوفيق بين تأريخ يضعه المنتصرون، وآخر يضعه الضحايا". جريدة "الحياة" (لندن)، ١٩٩٨/٦/١٤، ص٩.

٦) صالح، عبد الجواد. "المؤرخون الجدد "خطوة جديدة" استكمالية للمشروع الصهيوني، أم خطوة أولى باتجاه تسوية الصراع". مجلة السياسة الفلسطينية. ع٢٥ (شتاء ٢٠٠٠)، ص٩٥.

٧) محسن، يوسف، مقابلة، أجرتها معه مليحة الهندي بتاريخ (٢٠٠٢/١/١٥، رام الله، مركز مدار).

٨) محمد، الخولي. "الصهيونية وغروب الأسطورة" www.albayan.co.ae/albayan/2000/3/9.htm

٩) محمد، الخولي. عرض "الجدار الحديدي، تأليف آفي شلايم" www.albayan.co.ae/albayan/2000/11/14.htm

١٠) جميل، هلال. مقابلة أجرتها معه مليحة الهندي بتاريخ (٢٠٠٢/٦/٢٩ في رام الله: مركز شمل اللاجئين).

١١) ربعي، المدهون. "مأزق العيش في الماضي الدافىء وانعدام الرؤية المستقبلية". جريدة "الحياة" (لندن)، ١٩٩٨/٧/٢٥، ص٨.

١٢) صالح، عبد الجواد. "لماذا لا نستطيع كتابة الرواية الفلسطينية لحرب عام ١٩٤٨ بدون التاريخ الشفوي". ورقة بحث ألقيت في مؤتمر مؤرخي التاريخ الشفوي الأمريكان السنوي في بالم سبرينغز ١٧/مارس/١٩٩٩.

١٣) المصدر نفسه.

١٤) محمد حسنين، هيكل. "سياحة صيف في الوثائق الإسرائيلية. مياه وقنابل ذرية". وجـــهات نظر الكتب. ع٢٢ (تشرين ثاني ٢٠٠٠)، ص٤.

١٥) خالد، الحروب. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد والاعتراف المتأخر"، مصدر سبق ذكـــره، ص٥٧.

١٦) عبد الله، عبد الدائم. صراع اليهودية مع القومية الصهيونية. (بيروت: دار الطليعـــة، ط٢، ٢٠٠٠)، ص٣٤.

١٧) المصدر السابق، ص٤٩.

١٨) محمد عيسى، صالحية. "المؤرخون الجدد وإعادة بناء الوقائع". العربـــي. ع٥١٢ (يوليـــو ٢٠٠١)، ص٢٢.

١٩) هشام، الدجاني. "فلنحاور رموز "ما بعد الصهيونية" أعـــدّ الأمر تطبيعاً أم لم يُعـــــد .. " "الحياة" (لندن)، ١٩٩٨/٥/٢.

٢٠) المصدر السابق.

٢١) _____. "هل تتجه إسرائيل إلى ما بعد الصهيونية، وتصبـــح بـــالفعل دولـــة لكـــل مواطنيها؟". "الحياة" (لندن)، ١٩٩٩/٩/٧، ص.

٢٢) محمـــد، الخولـــي. "تطـــورات فـــي إســـرائيل مطلـــوب رصدهـــا" www.albayan.co.ae/albayan/2000/8/31.htm

٢٣) علي الدين، هلال. "إسرائيل في مواجهة تاريخها" www.albayan.co.ae/albayan/1998/5/21.htm

٢٤) نـــور الديـــن، عليـــان. "المؤرخـــون الإســـرائيليون الجـــدد وكتابـــة النكبـــة" www.albayan.co.ae/albayan/1998/9/26.htm

٢٥) المصدر السابق.

٢٦) انطوان، شلحت. "متابعة لوقائع حديث المؤرخين الإسرائيليين". فصـــل المقـــال. ع ٢٩١ (٢٠٠٢/٣/٢٠)، ص٦.

٢٧) _____. "منهاج التعليم الإسرائيلي: ما زال السلام خارج حدود المدرسة". قضايـــا إسرائيلية. ع٣ (صيف ٢٠٠١)، ص٨٤.

٢٨) يهوشواع، سوبول. "يجب التمييز بين الوجودي والرمزي واللاجئ الفلسطيني يعيش مشكلة وجودية". مصدر سبق ذكره، ص٣٢.

٢٩) محمد حمزة غنايم. "نقد الصهيونية من الداخل". //fasl-almaqal.kvalito.no/display.2002/5166

٣٠) حسن، خضر (ترجمة وتقديم). قصر الأواني المهشمة. (رام الله: مدار، ٢٠٠١)، ص١١.

٣١) عبد القادر، ياسين. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد يسعون إلى إراحة ضمائرهم وغسل تاريخ دولتهم". "الحياة" (لندن)، ١٤/٧/١٩٩٨، ص٧.

٣٢) المصدر السابق.

٣٣) إدوارد، سعيد. نهاية عملية السلام – أوسلو وما بعدها. مصدر سبق ذكره، ص٢٨١.

٣٤) نور الدين، عليان. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد وكتابة النكبة"، مصدر سبق ذكره.

٣٥) عبد القادر، ياسين. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد يسعون إلى إراحة ضمائرهم وغسل تاريخ دولتهم". مصدر سبق ذكره.

٣٦) كلوفيس، مقصود. "دور المؤرخين الجدد في حماية المشروع الصهيوني". "الحياة" (لندن)، ٢٩/٨/١٩٩٩، ص١٠.

٣٧) صالح، عبد الجواد. مقابلة شخصية بتاريخ ٢٨/٥/٢٠٠٢، في رام الله.

٣٨) المصدر السابق.

٣٩) أحمد سيد، أحمد. "معضلات عصرية، إشكالية المؤرخين الجدد في إسرائيل". "الأهرام" (القاهرة)، ع٤١٢١٢ (السنة ٢٤، ٧/١٠/١٩٩٩)، ص١.

٤٠) شريف، كناعنة، مقابلة شخصية بتاريخ (١٧/١/٢٠٠٢، جامعة بيرزيت: كلية الدراسات العليا).

٤١) المصدر السابق.

٤٢) إبراهيم، أبو لغد. "أسطورة إسرائيل الثامنة". مجلة آفاق. ع٤ (صيف ١٩٩٩)، ص١٦٩.

٤٣) إدوارد، سعيد. "تاريخ جديد" أفكار قديمة". جريدة "الحياة" (لندن)، ٢٦/٥/١٩٩٨، ص٨.

٤٤) بني، موريس. "قمت بعمل صهيوني". ترجمة أحمد خليفة، مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣ (شتاء ١٩٩٨)، ص١١١-١١٢.

٤٥) المصدر السابق، ص١١٣.

46) Nur, Masalha. "1948 and after revisited" J.P.S. XXIV, No.4 (Summer 1995), pp.90-95.

٤٧) المصدر السابق.

٤٨) خالد، الحروب. "المؤرخون الجدد الفلسطينيون والإسرائيليون". مصدر سبق ذكره، ص٥٢.

٤٩) المصدر السابق، ص٥٤.

٥٠) شريف، كناعنة. الشتات الفلسطيني، هجرة أم تهجير. مصدر سبق ذكره، ص١٠٢.

٥١) شريف، كناعنة. مقابلة شخصية، مصدر سبق ذكره.

٥٢) المصدر السابق.

٥٣) عبد الله، عبد الدائم. صراع اليهودية مع القومية الصهيونية. مصدر سبق ذكره، ص٤٣.

٥٤) نور الدين، مصالحة. "التصور الصهيوني للترحيل: نظرة تاريخية". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٧ (صيف ١٩٩١)، ص٢٨-٤٣.

٥٥) خالد، الحروب. "المؤرخون الجدد الفلسطينيون والإسرائيليون" مصدر سبق ذكره ، ص٥٦.

٥٦) محسن، يوسف. مقابلة شخصية، مصدر سبق ذكره.

٥٧) نور الدين، مصالحة. طرد الفلسطينيين مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني ١٨٢٢-١٩٤٨. (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٩٢)، ص١٣٤-١٤٢.

٥٨) صالح، عبد الجواد. "لماذا لا نستطيع كتابة الرواية الفلسطينية لحرب ١٩٤٨ بدون التاريخ الشفوي". مصدر سبق ذكره.

٥٩) المصدر السابق.

٦٠) جميل، هلال. مقابلة شخصية، مصدر سبق ذكره.

٦١) صالح، عبد الجواد. "لماذا لا نستطيع كتابة الرواية الفلسطينية لحرب ١٩٤٨ بدون التاريخ الشفوي". مصدر سبق ذكره.

٦٢) عبده، الأسدي. "هل يمكن كتابة تاريخ "مؤتلف" للصراع العربي الإسرائيلي؟". "الحياة" (لندن)، ١٩/٣/٢٠٠٠، ص١٤.

٦٣) شريف، كناعنة، مقابلة شخصية، مصدر سبق ذكره.

٦٤) آفي، شلايم. "الحائط الحديدي". عرض خالد الحروب www.aljazeera.net/books/2001/12/12.htm

٦٥) صالح، عبد الجواد. "لماذا لا نستطيع كتابة الرواية الفلسطينية لحرب ١٩٤٨ بدون التاريخ الشفوي". مصدر سبق ذكره.

٦٦) محمد حسنين، هيكل. "سياحة صيف في الوثائق الإسرائيلية. مياه وقنابل ذرية". مصدر سبق ذكره، ص٤.

٦٧) المصدر السابق، ص١٢.

٦٨) صالح، عبد الجواد. "لماذا لا نستطيع كتابة الرواية الفلسطينية لحرب ١٩٤٨ بدون التاريخ الشفوي". مصدر سبق ذكره.

٦٩) خالد، الحروب. "المؤرخون الجدد الفلسطينيون والإسرائيليون". مصدر سبق ذكره، ص٥٦.

٧٠) محمد، الخولي. "فبركة التاريخ الصهيوني" www.albayan.co.ae/albayan/2000/2/24.htm

٧١) أكرم، عطا الله. "الصهيونية-النازية بين حرية البحث وتحريمه!!" htt://www.sis.gov.ps/roya/2002/6/29.htm. page 5.

٧٢) نفس المصدر، ص٥.

٧٣) صالح، عبد الجواد. "لماذا لا نستطيع كتابة الرواية الفلسطينية لحرب ١٩٤٨ بدون التـاريخ الشفوي". مصدر سبق ذكره.

الخاتمـــة

هكذا رأينا نقد الكتاب والمؤرخين الجدد في إسرائيل ،قد أثار قضايا حساسة في الثقافة الإسرائيلية ،مست بشكل مباشر ،جوهر الخطاب الصهيوني ،والهوية الثقافية الإسرائيلية بنجاحهم في التعرض لمواضيع كانت مضبوطة من قبل الهيمنة الفكرية الصهيونية، وكشفوا عن الوجه الاستعماري للصهيونية ،وأوضحوا سلبيات القوة المسيطرة على الفكر الصهيوني الذي ارتبط بالمجتمع الإسرائيلي طويلا .مما أدى إلى تطور النقاش من نقاش حول الماضي إلى نقد المؤسسة الصهيونية وتاريخها الشائك وذلك ببناء نظرية جديدة في الوسط الأكاديمي في الدولة،على أن هذا النقاش قد بقي محدود التأثير في المجتمع الإسرائيلي وبتأثير مباشر من الانتفاضة الفلسطينية يكون قد توارى عن الأنظار.

على أنه كما قال حسن خضر "يمكن اعتبار أعمال المؤرخين الجدد إيذانا بميلاد ظاهرة نقدية، أكثر من مجرد حالة أيديولوجية، تريد أن تقول للمجتمع الإسرائيلي، إن الكثير من القيم التي تربى عليها، كانت مصطنعة ومفبركة، وأنه آن الأوان للكشف عن بعض الأسرار التي تدين الحركة الصهيونية". ومن هنا نقول بأن مفكري ما بعد الصهيونية، هم نتاج مرحلة ما بعد حداثية يحملون دلالات مختلفة، بتحولهم إلى ظاهرة ثقافية وبما يطرحونه من توجهات نقدية، نحو البحث الأكاديمي السائد، حول النكبة الفلسطينية والترحيل الكبير، وحول الضرر الذي سببه المشروع الصهيوني واقامة إسرائيل .

- وتكمن الجدة في هذه الظاهرة، في أنها رفعت مستوى الوعي الإسرائيلي بمأساة الفلسطينيين، من خلال ما توصل إليه أصحابها من سيرورات ونتائج، تتناقض مع الدعاية الإسرائيلية الخاصة بجذور النزاع العربي- الإسرائيلي وبتحميلهم إسرائيل الجزء الأكبر من المسؤولية، في نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بالموافقة من خلال الصمت، أو بالتشجيع الخفي على طردهم، وإثباتهم وجود نوايا الترانسفير ضد العرب في الذهنية الإسرائيلية، وما قامت به الزعامات الصهيونية، من اتباع سياسات عدم عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم .

وبفضل أعمال المؤرخين الجدد، أصبحت النكبة الفلسطينية، تطرح ولأول مـــرة بكـــل صراحة وجرأة تاريخية لا في إسرائيل فحسب، بل وفي العالم الغربي، ولن يســـع إســـرائيل أن تتنصل عن مسئوليتها عن المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية ضد الفلسطينيين والـــى الأبد. ومن خلال قراءة متأنية لأفكار هؤلاء المؤرخين، أدركنا أنهم كظـــاهرة تحمـــل معـــايير إنسانية وقيم عدة، إضافة إلى أنها تهدف إلى إيجاد مجتمع إسرائيلي أكثر عدلا ومساواة وانفتاحـــا على الثقافات الأخرى، وأكثر قدرة على تحقيق السلام الحقيقي مع الفلسطينيين والعالم العربي.

ويشار إلى أن هذه الظاهرة ،تعتبر ان تحقيق دولة لكل مواطنيها، هو أمر ضـــروري وأساسي لمرحلة السلام ،بشرط اعتماده على تحقيق الحقوق السياسية والمدنية، بعد أن تتخلـــص إسرائيل من أساطيرها المزيفة، وتقضي على سياسة التمييز العرقي أو الإثني بيـــن مواطنيـــها، وبناء على هذا، فقد أدرك هؤلاء المؤرخون، إن الواجب يحتم أن تعمل القيـــادات الإســـرائيلية الحالية على تحسين الأوضاع، والإقرار بالحقوق الفلسطينية، وفي المحصلة، فإنـــهم يـــرون أن بإمكانهم خلق الأصول العقائدية للأفكار الجديدة، من خلال تقديم حلول لمشاكل عالقـــة، كمشكلة اللاجئين، وتحقيق دولـــة ثنائية القومية، والانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة، على رغم من معارضة بعضهم لعودة اللاجئين كونها تشكل تدميرا لإسرائيل.

يمكن لظاهرة المؤرخين الجدد، كحركة ثـــقافيـــة، أن توجد تفاهما حول هوية الدولـــة، وحول طبيعـــة المجتمـــع الذي تدعو إليه، كذلك بإمكانها أن تنشئ تفاهما مع الفلسطيني الـــذي طـــرد من أرضه، وتشتتت ثـــقافتـــه، على الرغم من افتقـــار هؤلاء المؤرخون إلـــى هيكـــل تنظيمي يعملون من خلالـــه، وافتقارهم إلى برنامج عمل منسق للأبحاث التي يقدمونـــها، ممـــا شكل مأخـــذا إسرائيليا وعربيا على هؤلاء المؤرخين، واتهام البعض لهم بمعاداة الصهيونيـــة، وتدمير الذاكرة الجماعية اليهودية.

أما عن النتيجة التي خرجت بها الدراسة، فتكمن في كشف التغيـــير الـــذي أحدثتـــه الانتفاضـــة الفلسطينية الثانية، في أفكار بعض المؤرخين الجدد، وما تلاه من ســـقوط أقنـــعة لأبرزهم، بني موريس، الذي عادت إليه العصبية الصهيونية، بمشاركتـــه آخرين الاعتقاد، بـــأن الطرد كان لا بد منه، وأنه كان ينبغي أن يكون أشمل. مما يضفي شرعيـــة علـــى الخطـــط

الإسرائيلية المستقبلية، الهادفة إلى إجراء المزيد من التطهير العرقي، وعاد ليلقي اللوم على الضحايا، مما أثار ضجة عليه حتى من زملائه، أمثال آفي شلايم وغيره.

يعود هذا التراجع الفكري عند البعض منهم، إلى أزمة الثقافة الإسرائيلية، وإلى تطرفها في مواقفها، كما ويعود أيضا إلى تقارب المؤرخين الجدد من اليسار الصهيوني، الذي يعاني أصلا من أزمة التعريف الذاتي السياسي لنفسه، أكثر مما يعانيه اليمين المتطرف، ولتكون بذلك رؤية اليسار للأمور مصطنعة في كثير من الأحيان، لذلك، فإن ظاهرة المؤرخين الجدد، قد نزلت بأفكارها إلى العمل السري في مطلع الألفية الثالثة، وبتأثير من خيبة الأمل التي أصابت المؤرخين الجدد، من عدم تحسن الأوضاع، وتدهورها بين الطرفين، وتحمل المسؤولية عن هذا التدهور على الفلسطينيين كما قال موريس.

أما أجد الأسس والمرتكزات التي ظهرت عند هؤلاء المؤرخين، فكانت إدراج النكبة الفلسطينية على الأجندة الشعبية الإسرائيلية، وجرأة البعض منهم في الكشف عن مسؤولية إسرائيل المباشرة، في ارتكاب مجازر ضد الفلسطينيين، وبذلك لم تعد النكبة تلقى الإنكار والتنصل في إسرائيل، بل على العكس، أصبحت تطرح بكل وضوح، وإن لم تكن القصة الكاملة قد زودت للإسرائيليين بشكلها النهائي، هذا التغيير، وهذا الكشف، دفع ثمنه بعض المؤرخين الجدد، بالطرد من عملهم، وبتقديم البعض منهم لمحاكمة تأديبية لكنها جمدت بسبب ضغوطات دبلوماسية خارجية.

وفي أي حال يستلزم تاريخ إسرائيل، نظرة عريضة، لأنه يمثل عنصرا هاما في تراث الفلسطينيين، التاريخي والثقافي، وهذه التطورات الفكرية الجارية، توحي بأن فهم التاريخ الإسرائيلي يبقى ضروريا لا للأوساط الأكاديمية فحسب.بل للمجتمع كله. فالنطاق العريض المتشعب لتاريخ إسرائيل، لم يكن مفهوما بسبب ارتباطه بمرويات تاريخية بعيدة عن الاستقامة التاريخية، حتى تم كشف السرية عنها في أبحاث المؤرخين الجدد، ولاعتمادهم في ذلك على ملفات الدولة وأرشيفات وزارة الخارجية، ووثائق بريطانية دونت أحداث الحرب. ومن خلال رؤيتنا لوجهة النظر العربية والفلسطينية، سواء كانت من مؤرخين أم غير مؤرخين ازاء التاريخ الإسرائيلي الجديد،لاحظنا انشغال المثقفون العرب والفلسطينيون، عن متابعة أعمال المؤرخين الجدد ،وذلك بقضايا معاداة التطبيع بشكل عام، والثقافي منه بشكل خاص، دون أن تحضرهم

الإنتباهة الواعية إلى أن ما يجري من تحولات فكرية عند الطرف الآخر في الصراع، والتي يسميها البعض بالحداثة، والبعض الآخر يسميها بمسميات شرق أوسطية، أنها أمور جدية ينبغي التريث عندها.

واعتمادا على ما سبق، يكون الأفق العربي، قد تحول إلى (منطقة حرام) تترصد كل شيء جديد يدخلها، ومن يحاول الاقتراب منها فإنه يتهم بالتطبيع ومهادنة العدو ،لتقف بذلك كلمة " عدوي" كسد منيع أمام أي انطلاقة فكرية تهدف إلى معرفة ما يدور حوله.

بهذا، يكون إدراك الخطاب التاريخي الإسرائيلي الجديد ،قد ظل محصورا في عدد قليل من المثقفين العرب ،الذين أدركوا أهمية المصالحة التاريخية بين الطرفين ،العربي – الإسرائيلي، وذلك من خلال اعتقادهم ان عقد لقاءات وحوارات ثقافية مع المؤرخين الجدد، ليؤسس لأرضية ثقافية، تلتقي مع هؤلاء المؤرخين، خاصة بعد اقتراب غالبيتهم من الرواية الفلسطينية، وإقرارهم بالظلم الذي لحق بالفلسطينيين.

الأمر الهام عند بعض المثقفين العرب، هو اقتناعهم بأن" إدراك غاية التاريخ الإسرائيلي الجديد" هو أمر ضروري، وذلك لتجنب الانزلاق في متاهات التطبيع وخداعه، إضافة إلى إيمانهم بأن فهم التاريخ الإسرائيلي دون ربطه بمقاسات سياسية وشخصية ،هو شرط أساسي لتحقيق التحاور "كخطوة أولى على طريق تسوية النزاع"، ولعل ما توصل إليه المثقفون العرب، الذين رأوا إيجابيات أعمال المؤرخين الجدد ،يكمن في ضرورة إعادة كتابة تاريخ عربي للنكبة على أساس من البحث العلمي الناقد لأعمال الساسة العرب وسلوكهم إبان النكبة، الذي أدى بشكل غير مباشر إلى إنجاح المشروع الصهيوني ،وما تلاه من تدمير للمجتمع الفلسطيني .

ولأجل إنجاح البحث الفلسطيني المرتقب ،برزت لدى المثقفين العرب أهمية توثيق الأحداث التاريخية سواء كان بالروايات الشفوية، أو بالحقائق المكتوبة، ودراستها بعمق وموضوعية، لا من أجل اختلاق رواية جديدة تناقض الرواية الحقيقية، بل من اجل الاقتراب من الأحداث التي وقعت وذلك لتجاوز الأخطاء فيها، وللخروج بتاريخ عربي أو فلسطيني ناقض، دون ربطه بالالتقاء مع المؤرخين في منتصف الطريق.

وقد توصل المؤرخين الجدد، إلى أن الطريق الحقيقي لتحيق السلام في هذا المجتمع لا يمكن ان يقوم على الكذب والتلفيق، بعد أن اتضحت الحقائق المناقضة للمسلمات الصهيونية، ومن هنا اقتربت رؤيتهم مع وجهات نظر عربية، خاصة تلك التي يرى أصحابها أن الخطوة الأولى لتحقيق السلام، لا يكون إلا بالقضاء على المنطلقات الصهيونية الزائفة، رغم أن رجوع إسرائيل إلى الحق، واعترافها بخطيئتها الأولى، ليس من شأنه أن يعيد الروح للضحايا، ولن يصحح المسار، لكنه يصوب التاريخ، ويشفي بعض الجراح، وبذلك تصبح الرواية المعتمدة، هي رواية الضعيف المقهور.

وتجدر الإشارة إلى أن المصالحة التاريخية بين الطرفين، تتحدد بمدى قدرة إسرائيل على تجاوز خطيئتها، وإصلاح ما دمرته الصهيونية للمجتمع الفلسطيني جملة وتفصيلا، وذلك دون الارتكاز على أنصاف الحقائق او التسوية لمعظمها، كما تتحدد أيضا بتجاوز إسرائيل لعقيدتها الصهيونية المتطرفة، ولسياستها الحديدية، والمتمثلة في أشخاص الحزب اليميني الحاكم ورئيسه آرئيل شارون.

وقد يكون أهم ما توصلنا إليه، هو الكشف عن ذلك الموقف المهادن والمؤسف من بعض المثقفين العرب، للصهيونية وأنصارها، وحرصهم على أن لا تكشف أساطير صهيونية في مؤتمر عالمي، متذرعين بأن ذلك يشكل معاداة للسامية ،غير مدركين بأنه لا حل للصراع العربي- الإسرائيلي، ونصرة القضية الفلسطينية ما دامت المنطلقات الصهيونية قائمة، والتي كشفها المؤرخون الجدد وما كان الموقف العربي إلا استمرارا لتقصيره عن متابعة ما يدور حوله، واستغلاله إيجابيا وكان يكفي تقصيرهم هذا في بلورة خطاب عربي موحد، واعتمادهم على المنهجية العلمية في أبحاثهم موثقين كل صغيرة وكبيرة في تاريخنا والمهم بعد هذا كله هو توليد فكر عربي متناغم مع الفكر الغربي، لتعبئة الرأي العام العالمي ضد التزييف الصهيوني وفي حال إبطال مقولة "إن أعمال المؤرخين الجدد ما هي إلى ذرا للرماد في العيون"، والشروع في تعبئة طاقات الوجود العربي وفعله بأشكاله المختلفة، ضد الكيان الصهيوني تبعا لمقولة " من فمك أدينك ".

وفي حالة إعادة تقييم روايتنا وتصويب أخطائنا، سيتم مواجهة التيـــارات الصهيونيـــة، وسيتم التغلب على المجتمع الإسرائيلي بقصوره المهشمة ونستطيع بعدها التغلب على الأجـــواء التي قاد إليها اليأس أكثر مما دفع بها الرجاء .

المراجع والمصادر

الكتب في كل الدراسة:

١. مقدمة ابن خلدون. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣.

٢. أبو ستة، سلمان. حق العودة مقدس وقانوني وممكن. ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١م.

٣. بالومبو، ميخائيل. كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام ١٩٤٨. ط١. بيروت: دار الحمراء، ١٩٩٠م.

٤. بيغن، مناحيم. التمرد قصة الأرجون. تقديم اللواء حسن البذري. ط٢. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

٥. جارودي، روجيه. الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية. ط١. القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩٦م.

٦. جرار، ناجح. الهجرة القسرية. ترجمة سمير حمودة. جامعة النجاح الوطنية: بتمويل من مؤسسة فورد، ١٩٩٥.

٧. الخالدي، وليد. كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل ١٩٤٨، وأسماء شهدائها. ط٢. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.

٨. خضر، حسن. قصر الأواني المهمشة. رام الله: مدار، ٢٠٠١م.

٩. ستيرنهل، زئيف. الأساطير المؤسسة لإسرائيل. ترجمة: عزت الغزاوي، رام الله: مدار، كانون الأول ٢٠٠١.

١٠. غازي، السعدي (ترجمة). عمود النار. ط٢، عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٨٨م.

١١. سعيد، إدوارد. نهاية عملية السلام، أوسلو وما بعدها. ط١. بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٠م.

١٢. سيغف، توم. الإسرائيليون الأوائل ١٩٤٩. ترجمة: خالد عايد وآخرون. ط١، دار دومينو للنشر / القدس، ١٩٨٤.

١٣. شاش، طاهر. التطرف الإسرائيلي جذوره ومصادره. ط١. القاهرة: دار الشروق. ١٩٩٧م.

١٤. شلايم، آفي. الحائط الحديدي. ترجمة: (ناصر عفيفي). القاهرة: مؤسسة روز اليوسف، ٢٠٠٠م.

١٥. شلحت، أنطوان. تصحيح خطأ بين اليهود والعرب في أرض إسرائيل ١٩٣٦-١٩٥٦. تأليف بني موريس، تل أبيب: منشورات عام عوفيد، ٢٠٠٠.

١٦. صنبر، إلياس. فلسطين ١٩٤٨ : التغييب. ترجمة كاظم جهاد، ط١. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.

١٧. عبد الدايم، عبد الله. صراع اليهودية مع القومية الصهيونية. ط١. بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٠م.

١٨. غازيت، شلومو. الطعم في المصيدة/ السياسة الإسرائيلية في الضفة والقطاع. ترجمة عليان الهندي، ط١. القدس، مؤسسة باب الواد، ٢٠٠١م.

١٩. غنايم، محمد حمزة. وجها لوجه/ سجالات مع مثقفين يهود. رام الله: مدار، تشرين ثاني ٢٠٠١.

٢٠. كميرلنغ، باروخ. الفلسطينيون: صيرورة شعب. ترجمة: محمد حمزة غنايم، رام الله: مدار، ٢٠٠١م.

٢١. الكيلاني، هيثم. الإرهاب يؤسس دولة. نموذج إسرائيل. ط١. القاهرة: دار الشروق. ١٩٩٧م.

٢٢. كناعنة، شريف. الشتات الفلسطيني: هجرة أم التهجير. مركز القدس العالمي للدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢م.

٢٣. مصالحة، نور الدين. طرد الفلسطينيين: مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني ١٨٨٢-١٩٤٨. ط١. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٢م.

٢٤. _____. أرض أكثر وعرب أقل. ط١. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧م.

٢٥. _____. إسرائيل الكبرى والفلسطينيون، سياسة التوسع. ط١. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠١م.

٢٦. موريس، بني. طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين. ط١. عمان: دار الجليل للنشر، ١٩٩٣م.

٢٧. وايتلام، كيث. اختلاق إسرائيل. إسكات التاريخ الفلسطيني. ترجمة: (سحر الهنيدي). لندن، ١٩٩٩م.

٢٨. يحيى، عادل. اللاجئون الفلسطينيون ١٩٤٨-١٩٩٨. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي، ١٩٩٨م.

٢٩. _____. ذاكرة دولة وهوية. دراسات انتقادية حول الصهيونية وإسرائيل. إعداد وترجمة أنطوان شلحت. رام الله: مدار، شباط ٢٠٠٢.

30. Morris, Benny. Righteous Victims, 1881-1999. New York: Alferda Krope, 1999.

31. Segev, Tom> 1949: The First Israeli. New York: The Free Press. 1984.

32. Avi, Shlaim, and Eugenel, Rogan. The War for Palestine: Rewriting the History o 1948. Cambridge University Press. 2001.

33. Pappe, Ilan. Britain and the Arab-Israeli Conflict: 1948-1951. London – Macmillan, 1998.

الدوريات في الدراسة:

١. أبو ستة، سلمان. "اعترافات المؤرخين الجدد". وجهات نظر الكتب. ع٢٢، شتاء ٢٠٠٠، ص٢٢-٢٥.

٢. _____. "على هامش حرب فلسطين ١٩٤٨". وجهات نظر الكتب. ع٥، حزيران ١٩٩٩، ص٤٨-٥٢.

٣. أبو لغد، إبراهيم. "أسطورة إسرائيل الثامنة". مجلة آفاق. ع٤، صيف ١٩٩٩، ص

٤. اسبانيولي، هالة. "الأيديولوجية الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبرية". قضايا إسرائيلية. ع٣، صيف ٢٠٠١، ص٨٨-٩٣.

٥. بابيه، إيلان. "١٩٤٨ – والتاريخ الإسرائيلي". ترجمة انطوان شلحت. مجلة الكرمل. العدد ٥٥، ٥٦ صيف ١٩٩٨، ص٨١-١٠١.

٦. _____. "قراءة في سياسة الترانسفير من حايم وايزمان إلى رحبعام زئيفي". قضايا إسرائيلية. العدد ٥ شتاء ٢٠٠٢، ص٤-١٣.

٧. _____. المجتمع الإسرائيلي بين: "ما بعد الصهيونية والصهيونية الجديدة". قضايا إسرائيلية. العدد ٢ ربيع ٢٠٠١، ص٣٠-٤٠.

٨. _____. "الأكاديمي هو أيضا سياسي". ترجمة أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٣ شتاء ١٩٩٨، ص١٠٧-١١٠.

٩. _____. "ما بعد الصهيونية": توجهات جديدة في الخطاب الأكاديمي الإسرائيلي حول الفلسطينيين والعرب". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣١، صيف ١٩٩٧، ص٧٧-٩٥.

١٠. بتربرغ، غبريل. "نقد الصهيونية – حالات المحو". الكرمل. العدد ٦٩. خريف ٢٠٠٢، ص١٨٦-١٩٩.

١١. بيت هالحمي، بنيامين. "التاريخ يطارد الصهيونية ويلحق بها". مجلة الكرمل. العدد ٥٥-٥٦. ربيع/ صيف ١٩٩٨، ص٦٧-٧٩.

١٢. جبارة، تيسير. "فرض الهجرة القسرية على الشعب الفلسطيني زمن الانتداب البريطاني". المجلة الفلسطينية للدراسات التاريخية. ع١، مجلد١، ١٩٩٨، ص

١٣. الحروب، خالد. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد والاعتراف المتأخر". شؤون الأوسط. مجلد١٧، ع٩٥، أيار ٢٠٠٠ ، ص٦٧-٧٥.

١٤. _____. "المؤرخون الجدد الفلسطينيون والإسرائيليون". مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٤٨. خريف ٢٠٠١، ص٤٩-٥٧.

١٥. خضر، حسن. "حوار مع مناحيم برينكر: ما بعد الصهيونية حاضر يدعونا للقطع عن الماضي". مجلة الكرمل. العدد ٥٢. صيف ١٩٩٧، ص٢٦-٣٥.

١٦. خليفة، أحمد إعداد وترجمة. "ندوة حول الصهيونية وما بعد الصهيونية ومعاداة الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣شتاء ١٩٩٨، ص١١٤-١٢٥.

١٧. رام أوري. "الذاكرة والهوية: سوسيولوجيا نقاش المؤرخين في إسرائيل". ترجمة أنطوان شلحت، مجلة الكرمل. العدد ٥١، ربيع ١٩٩٧، ٢١٧-٢٢٩.

١٨. روبنشتاين، أمنون. "الثورة فشلت والصهيونية نجحت". ترجمة وتحرير أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٣١، شتاء ١٩٩٧، ص١٠٢-١١٠.

١٩. روبنشتاين، داني. "عودة العودة رؤية إسرائيلية لحق العودة". قضايا إسرائيلية. العدد ٣ صيف ٢٠٠١، ص٥٧-٦١.

٢٠. سيغف، توم. "فسيفساء من هويات وثقافات". حوار: محمد حمزة غنايم. قضايا إسرائيلية. العدد ٤ شتاء ٢٠٠١، ص١٦-٣٠.

٢١. شفايد، اليعيزر. "أهداف الصهيونية اليوم". ترجمة: أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٣٣ شتاء ١٩٩٨، ص٩٣-٩٥.

٢٢. شلحت، أنطوان. "منهاج التعليم الإسرائيلي: ما زال "السلام" خارج حدود المدرسة". قضايا إسرائيلية. ع٣، صيف ٢٠٠١، ص٨٣-٨٦.

٢٣. صالحية، محمد عيسى. "المؤرخون الجدد وبناء الوقائع". مجلة العربي. العدد ٥١٢، يوليو ٢٠٠١، ص١٧-١١٩.

٢٤. صراص، سمير. "تحولات في معسكر السلام الإسرائيلي". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٤٩، شتاء ٢٠٠٢، ص٧٢-٧٩.

٢٥. صنبر، إلياس. "عن الهوية الثقافية الفلسطينية: العودة إلى الزمن". مجلة الكرمل. العدد ٥٥-٥٦، ربيع/صيف ١٩٩٨، ص٣٥١-٣٦٠.

٢٦. عبد الجواد، صالح. "المؤرخون الجدد" خطوة استكمالية للمشروع الصهيوني أم خطوة أولى باتجاه تسوية الصراع". مجلة السياسة الفلسطينية. العدد ٢٥، شتاء ٢٠٠٠، ص٨٩-٩٧.

٢٧. غازيت، شلومو. "قضية اللاجئين الفلسطينيين الحل الدائم من منظور إسرائيلي". مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٢٢، ربيع ١٩٩٥، ص٧٨-١١٣.

٢٨. غنايم، محمد حمزة. "صهيونية جديدة نفاثة". أوراق إسرائيلية. ع٦، حزيران ٢٠٠١، ص٢٤-٢٦.

٢٩. _____. "اسحق لأوور: خيبة أمل المثقف الطليعي". الكرمل. ع٦٣، ربيع ٢٠٠٠، ص٦٧-٨٣.

٣٠. _____. يوسي بيلين، في حوار شامل: "وإذا ماتت لحظة الحقيقة". قضايا إسرائيلية. ع٣، صيف ٢٠٠١، ص١٣-١٧

٣١. _____. "المؤرخون الجدد وأسئلة ثقافة ما بعد الصهيونية، أمنون راز كركوتسكين وبني موريس كمثل". مجلة الكرمل. العدد ٥٨ شتاء ١٩٩٩، ص٧٨-١٠٣.

٣٢. كاتس، ثيودور. "الطنطورة تحقيق حول مذبحة منسية".ترجمة محمد حمزة غنايم الكرمل. ع٦٣، ربيع ٢٠٠٠، ص٧-٥٢.

٣٣. كميرلنغ، باروخ. "لا هي ديمقراطية ولا هي يهودية". ترجمة: أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٣٣، شتاء ١٩٩٨، ص٩٩-١٠١.

٣٤. _____. "لعله التابو الأخير". ترجمة وحوار أحمد حمزة غنايم. مجلة الكرمل. العدد ٥٩ ربيع ١٩٩٩، ص١٠٣-١١٤.

٣٥. _____. حق العودة: كم وإلى أين؟". مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٣٦، خريف ١٩٩٨، ص١٤٩-١٥٥.

٣٦. كركوتسكين، أمنون راز. "الاستشراق وعلوم اليهودية والمجتمع اليهودي". ترجمة: محمد حمزة غنايم. مجلة الكرمل. العدد ٥٨، شتاء ١٩٩٨، ص١٠٨-١٢٠.

٣٧. _____. "حنا أرندت والمسألة الفلسطينية". ترجمة حسن خضر. الكرمل. ع٦٢، شتاء ٢٠٠٠، ص١١٣-١٢٤.

٣٨. المسيري، عبد الوهاب. "المفهوم الصهيوني – الإسرائيلي للصراع والسلام". مجلة آفاق. ع٦، ٧، ٢٠٠٠، ص٢٧١.

٣٩. مصالحة، نور الدين. "التصور الصهيوني لـ "الترحيل" نظرة تاريخية". مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٧، صيف ١٩٩١، ص١٩-٣٦.

٤٠. _____. "١٩٤٨ وما بعد: إسرائيل والفلسطينيون". مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٢١ شتاء ١٩٩٥، ص١٣٤-١٤١.

٤١. _____. "أرض أكثر وعرب أقل". مجلة الدراسات الفلسطينية. مراجعة سناء حمودي، ع٧، صيف ١٩٩١، ص١٦٣-١٦٥.

٤٢. منصور، جوني. "السياسة الإسرائيلية وتغيير معالم المدينة الفلسطينية". مجلة قضايا إسرائيلية. العدد ٥ شتاء ٢٠٠٠، ص١٤-٢٢.

٤٣. موريس، بني. "نقد الصهيونية: ملاحظات حول التأريخ الصهيوني". ترجمة أنطوان شلحت. **مجلة الكرمل**، العدد ٦٧، خريف ٢٠٠١، ص١٩١-١٩٥.

٤٤. _____. "مناقشات إسرائيلية بشأن ١٩٤٨: إعادة فبركة ١٩٤٨". مجلة الدراسات الفلسطينية. العدد ٣٤ شتاء ١٩٩٨، ص١٥٣-١٦٩.

٤٥. _____. "قمت بعمل صهيوني". ترجمة أحمد خليفة. مجلة الدراسات الفلسطينية. ع٣٣، شتاء ١٩٩٨، ص١١١-١١٣.

٤٦. ليفنة، نيري. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية، ع٣١، صيف ١٩٩٧، ص٥٣-٥٨.

٤٧. _____. "صعود وسقوط ما بعد الصهيونية". مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد ٤٩، شتاء ٢٠٠٢، ص٥٢-٦٣.

٤٨. ناطور، سلمان. "النكبة المحكمة الإسرائيلية الطنطورة كنموذج". قضايا إسرائيلية. ع ١ شتاء ٢٠٠١، ص٤٣-٤٦.

٤٩. نفاع، هشام. "رؤية أولية "لمشاكسة علمية جديدة" نفي الأسطورة وجدية الكشف عن الحقيقة". قضايا إسرائيلية. ع٣، صيف ٢٠٠١، ص٧٨-٨١.

٥٠. هيكل، محمد حسنين. "سياحة صيفية في الوثائق الإسرائيلية-مياه وقنابل ذرية". وجهات نظر الكتب. ع٢٢، تشرين ثاني ٢٠٠٠، ص٤-١٤.

٥١. يهوشواع، سوبول. "يجب التمييز بين الوجودي والرمزي واللاجيء الفلسطيني يعيش مشكلة وجودية".حوار هشام نفاع، قضايا إسرائيلية. ع ٥، شتاء ٢٠٠٢، ص٢٧-٣٥.

٥٢. "عنوان مرحلة". وجهات نظر الكتب. ع٣٦، آذار ٢٠٠١، ص٣.

53. Capla, Neil. "The New Historians". Journal of Palestine Studies. No.4 Summer 1995, pp 96-103.

54. Morris, Benny. "A fresh Look at Zionist. Documentation of 1948". J.P.S. No.3 Spring 1995, pp.44-62.

55. Pappe, Ilan. "Post-Zoinist Critique on Israel and the Palestinian, Popular Culture". J.P.S Issue 104, No.4, Summer 1997.

56. Masalha, Nur. "1948 and After, Revisited". J.P.S. Issue No.4 Summer 1995. Pp. 90-95.

57. Shlaim, Avi. "Israeli Politics and Middle East Peace Making". J.P.S. XXIV, No.4 Summer 1995, pp. 20-31.

58. The Morris/Shlaim Pieces. "The Guardian". Feb. 21/2002.

الإنترنت:

١. أبو ستة، سلمان: يقترح نظرية خطة لحل قضية اللاجئين" www.alquds/articles/data.com/2001/9/9.htm

٢. أحمد، محمد سيد. "المؤرخون الإسرائيليون الجدد". www.ahram.org/weekly/1999/9/29

٣. بابيه، إيلان. "النكبة بعيون "إسرائيلية". http://www.alkhaleej.co.ae/2002/6/13.htm

٤. _____. "شياطين النكبة" http://sutoor.com/issues/2002/068/mago68.htm

٥. جارودي، رجاء. "قضايا تصنع المستقبل: هرتزل أمر بالواقع الاستعماري لإسرائيل". www.albayan.co.ae/albayan/1998/8/10.htm.

٦. جيرشبرج، ميشيل. "المؤرخون الجدد يتعفنون". www.alarabonline.org/display.2002/11 Jan/27.htm

٧. الحروب، خالد. "الحائط الحديدي" عرض آفي، شلايم. www.aljazeera.net/books/2000/12/12.htm

٨. الخولي، محمد. "فبركة التاريخ الصهيوني". www.albayan.co/albayan/2000/2/24.htm

٩. _____. "الصهيونية وغروب الأسطورة". www.albayan.co/albayan/2000/3/9..htm

١٠. _____. "تطورات في إسرائيل: مطلوب رصدها". www.albayan.co/albayan/2000/8/31.htm

١١. _____. "عرض وتحليل الحائط الحديدي لآفي شلايم". www.albayan.co/albayan/2001/11/14.htm

١٢. صالح، فخري. "حكاية إيلان بابيه: مكارثية جديدة في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية" htt://213.253.55/internet/albayat/general/2002/5/4.htm

١٣. عطا الله، أكرم: الصهيونية – النازية بين حرية البحث وتحريمه". Htt:www.sis.gov.ps/roya/2002/27/6

١٤. عياش، سعيد: "التفاصيل الكاملة لمجزرة الطنطورة". المركز الفلسطيني للإعلام htt://www.palestine-info.net/arabic/daily news/2001/feb1/16.htm.

١٥. عليان، نور الدين. "المؤرخون الجدد وكتابة النكبة". www.albayan.co/albayan/1998/9/26.htm

١٦. غنايم، محمد حمزة. "نقد الصهيونية من الداخل" htt://fasl-almaqal.kvalito/display.2002/16/5.php.

١٧. فيدال، دومينيك. "عشر سنوات من الأبحاث حول ١٩٤٨-١٩٤٩". www.maaber, new Israeli-historians.com, 12/1997

١٨. نافع، بشير موسى. "عندما يكشف بني موريس عن عنصرية أصيلة". Htt://195.138.228.147/alquds/articles/data/2002/1/1.htm.

١٩. هلال، علي الدين. "إسرائيل في مواجهة تاريخها". www.albayan.co/albayan/1998/5/2.htm

٢٠. حرب فلسطين: إعادة كتابة تاريخ حرب ١٩٤٨". Htt://63.99.208.75/books/2001/5/5.htm

٢١. عميد المؤرخين الجدد صار يمينيا". Htt://.195.1381 alquds/articles/data/2001/11/11.htm

22. Leifn."Israel's 50th, the new historians". Htt://world.std.com/camera.com.docs/oncamera/1998/May/11.htm.

قائمة الجرائد الواردة في الدراسة:

جريدة الأيام رام الله:

١٩٩٩/٩/١٠، ٢٠٠١/١١/٢٤، ٢٠٠٢/٢/٢٨، ٢٠٠٢/٣/١٩، ٢٠٠٢/٥/١٧.

جريدة القدس فلسطين

٢٠٠٠/١٢/٢٦، ٢٠٠٢/٥/٢٧، ٢٠٠٢/١/٢٦، ٢٠٠٢/٦/٢٠.

جريدة الحياة الجديدة رام الله:

١٩٩٩/١١/٣٠، ٢٠٠١/١٢/٣٠.

جريدة الحياة اللندنية لندن:

١٩٩٨/٥/٢، ١٩٩٨/٥/٨، ١٩٩٨/٥/٢٦، ١٩٩٨/٦/١٤، ١٩٩٨/٧/١٤،
١٩٩٨/٧/٢٥، ١٩٩٩/٨/٢٩، ١٩٩٩/٩/٧، ٢٠٠٠/٣/١٦

جريدة فصـــل المقـــال الناصرة:

٢٠٠١/١٢/١٤، ٢٠٠٢/٢/٢١، ٢٠٠٢/٣/٢٠.

جريدة الأهـــرام المصرية:

١٩٩٩/١٠/٧، ٢٠٠٢/٣/١١.

جريدة هآرتس العبرية القدس:

١٩٩٧/٧/١٦، ٢٠٠٠/١٠/٢٢، ٢٠٠١/١٢/١٦.

جريدة يديعوت أحرونوت العبرية القدس:

٢٠٠٠/١٢/٢٦

مقابلات شخصية:

١. أنطوان، شلحت.

٢. صالح عبد الجواد.

٣. شريف، كناعنة.

٤. جميل، هلال.

٥. محسن، يوسف.